AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الهدف - فلسطين - العدد 82 (1556) - أبريل / نيسان 2026

أرواحنا لا تكسرها المشانقِ
وإرادتنا لا تنحني للطغيانِ

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (82) - (1556) - نيسان (أبريل) 2026

الافتتاحية

• كيف تتوقف الحرب ويستمر العدوان؟!! 2

شؤون فلسطينية

ملف العدد: ذكرى يوم الأسير الفلسطيني

• يوم الأسير الفلسطيني والتحديات الراهنة ما الذي ينتظر الحركة الأسيرة من استحقاقات 5
• يوم الأسير الفلسطيني مفهوم الأسرى بين السردية القانونية الدولية والممارسة الصهيونازية أبو علي حسن 7
• المصير المجهول لأسرانا إثر قانون الإعدام الجائر، إلهام الحكيم 10
• لنُطوّر من أدائنا كميل أبو حنيش 11
• ورقة بحثية: نحو اشتقاق مهام وإجراءات عملية لتحرير الأسرى ولإفشال قانون إعدام الأسرى علیان علیان 13
• بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني نعيم إبراهيم 16
• المؤامرة القديمة المتجددة: «ريفييرا ترامب».. من غزة إلى «إسرائيل الكبرى» 17

شؤون عربية

• ماذا نريد؟ محمد أبوشريفة 19
• هل تعيد دول الخليج العربي النظر في منظومة الحماية الأمريكية؟ مسعود أحمد 20
• الملامح السياسية للمنطقة العربية في ظل العدوان على إيران د. عابد الزريعي 21
• مضيق هرمز.. إله الحكمة والنور الذي يُغرق العالم في المجهول رضي الموسوي 23

شؤون دولية

• التفوق الايراني: لحظة تاريخية مفصلية في هزيمة الإمبريالية والصهيونية د. محمد عبد القادر 25
• بوصلة العدالة الدولية.. فلسطين (أنموذجا) د. محمد عياش 27
• الأزمة الاقتصادية العالمية.. فاتورة العدوان على إيران !.. محمد صوان 29
• دبلوماسية مفاوضات الخطوة بخطوة في إسلام أباد سمير دياب 31
• الدور الخفي لإستين في الشرق الأوسط وتأثيره على القضية الفلسطينية علي زيدان 33
• إيران واليوم التالي للعدوان حمزة البشتاوي 36
• مليون توقيع تهزّ أوروبا: حملة شعبية لتعليق اتفاقية الشراكة مع إسرائيل عمر فارس 37

شؤون العدو

• نتنياهو وسردية الانتصار: خطاب سياسي يناقض الواقع الاستراتيجي د. إبراهيم يوسف عبيد 38
• عن فائض القوة وتعثر آمال نتنياهو في مشروع «إسرائيل الكبرى» إبراهيم أبو ليل 40
• عدوانية نتنياهو وتهوّر ترامب إلى أين؟ أحمد عويدات 41
• باتاغونيا في قبضة «جوشوا»: هل تُبنى «دولة الظل» الصهيونية فوق رماد الجنوب؟ نبال عمر 43
• النازية والصهيونية توءمان خرجتا من بطن الإمبريالية عبد الله جناحي 44
• تراجع تأثير الإيباك داخل الأوساط السياسية الأمريكية الحزب الديمقراطي نموذجاً.. حسين موسى 48
• الكيان الصهيوني منذ طوفان الأقصى إلى اليوم: ما الذي تغيّر؟ موسى جرادات 49

ترجمات الهدف:

• بروكسل.. نهاية الغياب الأوروبي 52

• **دراسات الهدف:** تقدير موقف: الحرب الإمبرياليّة الهجينة على مالي: الأبعاد، الأهداف والفاعلون موديبو دانيون وسليمان منغاني 53

شؤون ثقافية

• حوار الهدف الثقافي: مع المؤرخ أحمد المفتي أمينة عباس 59
• لقاء الهدف: الروائي الفلسطيني علي الخليلي: وفاء حمّيد 62
• الرواية المصرية فى الوقت الراهن ضحيّة تَخلّف النقد الأكاديمى خالد إسماعيل 63
• الأرض في الإبداع الفلسطيني د. ثائر يوسف عودة 65
• كوليت خوري البرجوازية الجريئة باسمة حامد 67
• براءة الأطفال تجابه جحافل الحرب ديمه داوودي 68
• «سمك ميت يتنفس قشور الليمون» للروائي الراحل خالد خليفة بسام سفر 69
• لقاء صريح مع صاحبة فيلم فلسطين 36 عبد الرزاق دحنون 71
• سؤال الحياة؛ والكتابة في رواية « جسر عبدون» لقاسم توفيق بسام عليان 75
• المؤلف والملحن والموزع الموسيقي حسين نازك موسى مراغة 77
• مجازر مُخيّم جباليا.. قصص وثائقية غرز الدين جازي 79
• من تجليات طوفان الأقصى في المسرح السوري من تجليات طوفان الأقصى 81
• فعاليات أكاديمية دار الثقافة في المسرح السوري 83
• في الهدف: مها خليل.. ولا تنتهي الحكايات أحمد علي هلال 84

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي
أيمن الحسن

الإدارة
حسن شتيوي

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الجبهة الشّعبية لتحرير فلسطين

تنعي رفيقتها الدكتورة المناضلة التاريخية

مهى أبو خليل

والتي استشهدت يوم الجمعة الموافق 2026/04/17 إثر عدوان صهيوني غادر على مدينة صور في لبنان، بعد مسيرة حافلة بالنضال والكفاح الوطني المبدئي، متمسكة بالثوابت الوطنية والعربية ومؤمنة بعدالة القضية الفلسطينية

الافتتاحية

كيف تتوقف الحرب ويستمر العدوان؟!!

تزداد التحديات في دول المنطقة على المستوى الشعبي والرسمي ارتباطاً بحجم المخططات التي تستهدف بلادنا وخاصة تلك المتعلقة بالهيمنة الإمبريالية وخاصة الأمريكية وتلك المرامي والأهداف الصهيونية والتوراتية التي تشير لها خرائط الأطماع الاستعمارية والتوسع الصهيوني.

فيما يستأنف التحالف الاستراتيجي الصهيو-أمريكي حربه وعدوانه بطرق وأشكال مختلفة رغم وقف إطلاق النار في غزة ولبنان، وكذلك في جبهة إيران ومضيق هرمز ، ويتجلى ذلك بمخططات عدوانية منهجية معلنة وواضحة أبرزها استمرار القتل والتدمير في قطاع غزة، ورفض الكيان الصهيوني الالتزام بتطبيق المرحلة الأولى من «خطة ترامب» أو اتفاق وقف إطلاق النار رغم التزام الفلسطينيين بما هو متوجب عليهم، وبات من حقهم إعلان موقفهم بربط الذهاب لتنفيذ ما يترتب عليهم في المرحلة الثانية من الاتفاق بإلزام الكيان الصهيوني بتنفيذ كل القضايا المطلوبة منه في المرحلة الأولى.

ويواصل الكيان الصهيوني اعتداءاته على القدس والمقدسات وعلى الضفة الغربية بالتدمير والترحيل والقتل والاعتقال والاستيطان والضم، على قاعدة حسم الصراع في فلسطين والسيطرة الكاملة على أراضيها وجغرافيتها والهدف هو تهجير أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين وخاصة في قطاع غزة والضفة والقدس، وتهويد ما يستطيع من قرى وبلدات الجليل في شمال فلسطين واستجلاب الآلاف من الهنود مدعيا ب «اصولهم اليهودية» للاستيطان فيها أو حولها، والهدف فرض وقائع ديمغرافية وتغيير المعالم العربية وعزل هذه البلدات والقرى عن بعضها البعض.

في لبنان ورغم الانقسام العامودي حول الموقف من العدوان الصهيوني وطرق المواجهة، بين الموقف الرسمي وبعض القوى المتوافقة معه بالذهاب إلى المفاوضات المباشرة، وبين موقف قوى المقاومة الرافضة للمفاوضات المباشرة، والمصرّة على مواجهة العدوان الصهيوني ومقاومته بكل الأشكال، في ظل إجماع اللبنانيين على وقف إطلاق النار والانسحاب الإسرائيلي من كل الجنوب اللبناني وإطلاق سراح الأسرى اللبنانيين وعودة جميع النازحين إلى قراهم وبيوتهم وإعادة الإعمار. إلا أن العدو يستمر في عدوانه معلناً أهدافه باحتلال الجنوب اللبناني، وصولاً لنهر الليطاني وتهجير كل سكانه،

إضافة لاستمرار الضغوط على الدولة اللبنانية للعمل على نزع سلاح المقاومة، ولو تطلب ذلك الذهاب إلى حرب أهلية وتفكيك الدولة والجيش، وهذا ما يراه جميع اللبنانيين على اختلاف مواقفهم خطراً كبيراً بل «خط أحمر».

تبقى وحدة الموقف في مواجهة الخطر الصهيوني ضرورة وطنية ملحة تستوجب مستوى من التفاهم والتكامل وتنسيق الموقف بين الدولة والمقاومة لضمان الوحدة والسيادة. نعم تم الاتفاق على وقف إطلاق النار بين أمريكا ومعها الكيان الصهيوني، وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد أربعين يوماً من الحرب والعدوان على إيران ،ورغم تداعياتها الخطيرة على كل المنطقة والعالم بأبعادها السياسية والعسكرية والاقتصادية، إلا أن الصراع على جبهة الخليج ومضيق هرمز لا زال مستعراً من خلال الحشودات العسكرية للأساطيل وحاملات الطائرات والمدمرات لفرض الحصار البحري على الموانئ الايرانية، ومن جهة أخرى فإن الآلية التي وضعتها إيران بالاتفاق مع سلطنة عُمان للإشراف على الإدارة وحركة المرور في مضيق هرمز الاستراتيجي. في ظل تعثر المفاوضات بين أمريكا وإيران يغدو الوضع في المنطقة والإقليم خطيراً جداً وعلى حافة الهاوية. أما في سوريا ورغم المساعي الأمريكية من أجل التوصل إلى تفاهمات أمنية مع الكيان الصهيوني إلا أن التوغلات الصهيونية، وإقامة نقاط أو قواعد عسكرية ذات طبيعة استراتيجية في جبل الشيخ، التوغلات والحملات العسكرية والأمنية التي تطال عشرات القرى في ريف القنيطرة، ودرعا بهدف توسيع المنطقة الأمنية العازلة، محاولا فرض شروطه الجائرة التي تنال من سيادة الدولة السورية وحقها في صون أمنها القومي وحماية أراضيها وسلامة مواطنيها.

إن تنبه القيادة السورية لحجم الأطماع والأخطار الصهيونية يجعلها تأخذ الموقف الوطني الرافض للخضوع والإذعان ولو تطلب ذلك مستوى من التحدي والمواجهة.

إن أي تقدم في تحقيق أهداف العدوان الصهيو-أمريكي في أي من البلاد والمناطق المذكورة أعلاه لن يكون خطراً محدقاً بها فقط، بل سيطال كل دول المنطقة وخاصة الدول العربية وأمنها القومي المغيّب أصلاً، وسيمكّن «دول» العدوان من فرض سيطرتهم وهيمنتهم ووصايتهم على كل دول المنطقة، والذهاب ابعد من فرض شروط وحدود التبعية السياسية والاقتصادية، إلى الوصاية الأمنية والعسكرية وإعادة رسم خرائط الجغرافيا السياسية من جديد.

فمواجهة هذا الخطر هي واجب مقدس، يبدأ بقضية فلسطين والانتصار لعدالتها ولحقوق شعبها، ولا ينتهي بتعزيز استراتيجية ومنظومة الدفاع والأمن القومي العربي كضرورة لبناء المشروع النهضوي العربي.

يوم الأسير الفلسطيني.. والتحديات الراهنة
ما الذي ينتظر الحركة الوطنية الأسيرة من استحقاقات؟

في غمار الذكرى المتجددة ليوم الأسير الفلسطيني واستعادة زخم الحركة الوطنية الأسيرة، تأتي المصادقة مؤخرا على ما سمي « بقانون إعدام الأسرى» في ظل ما تعانيه تلك الحركة، لتثير أسئلة كثيرة، لا تتعلق بفحوى وما هيّة - ذلك القانون – بقدر ما تتعلق بتوقيته المثير للجدل، كما أبعاده ودلالاته على غير مستوى.

في هذا السياق توجهت «الهدف» بأسئلتها إلى الأسيرين المحررين الرفيقين أحمد أبوالسعود، ومحمود عيسى، للوقوف على حقيقة الإعلان القديم/الجديد وخفاياه، واستجلاء للموقف منه وما قد يخفيه من حقائق في الداخل الإسرائيلي، وفي المؤسسة الأمنية والعسكرية الصهيونية، فضلا عن استحقاقاته وانعكاساته على مستقبل الحركة الوطنية الأسيرة.

أحمد أبوالسعود

ليس مفاجئا مصادقة قرار إعدام الأسرى العرب من قبل ما يسمى بالكنيست الصهيوني، فهو يعبر عن جوهر الثقافة والسياسات الصهيونية مذ ولدت ، لأن الكيان الصهيوني مارس الإعدام على الفلسطينية وكل من قاوم الاحتلال على مدى عمر هذا الكيان، ولأن هذا الاحتلال يتلقى دعما بلا حدود من قبل دول الغرب وغير الغرب وفي المقدمة أمريكيا، وظهر أن يخالف كل القوانين الدولية ويجد من يحميه ويدافع عنه، وجد أن أحدا لن يقف موقفا جادا حين يقر قانونا عنصريا كهذا .

بعد التحول التدريجي على الكيان الصهيوني نحو الفاشية بات إقرار قانون الإعدام أمرا يسيرا، علما أن هناك محاولات كثيرة لإقراره ولم تنجح، في هذا التوقيت بعد أن كشفوا حقيقتهم الإجرامية، ولم يعودوا يتغنون بتميزهم ككيان ديمقراطي في محيط لا ديمقراطي.

بعد أن انقشع زيف الديمقراطية عن الاحتلال الصهيوني، سارع الوزير المجرم بن غفير بالدفع لإقرار قانون الإعدام ليحصل على أصوات الشارع الصهيوني الذي بات يمينيا ويشرعن ويتقبل قتل الأطفال قبل الكبار، وفي ذلك أيضا ممارسة للضغط على العالم الغربي ليساعدوا على تهجير وقتل كل مقاوم عربي وفلسطيني، لأن قانون الإعدام المشرع فقط ينطبق على الأسرى العرب ولا ينطبق على أي صهيوني يقتل عربا أو غير عرب.

محمود عيسى - أبو مارسيل

فبما يتعلق بقانون الاعدام وأن هذا القانون ليس جديداً وتتم المصادقة عليه في هذا التوقيت، في هذا السياق نقول رغم أن ما يسمى بقانون إعدام الاسرى ليس جديداً في الأدبيات الصهيونية، فهي من ارتكبت مجازر دير ياسين وكفر قاسم وقبية وغيرها.

فإن إعادة طرحه والمصادقة عليه في هذا التوقيت تحديداً ليس مسألة قانونية بقدر ما هي انعكاس مباشر لأزمة عميقة يعيشها الكيان الصهيوني بعد السابع من أكتوبر. ومن واقع تجربتي كأسير سابق تحرر بفعل المقاومة وأمضى سبعة وعشرين عاماً في سجون الاحتلال، أستطيع القول إن هذا القانون لا يمكن فصله عن حالة الفشل المركب التي يواجهها الاحتلال عسكرياً في محاولة كسر إرادة المقاومة، وأمنياً في استعادة قوة الردع، وداخلياً في احتواء حالة القلق والانقسام داخل المجتمع الإسرائيلي. في مثل هذه اللحظات تلجأ الأنظمة المأزومة يعني إلى تصعيد أدواتها العقابية، ليس لأنها تملك فائض قوة، بل لأنها تعاني من نقص هذه القوة. والمصادقة على هذا القانون تحمل دلالات متعددة، أولى هذه الدلالات هي محاولة لإنتاج ردع نفسي، بعد أن أثبتت التجربة أن السجون مهما طالت سنواتها أبداً لم تكسر إرادة الأسرى ولم توقف الفعل المقاوم. والدلالة الثانية استجابة لضغط اليمين المتطرف الذي يعني يحاول ويسعى إلى ترجمة خطابه الإقصائي من خلال تشريعات انتقامية، لكنها في جوهرها هي تعبير عن ارتباك بنيوي لا عن قوة متماسكة. في هذا السياق، نعم يمكن قراءة هذا القانون بوصفه رسالة مزدوجة بل وأداة ابتزاز سياسي بامتياز، فهو أولاً موجه إلى الداخل الإسرائيلي كمحاولة لطمأنة جمهور قلق عبر إظهار مزيد من الحزم والقبضة الحديدية، في ظل شعور متزايد بفقدان السيطرة خاصة بعد التحولات الأخيرة، وهو في الوقت ذاته موجّه إلى الخارج كورقة ضغط، حيث يجري توظيف حياة الأسرى في لعبة المساومة السياسية، سواء في سياق التهدئة أو صفقات التبادل أو من خلال مواجهة الضغوط الحقوقية الدولية. إذن، الاحتلال يدرك تماماً مركزية ملف الأسرى، لذلك يسعى إلى رفع سقف التهديد إلى أقصى درجاته، محاولاً تحويل هذا الملف من قضية تحرر وحقوق إلى أداة تفاوض وابتزاز. لكن هذه السياسة كما خبرناها داخل السجون لا تنتج استسلاماً، في الغالب ما تولد أثراً عكسياً، تولد مزيد من التماسك داخل الحركة الأسيرة ومزيد من الالتفاف الشعبي حولها. لذلك نقول إن قانون الإعدام لا يعكس ثقة بالنفس بل خوفاً متصاعداً، ولا يعيد بناء الردع بل يكشف عن تآكله. فالأسرى ليسوا أفراداً معزولين يمكن إخضاعهم عبر التشريعات، ولكنهم هم جزء حي من حركة التحرر ومن المشروع الوطني الفلسطيني، وكل تصعيد بحقهم بالتأكيد سيقرأ في الوعي الجمعي الفلسطيني كتصعيد في مجمل عملية الصراع. لذلك نقول إن هذا القانون بدل أن يكون أداة حسم قد يتحول إلى عامل تفجير إضافي، يوسع دائرة المواجهة ويضع الاحتلال أمام اختبار أخلاقي واختبار سياسي واختبار قانوني أكثر عمقاً، ليس فقط مع الفلسطينيين بل مع العالم أجمع. فقانون الإعدام نؤكد ونقول أنه قانون إعدام الأسرى، ليس استعادة للردع بل اعتراف بأزمة، ومحاولة ابتزاز سياسي بدم الأسرى الفلسطينيين.

يوم الأسير الفلسطيني

مفهوم الأسرى بين السردية القانونية الدولية والممارسة الصهيونازية

أبو علي حسن - عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

لا أعتقد أن هناك حركة أسيرة في التاريخ نالت هذا القدر من المكانة الوطنية والسياسية بقدر ما نالته الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة.

فالأسرى الفلسطينيين قد صنعوا من زنازينهم ظاهرة وطنية يصعب على الكيان أن ينهيها برغم كل جبروت وأدوات بطشه وأسلحة التعذيب لديه، واستحالت هذه الظاهرة الاجتماعية الوطنية إلى بركان متأجج لا ينطفئ، كلما وُضع فيه أسير، صار اشتعالاً أقوى وطال زمنه.

لقد تميزت الحركة الوطنية الأسيرة عن غيرها من سرديات الأسر حول مفهوم الأسر وطبيعة الأسر ارتباطاً بكونها حركة لصيقة بشعب يملك عناداً أبدياً، فصار الأسر تعبيراً عن شعب يكافح من أجل حقوقه بطاقة عناده وإيمانه، «وهو تجلٍ لسيرورة كفاحية ممتدة لا تتوقف»، وليست نتاجاً أو إفرازاً لحرب بين جيشين أو معركة عسكرية تم فيهما أسر من الجانبين وفق شروط التعريف الدولي للأسير: «من يقع في قبضة العدو من أفراد القوات المسلحة أو الجماعات المسلحة أثناء الحرب»، ويمكن أن ينتهي الأسر فور انتهاء الحرب. إنما هي حركة شعب بأكمله يخوض مقاومة شاملة في مواجهة كيان استيطاني وعنصري متوحش يملك من أدوات القوة والأمن والبطش ما لا تملكه دول كبرى.. وبهذا المعنى فإن كل الشعب أمام إمكانية الأسر والتحول من السجن الجغرافي الكبير إلى زنازين السجن الصغير، وبهذا المعنى أيضاً نحن أمام ظاهرة / حركة ثورية تم تسميتها بـ»الحركة الأسيرة» ليس اعتباطاً وإنما لمأسسة كفاح الأسرى وطنياً، وبصمود الحركة الأسيرة وديمومة حضورها قد أعطت بعداً آخر لمعنى الأسر ومقارباته مع نماذج أسر مختلفة في العالم، وهو البعد الشعبي الشامل التواصلي زمانياً ومكانياً، والبعد الزمني هنا بمعنى السيرورة. كما اتسمت هذه الحركة ببعدها السياسي الوطني والاجتماعي كجزء من م.ت.ف وذراع كفاحي من وسط الشعب، وبمعنى اتساع عمليات الأسر التي تتجاوز التعريف الدولي وشروطه، فاعتقال الأطفال والنساء والشيوخ جسّد هذا البعد الاجتماعي. فالأسير الفلسطيني تجاوز جدران الزنازين وتجاوز شروط وتعريف الأسير قانونياً وبات مقاوماً داخل ساحة المعتقلات كما خارجها، وفتح جبهة أخرى للمقاومة في أضيق حيز جغرافي.

السجون «وبأدوات لا تمت للبندقية بصلة، أدوات الوعي»، لكنها أمضى من الرصاص وأصعب على الاحتلال أن يكسرها. فالانتقال من السجن الكبير إلى السجن الصغير، ولكلٍ له قوانينه في النضال والمواجهة، هي عمليةٌ صراعية تحكمها سوسيولوجيا شعبية مقاومة وآليات دفاع ذاتية لا يدرك طبيعتها النازي الصهيوني.

سياسات صهيونازية مغايرة لمفهوم وحقوق الأسير

النازية الصهيونية الجديدة غيرت مفهوم الأسر من تعريف قانوني دولي إلى مفهوم تخريبي وإرهابي: «سجناء أمنيون». فأسمت الأسير بالمخرب ولاحقاً بالإرهابي استجابة للغة التحديث الاستعمارية في صناعة الأعداء وتغيير شروط الحروب. وفق هذا المفهوم لا يخضع الأسير الفلسطيني للقوانين الدولية أو اتفاقيات جنيف التي تمنع التعذيب والترهيب وتسمح بالرعاية الصحية والأكل ...الخ، وعليه لا تنطبق عليه حقوق الأسر كونه مخرباً وإرهابياً، ويمارس عليه الاعتقال الإداري والاعتقال المتكرر والدائم دون تهم ودون محاكمات. وفي السياق وصلت الاعتقالات الإدارية إلى مائة وخمسين ألف مواطن مدني، وعليه فالأسير الفلسطيني ليس بالضرورة أن يؤسر على أثر معركة، وإنما يؤسر على أثر رأي أو تصريح أو انتماء سياسي أو تحريض اجتماعي...

*إن الحركة الأسيرة قد تحولت من مجرد أعداد من الأسرى المقاومين إلى مؤسسة كفاحية منظمة داخل السجون تعنى بشأن كل الأسرى في السجون الإسرائيلية، ترعى نضالاتهم وإضراباتهم وترعى ثقافتهم وبرامج المواجهة مع جلادي الكيان، لها تقاليدها ونظمها الكفاحية، وبرامجها الثقافية والفكرية، ولها اسمها المعبر عنها «الحركة الأسيرة» كتعبير كفاحي وسياسي في داخل السجون وخارجها، كنادي الأسير ومؤسسة الضمير في غزة والضفة ولجان الأسرى في أماكن عديدة.. أي أن الأسرى مأسسوا حركتهم ونضالاتهم داخل وخارج المعتقل...

*إننا لا نتحدث عن بضعة أسرى بقدر ما نتحدث عن مئات آلاف الأسرى على مدى زمني يقارب النصف قرن. إننا بصدد شعب كامل يمارس عليه الأسر، فإذا كانت تعبيراته هي السجون الإسرائيلية المنتشرة في كل فلسطين، فإن تعبيره الأشمل هو السجن الكبير في غزة والسجون الكبيرة في مدن الضفة المسيجة بجدار أكبر من جدار برلين، ولكن دلالاته الكبيرة تشي بأن الشعب الفلسطيني كله يقاوم ولم تثلم نصل عناده لا من طول المواجهة ولا من عنف وبطش ونازية الاحتلال.

ومن المفارقات أيضاً أنه خلال هذه الفترة من الاحتلال صدر «أكثر من مليون حكم عسكري وملايين من سنوات الأحكام منها المؤبدة المضاعفة التي تفوق عمر الإنسان مرات ومرات على المناضلين»، وذلك لإقفال أي أمل لدى الأسير بالإفراج عنه تحت أي ظروف، وهذه مفارقة وفرادة العنصرية الصهيونية في كسر وتحطيم الأمل.

تجدد الحركة الأسيرة

إن الحركة الأسيرة على مدار تاريخها كان يتوالد من رحمها مناضلون أشداء يعاودون الكرة في كفاحهم مرات ومرات دون أن تلين لهم قناة أو تفتر عزيمة، ولا يمر يوم واحد إلا وعشرات المناضلين يدخلون السجون بتهم الإرهاب. وتشير التقديرات الموثقة أن عدد المقاومين الذين دخلوا السجون الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ يفوق المليون مواطن، وعلى مدى خمسين عاماً كان معدل الأسرى اليومي في السجون أكثر من خمسة آلاف مناضل، وهذا رقم له دلالاته الوطنية والسياسية مقارنة مع العدد القليل من السكان في الضفة والقطاع. ومن المفارقات الرقمية في الأحكام على المناضلين، أن الاحتلال أصدر خلال هذه الفترة أكثر من مليون حكم عسكري على المناضلين، وقد بلغت الأحكام ملايين السنين في ظاهرة نازية يصعب تصورها في التاريخ.

*ولكن الأهم أن الحركة الأسيرة تحولت إلى «مدرسة ثورية» تخرج منها أكاديميون وأدباء ورواة وكتاب وشعراء ملأوا الفضاء الثقافي الفلسطيني بعظيم الأعمال الفكرية والثقافية تحت عنوان «أدب السجون»، وأضافوا سردية أدبية وكفاحية اخترقت وتجاوزت حدود فلسطين إلى الفضاء العالمي، وحتى الفضاء اليهودي ذاته.

بدون مجازفة يمكن القول إن أكبر فصيل فلسطيني يقدم التضحيات المتواصلة هو فصيل «الحركة الأسيرة»، فهو أكبر الفصائل وأكبر الفصائل عدداً، وأكثر من يجدد في عضويته وبناه، وأكثر من يخرج من الكفاءات الأدبية والسياسية، وأكثر من يعاني ويتحمل عصابات الاحتلال. وإذا كانت كل الفصائل لها يوم لانطلاقتها، فالحركة الأسيرة لها يومها الرمزي كما كل الفصائل، وهانحن نحتفي بالأسرى في هذا اليوم المجيد. والحركة الأسيرة هي أكثر الفصائل تجسيداً للوحدة الميدانية: وحدة حياة الأسر ووحدة المعاناة ووحدة الوجدان والإرادة.

*والحركة الأسيرة هي أكثر الفصائل اختراقاً وتوظيفاً للرأي العالمي لقضية فلسطين، وكم من متضامن غربي ويهودي عمل على إعلاء قضية الأسرى عالمياً وربطها بالقضية الفلسطينية. ولعل المحامية فليسيا لانجر والمحامية ليئا تسيمبل قد أسهمتا في رفع قضية الأسرى إلى الرأي العام العالمي أكثر من الدور العربي إعلامياً وسياسياً، وكذلك المفكر الإسرائيلي آلان بابيه في كتابه «أكبر سجن على الكرة الأرضية» قد أماط اللثام على قضية الأسرى وعذاباتهم في السجن الكبير وتحليله العميق لسياسات الاحتلال في تدمير الشخصية الفلسطينية، أكثر من كتابنا العرب أمام الرأي العالمي.

*أخيراً، إن عمليات الاعتقال والأسر لمناضلينا لا تستهدف فقط حرمانهم من الحرية داخل السجون، إنما كل عمليات التعذيب الممنهجة التقليدية والحداثوية تطال الأسير في بنية وعيه وتدمير شخصيته ونفسيته، عبر عمليات ما يسمى بصهر الوعي وتحطيم الأنا الواعية والوطنية وكسر اليقينيات والرموز وتحويلها إلى حطام ومعالم ذل ويأس أمام المجتمع الفلسطيني. ورغم ذلك لم ينجح الكيان في تحقيق غاياته، حيث لجأ إلى التخلص من معضلة قوة الأسرى ومدارسها بقانون الإعدام الجديد يأساً وثأراً من مظاهر الصمود الأسطوري للأسرى.

*لا يمكن الإضاءة على الحركة الأسيرة كعنوان إلا في سياق قراءة لطبيعة «السياسات واستراتيجية السجن الكبير».. وهذا عنوان يشكل أساساً موضوعياً لوجود الحركة الأسيرة..

منذ بدأ الاحتلال للضفة وقطاع غزة، حيث كانت الاعتقالات الإسرائيلية للمواطنين الفلسطينيين أحد أهم مظاهر الاحتلال في أبشع صوره وبطشه، فقد ظلت الاعتقالات سياسة قائمة على مدار ستين عاماً، ولم تتوقف يوماً واحداً. أخذت الشاباك الإسرائيلية مسؤولية تنفيذ الاعتقالات اليومية، فالكل الفلسطيني معرض للاعتقال في أي لحظة بسبب وبدون سبب، بتهمة وبدون تهمة، يكفي أن تكون فلسطينياً حتى يتم اعتقالك. فالاعتقال هو سياسة رسمية أمنية وهي الوجه الأهم لإدارة وحضور الاحتلال.

*إن هذه السياسة العنصرية في ممارسة الاعتقالات لا يمكن فهمها أو قراءتها إلا في سياق «أيديولوجيا العنف للإنسان الفلسطيني»، الأمر الذي يستدعي فك رموز هذه السياسة المرافقة للاحتلال. فالاحتلال لا يلجأ إلى الاعتقالات في سياق قانوني تكون فيه مساحة من الحماية أو الدفاع للمواطن أو المتهم، إنما هي «عملية قهرية عنفية» ذات طبيعة سادية لها سمة الاستمرار والتكرار ضد الفلسطيني.

*في ضوء ذلك لا يمكن الوقوف أمام عنوان الاعتقالات الدائمة دون قراءة تاريخية للاستراتيجية الأمنية في كيفية السيطرة على الأرض والسكان، وهي سياسة مبكرة على احتلال الضفة والقطاع، حيث وضعت خطة «شاكهام» عام ١٩٦٣ تحت عنوان «تنظيم الحكم العسكري في المناطق المحتلة». هذه الخطة كانت مرافقة لخطة عسكرية مبكرة لاحتلال الضفة والقطاع قبل عام ١٩٦٧ بخمس سنوات، أي أن الاحتلال وتنظيم الاحتلال مدبّر سلفاً تحت عنوان «في حال احتلال الضفة والقطاع كيف يمكن إدارتها أمنياً والسيطرة على السكان».

*فالاعتقالات هي ترجمة للحكم العسكري الذي فرض على الضفة والقطاع، وهي ذات التجربة للحكم العسكري الذي فرض على شعبنا في ٤٨ على مدى ١٨ عاماً، عانى فيها شعبنا كل صنوف القهر والاعتقال والتطهير والترحيل ومصادرة الأراضي. وعليه فإن سياسة الاعتقالات ليست إلا مفردة من مفردات «استراتيجية الكيان في السيطرة»، مما يعني أن الوقوف أمام الاعتقالات كسياسة رسمية يعني الوقوف أمام أيديولوجيا واستراتيجية العنف والسيطرة بمرجعيتها الدينية التوراتية التلمودية من جهة والاستعمارية النازية من جهة أخرى، وضرورة القراءة في السياسات التاريخية الممارسة لهذه الأيديولوجيا العنفية، وتمرحل هذه السياسات وفق الظروف المواتية والفرص السياسية وموازين القوى الدولية المتاحة أمام الكيان. فالاستيطان كان بمثابة التأسيس الديموغرافي والاقتصادي، ثم كانت مرحلة إقامة الكيان، وبعد ذلك مرحلة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، تلك السياسات كانت بمثابة بروفة لحرب ١٩٦٧ التي احتلت فيها الضفة والقطاع تحت شعار «استرجاع قلب إسرائيل». أما مرحلة إسرائيل الكبرى فهي مرحلة طويلة التأسيس عبر التوغل وفرض النفوذ في الواقع العربي وتدجين الحالة العربية. وحتى تكتمل المراحل يستلزم ضمان ما حققته المراحل السابقة وهذا لا يتم من وجهة نظر الاستراتيجية الأمنية إلا من خلال السيطرة الأمنية والاعتقالات وإدارة السجون والسيطرة على السكان بالعنف.

*من هنا فإن سياسة الاعتقال هي عملية استكمال للتطهير العرقي الذي مورس على شعبنا منذ عام ١٩٤٨ من القتل والتهجير القسري، ولما كان التطهير العرقي اليوم أمراً يصعب تحقيقه في ضوء المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية، فإن سياسة الاعتقال هي عملية تيئيس ونيل من المعنويات واختراق فيروسي للوعي والإيمان والحلم الفلسطيني، وبالمحصلة هي سياسة الإخضاع والإعياء ومحاولة التنويم المعنوي، والقتل البطيء للفلسطيني معنوياً وجسداً على طريق القتل السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية وقتل الحركة الأسيرة في السياق. وهذه هي الترجمة الحرفية لخطة سموتريتش المعلنة والمطبقة على الأرض...

لنُطوّر من أدائنا

كميل أبو حنيش
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،
كاتب وأديب ومفكر، وأسير محرر ومبعد إلى الخارج

تناولنا مرارًا قضية الأسرى الفلسطينيين، خاصة ما يجري بحقّهم في السجون الصهيونية، على الأقل منذ السابع من أكتوبر، وما يضجّ به عالم السوشيال ميديا حول هذه القضية. وهنا ألتمس منكم العذر على بعض الإشارات التي قد تبدو قاسية، أو تنمّ عن جهل، أو على بعض الاجتهادات التي كانت قد تكررت، ولكن أردت أن يكون مقالي مختلفًا في تناول هذه القضية، حتى لا نكرر أنفسنا في كل مرة، مما يبعث على الخشية من أن يحدث نوعٌ من الملل لدى القارئ والمتابع لهذه القضية.

وحتى أفصح عمّا يجول في داخلي، أوجز القول: إننا ينبغي أن نطوّر من أدائنا ونبحث عن مقاربات جديدة. ومن بين ما أقترحه أن نبحث عن كل ما يستفزّ العدو ويفضح صورته وممارساته؛ فعندما نتفاعل مع بعض المحتويات الصادرة عن الاحتلال، كالفيديوهات التي يُظهرون من خلالها التنكيل بالأسرى وإذلالهم، إنما نساعدهم في إذلال أنفسنا، وهو ما يريدونه بالضبط. فبن غفير، مثلاً، يكون في قمة سعادته عندما نقوم بنقل صوره وفيديوهاته، وهو يريده بالضبط.

الفكرة التي أقترحها هي مزاحمة عدونا على لعب دور الضحية؛ فهو يحتكر هذا الدور، وخاصة في موضوع الهولوكوست. فأشد ما يزعج العدو ليس وصفه بالنازية، وإنما الإثبات أن ممارساته شبيهة تمامًا بالممارسات النازية. فعندما نحاول المقاربة بالصورة والفكرة، وتعميق هذا البحث، فإن ذلك يثيره ويستفزه.

أود استحضار بعض الأمثلة التي قد تُضيء الفكرة لدى البعض منكم؛ فعندما نبحث عن صور قديمة للمعسكرات النازية ونقارنها بما يماثلها في السجون الصهيونية، وننشر هذه الصور خاصة أمام الرأي العام الغربي، فإن ذلك يثير تساؤلات من شأنها أن تُربك العدو. أما عن الممارسات، فلدينا عشرات الأمثلة التي تدل على أن التجربة الصهيونية في السجون قد اقتبست التجربة النازية وتمثّلتها.

في التجربة النازية، كان يجري التشديد على دقة الإجراءات، بما ينطوي على مركزية شديدة وبيروقراطية كفؤة، وهو ما يحوّل الجندي أو السجّان إلى مجرد برغي في آلة، ينفّذ الأوامر بدون اعتراض، بحيث تُستلب إنسانيته ويُحوَّل إلى كائن آلي يُبرمج ويُحرَّك عن بُعد. وهو ما يحدث تمامًا في السجون الإسرائيلية.

شهدنا هذا المشهد في السجون، فقد كان السجّان قبل السابع من أكتوبر وحتى قبل تعيين بن غفير كمسؤول عن السجون يتصرف إلى حدٍ ما وفقًا لتوجيهات منضبطة ومعتدلة من حيث السلوك والتصرف، وبقشرة من الممارسة الليبرالية. بعد السابع من أكتوبر انقلب المشهد تمامًا، وبدا عموم السجّانين أشبه بالزومبي الذي يتصرف بلا عقل، وبلا أية مشاعر إنسانية. كان ينفّذ الأوامر بدقة، ويتصرف على نحو مغاير لما كان عليه قبل الحرب. فما يجري ليس مجرد فورة دم أو انتقام على خلفية قومية أو أيديولوجية أو دينية (وإن ظهرت كذلك في بعض المواضع)، إنما هو سلوك كائنات هلامية تنفّذ مهامها بعمىً وآلية باردة.

في التجربة النازية، أُجريت آلاف التجارب الطبية على الضحايا، من أدوية وتشريح وتجارب على احتمال الجسد للتعذيب، أو إجراء عمليات بدون تخدير، أو انتزاع للأعضاء ونشر الأمراض. وهو ما يُحتمل أنه حدث في السجون والمستشفيات الصهيونية. كما حاولت مصلحة السجون الإسرائيلية أن تروّج باختفاء مقيت لبرنامج "ريجيم"، مستخلصة التجربة من تجويع الأسرى وانخفاض أوزانهم، بحيث استعرضوا ما يُقدَّم للأسرى من طعام طوال الأسبوع، مقدّمين نصيحة للباحثين عن ريجيم ناجع أن يتبعوا برنامجًا شبيهًا بما يُقدَّم للأسرى.

أما عن الغاز، فرغم أن النازيين استخدموا الغازات السامة القاتلة، فإن الصهاينة باستخدامهم للغازات الخانقة والمسيلة للدموع إنما يتسببون في إيذاء للجسد، وبعاهات دائمة قد تستمر طويلاً. فقد عانيتُ شخصيًا من ضيق في التنفس وسعال شديد استمر فترة طويلة،

ورأيتُ بأمّ عيني حالات اختناق شديدة تلامس الموت.

صورة أخرى تنمّ عن سادية مرضية: ففي حالة النازيين كانوا يستخدمون الأفران لحرق جثث الموتى أو الأحياء. وفي حالة الصهاينة، استُخدمت مؤخرًا في فصل الشتاء ما يُعرف بغرفة التبريد، بحيث يُعاقَب الأسير بوضعه لأسبوع أو أكثر في حجرة باردة مزوّدة بأجهزة تبريد، ولا يكون لديه أغطية أو ثياب كافية، بحيث يمتص البرد الحياة من الجسد ويصله إلى حافة الموت قبل إعادته إلى قسمه.

فهذه التجربة، ومعها عشرات التجارب الأخرى من ضرب وتجويع وإهمال طبي وتعذيب نفسي، يمكن تسميتها بسياسة "الإعدام البطيء". فإن لم يفارق الأسير الحياة في السجن، فإنه بعد تحرره يظل يعاني من أمراض مزمنة تؤدي إلى وفاته في وقت وجيز.

لدينا المئات وربما الآلاف من الأمثلة التي ابتكرها الصهاينة في تعذيب الأسرى، وهي شبيهة تمامًا بما كان يسلكه النازيون.

لذا أقترح البحث العميق وإجراء مثل هذه المقاربات، وعلينا أن نبحث عن مفاهيم جديدة تصلح أن تكون عناوين حصرية لممارسات العدو، أو تدخل في القواميس الأكاديمية في الجامعات والأبحاث. وعلينا أن نعمل لنضعهم في صورة الجلاد، وانتزاع دور الضحية منهم. هذا يحتاج إلى جهود جماعية، وأن نتعاون معًا في دمج النازية بالصهيونية قولًا وفعلًا.

اعتياد المشهد جريمة
المصير المجهول لأسرانا إثر قانون الإعدام الجائر

إلهام الحكيم كاتبة فلسطينية ـ تركيا

طوفان هادر مقاوم للاحتلال الصهيوني نجم عنه العديد من المعطيات والتداعيات المحلية والإقليمية والعالمية , إذ لم يكن أحد يتوقع أن تنجح المقاومة باقتحام المنظومة المحصّنة بأشد أنواع الأسلحة الأمريكية قوة ومراقبة بحيث لا يمكن تجاوزها , لكن قوة الحق رغم ضعف إمكانياتها تغلبت على القوة الباغية وتمكنت من قتل وأسر مئات المستوطنين/نات بمختلف فئاتهم وأعمارهم،

وقد حاولت حكومة الاحتلال وماكينتها الإعلامية والإعلانية حبك سردية كاذبة وفيديوهات مفبركة عن ممارسة الفلسطينيين ضد المدنيين الآمنين المسالمين - رغم أن الكل مستوطنون يحتفلون وسلاحهم بيمينهم - !.. استطاعوا بدايةً كسب ود وتأييد العديد من الدول المنافقة التي توافد زعماؤها للمواساة ومساندة تلك الحكومة وتباكوا معها على ما حصل وتسلح اليمين المتطرف بزعامة نتنياهو بالموقف الأوروأمريكي وصبّ جيش الاحتلال جام حقده وإجرامه على المدنيين الفلسطينيين في غزة , اتبع سياسة الأرض المحروقة والتجويع والإبادة الجماعية للأطفال والنساء والشيوخ , وتدمير بيوتهم وممتلكاتهم والبنية التحتية وكل ما هو حي ويمشي على الأرض , أفصحوا عن سياستهم المرسومة منذ التحضير لبناء الكيان الصهيوني - قبل قرن من الزمن ويزيد - باعتمادهم سياسة التدمير والقتل والتفجير بهدف التهجير !. لكن الشعب الفلسطيني صاحب الأرض أفشل كل المخططات الصهيوأمريكية بزعامة ترامب ونتنياهو ورفض مغادرة وطنه مؤثراً التنقل والنزوح داخل قطاع غزة على اللجوء خارجه .. سانده بذلك شعوب العالم الحرة التي ملأت الشوارع مطالبة بوقف العدوان الوحشي وتأمين العلاج للجرحى والمصابين , وانتشال جثامين الشهداء من تحت الأنقاض , بعد عامين ونيّف رضخ المجتمع الدولي لضغوط الأحرار وتم التوصل لمعاهدة وقف الإجرام ,وتبادل الأسرى ومعالجة الجرحى وصولاً لإعادة الإعمار , لكن الاحتلال كعادته بنقض العهود لم يلتزم بمراحل الاتفاق رغم استعادته لمئات المحتجزين في غزة وبقاء « 59 » منهم ما بين أحياء وجثث , وهنا بدأت حكاية أخرى في الشارع الصهيوني حيث تحولت تل أبيب والقدس وغيرها إلى ساحات للتحرك الشعبي والمطالبة ببقية أبنائهم , تنامى تحركهم وتشكلت لجان متابعة من الأهالي وتوزعت مهامهم بين السوشال ميديا والشوارع والكنيست و مختلف المؤسسات والهيئات الحكومية وحتى منازل المسؤولين بمن فيهم نتنياهو وهرتسوغ وغيرهم , استمروا شهوراً على تلك الحالة , لم يكلّوا أو يملّوا بل شكّلوا الوفود ورافقوا المسؤولين إلى الكونجرس الأمريكي والهيئات الدولية للمطالبة بالعشرات من أبنائهم الأحياء والأموات !.. أقضّوا مضاجع أصحاب القرار الصهاينة الإنجيليين حيثما تواجدوا إلى أن تبنّى ترامب قضيتهم وتابع ضغوطه وتم نبش الجرافات للأنقاض ثم الإفراج عن آخر جثة من تحت الدمار بعد التفتيش عنها لأيام طويلة !..

• الصمت عن الحق تخاذل:

59 رهينة صهيونية بين حي وميت في غزة شغّلت الماكينة الصهيونية الإعلامية والإعلانية والدبلوماسية بهدف لفت أنظار العالم أجمع , بالتوازي مع استمرار الإبادة والعدوان الصهيوني على غزة بحجة التفتيش للإفراج عنهم !..وقد تواصل الاعتداء والإرهاب رغم

استعادة أبنائهم و الاتفاق على الهدنة ووقف الأعمال الاستفزازية !.. هل من حق عشرات الرهائن الصهيونية العودة لأهلهم ودفن جثث قتلاهم بينما يتكدس الآلاف من الأسرى الفلسطينيين – رجالاً ونساءً وأطفالاً - في الزنازين السيئة المفتقرة لأدنى شروط الإنسانية ؟. عشرات الأسرى يكتظون في مساحات لا تتعدى الأمتار القليلة , يُمنع عليهم الاستحمام لأسابيع بل ربما لأشهر طويلة , تبقى ملابسهم على أجسادهم المتقيحة نتيجة التعذيب ولسعات الحشرات والقوارض وتراكم القاذورات فتزيد معاناتهم بغياب وسائل النظافة , وعدم عرضهم على الأطباء للعلاج , إضافة لمنعهم من التواصل مع العالم الخارجي بما في ذلك الأهل والمحامين والهيئات الدولية , حتى أن بعضهم لم يعرف الأخبار وما يحصل خارج الأسوار إلا بعد الإفراج عنهم خلال عملية تبادل الأسرى التي لم تستكمل !.. غيض من فيض من واقع الأسرى الفلسطينيين المأساوي خلف الجدران المتعفنة خاصة بعد تسلّم المجرم بن غفير لوزارة الأمن ومتابعة إدارة السجون حيث تفاقمت الأوضاع الإجرامية بحقهم من تعذيب وتنكيل وتجويع ومنع كل وسائل الصحة والنظافة والإعلام , وتجاوز كل القوانين والأعراف الدولية باقتحام الزنازين مع الكلاب والوسائل الإجرامية القاسية التي لا يحتملها بشر, وقد تزايد عدد حالات الاستشهاد نتيجة تلك الممارسات الوحشية التي يتباهى بأنه أول من ابتدعها ومارسها بما في ذلك الاغتصاب بالأدوات الحادة !.وطبعاً لم يرأف بالأسيرات اللاتي منع عنهن كل وسائل النظافة التي تحتاجها المرأة بشكل دائم مما يؤدي لتفاقم المشكلات الصحية عندهن ناهيك عن تكرار التعذيب النفسي والجسدي وانتزاع الحجاب والتفتيش العاري والاعتداءات الجنسية المنتهكة لحقوق الإنسان التي يمنحها إياها القانون الدولي ..الانتهاكات المتبعة بحق الأسيرات والأسرى الرجال مورست بحق الأطفال المعتقلين بل مع المزيد من الضغط والتعذيب لانتزاع الاعترافات أو تجنيدهم عملاء أو الضغط على الأهل وبقية الأسرى !..

• لماذا تغيب الجماهير عن فعاليات دعم الأسرى ؟:

إن ما فعله الصهاينة بهدف الإفراج عن عشرات المحتجزين عند المقاومة والإصرار على طلباتهم إلى أن تحققت يدفعنا للمقارنة والتساؤل : لماذا التراخي الفلسطيني وإهمال هذا الملف الخطير والتقصير بحق الآلاف من أسرانا الأبطال ؟ لماذا تغيب الجماهير عن الفعاليات الرسمية لدعم الأسرى ؟ ولماذا يتغيب الرسميون عن وقفات الأهالي المطالبة باستعادة حقهم بزيارة أبنائهم والتواصل معهم ؟ علماً بأن غياهب السجون الإسرائيلية استضافت منذ الاحتلال 1967مئات الآلاف من الأسرى والأسيرات المحكومين بمئات السنوات والعديد من المؤبدات إضافة للسجن الإداري دون توجيه تهم أو أحكام , والاعتقال المنزلي تحديداً للأطفال , واعتماد احتجاز جثامين الشهداء في مقابر الأرقام ..و ما زال بالسجون حتى نيسان 2026 حسب / نادي الأسير الفلسطيني ,هيئة شؤون الأسرى , مؤسسة الضمير وتلفزيون فلسطين:

- إجمالي الأسرى : أكثر من 9900 أسير وأسيرة .
- المعتقلون الإداريون بلا تهمة : أكثر من 3405 معتقلاً .
- النساء : 86 أسيرة و 25 معتقلة إدارية .
- الأطفال : 400 طفل دون 18 عام .
- الأسرى الشهداء : 326 منذ 1967 بينهم 89 بعد حرب أكتوبر 2023, مع استمرار إخفاء عشرات الشهداء من معتقلي غزة قسراً .

-مقابر الأرقام: « الشهداء الأسرى المحتجزة جثامينهم « 97 جثماناً بزيادة تقارب 8 أضعاف عن ما قبل الحرب « 11 جثمان « .

هذا العدد الكبير من الأسرى والأسيرات ألا يستحق منا بذل الجهد ومساندتهم عبر منصات التواصل ,و بالنزول إلى الساحات بشكل دائم أو الاعتصام أمام الصليب الأحمر والمؤسسات الدولية ذات الشأن والضغط باتجاه تحسين ظروفهم بعد تمادي إدارة السجون باعتماد كل وسائل التعامل اللاإنساني معهم , وانتزاع حقهم بتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة كأسرى حرب وصولاً للإفراج عنهم بدل التضييق عليهم والمزيد من الأمراض التي تنتهي بالموت الذي شرعنه مؤخراً الكنيست الصهيوني بإقرار قانون إعدام الأسرى شنقاً مما أرعب الأسرى وأهلهم الذين باتوا يترقبون نتائج تلك الممارسات والتشريعات الإبادية !..ومع هذا مازال الشارع الفلسطيني يغلب عليه طابع الترقب الحذر وانتظار موقف المؤسسات الدولية ذات الاهتمام ولم يصعّد تحركاته المناهضة لتلك المقررات الجائرة بالتزامن مع يوم الأسير الفلسطيني 17/ 4 وبما يتناسب مع الجرم , ومازال السؤال مطروحاً : لماذا تتغيب الجماهير عن المشاركة بالفعاليات الرسمية الداعمة للأسرى ؟

عنوان عريض ومؤلم تحدث عنه الأسير المحرر عمر عساف خلال فعالية لدعم الأسرى في رام الله مؤخراً قائلاً :» مهما فعلنا يبقى هناك تقصير فادح , على مدى 30 عاماً نوع من الانكفاء نتيجة الفجوة بين النظام السياسي وبين الشارع الفلسطيني , الثقة تهتز وهناك ما يبعث على التراجع حين تُتخذ بحق الأسرى قرارات ومراسيم بوقف رواتبهم , هذا من جانب , كما أن آخر المشاهد المتمثل بتسليم أسير للسلطات الفرنسية عمّق الفجوة بينها وبالتالي ينبغي حشد القوى وردم الفجوة بين النظام السياسي والشارع الفلسطيني وأهالي الأسرى بشكل خاص !..

كلام خطير يطلق صافرة الإنذار كي تصحو السلطة وتتراجع عن محاربة الأسرى وعائلاتهم بلقمة العيش نزولاً عند رغبة اليمين الصهيوني المتطرف !, صافرة تدعو لانغراس السلطة في صفوف الجماهير وحَمْل الهم الفلسطيني بعيداً عن التنسيق مع العدو , وهذا يستوجب توجيه الدبلوماسية نحو تدويل قضية المعتقلين باعتبارهم أسرى حرب تنطبق عليهم اتفاقية جنيف لحقوق الإنسان ,كما يستوجب الدفاع سوية عنهم والتنسيق مع أحرار العالم والتوجه للهيئات الحقوقية والإنسانية الدولية بما فيها مجلس الأمن لمنع تفعيل قانون الإعدام بداية شهر أيار 2026 , وإلزام إدارة السجون بمنح الأسرى حقوقهم التي انتزعت منهم مع تسلّم وزير فاشي يميني متطرف ورئيس وزراء مجرم حرب مطلوب للجنائية الدولية لمحاكمته على خطاياه بحق الشعب الفلسطيني الأعزل المنتهكة أرضه وحقوقه ..

ذكرى يوم الأسير الفلسطيني

ورقة بحثية

نحو اشتقاق مهام وإجراءات عملية لتحرير الأسرى ولإفشال قانون إعدام الأسرى

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

جرت العديد من الإدانات لقانون إعدام الأسرى، الذي جرت الموافقة عليه في البرلمان الصهيوني «الكنيست» في مارس / آذار الماضي ، ووصفه بأنه عنصري وفاشي ومناقض للقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني واتفاقية جنيف الرابعة، فهذه الإدانات والتوصيفات الصادرة عن الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية مثل هيومن رايتس ووتش ومجلس حقوق الإنسان على أهميتها، لا تلامس الحقيقة الجوهرية في أن هذا القانون الفاشي ناجم عن برلمان لنظام كولونيالي استعماري استيطاني إجلائي لا يأبه للقانون الدولي ولا للمنظومة القيمية الإنسانية ، بدعم غير محدود من إمبريالية الولايات المتحدة.

ولعل عشرات المجازر التي ارتكبت في فلسطين قبل عام 1948 على يد العصابات الصهيونية، وبعد هذا التاريخ – تاريخ النكبة - وصولاً لحرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة التي راح ضحيتها حتى الآن ما يزيد عن72,587 شهيداً و172,381 إصابة، والتي أدت إلى تدمير أكثر من 80 في المائة من مباني القطاع وبنيته التحتية، تؤكد أن ما صدر ويصدر عن هذا الكيان منسجم مع طبيعته الإجرامية الكولونيالية.

وما يجب الإشارة إليه ابتداء أن لجوء بعض المؤسسات الحقوقية الفلسطينية، كمركز عدالة - الذي نقدر دوره - إلى تقديم التماسات للمحكمة العليا الإسرائيلية، لإلغاء هذا القانون لن يؤدي إلى أية نتائج عملية وإن كان يفيد في معركة تكتيكية لكسب الوقت لتعطيله برهة من الزمن. فهذه المحكمة بقرارتها تضفي شرعية على جرائم الاحتلال منذ نشوء الكيان الغاصب على أرض فلسطين، ناهيك أن هذه المحكمة شأنها شأن الكنيست من مخرجات الاستعمار الصهيوني الكولونيالي الإجلائي في فلسطين.

الإعدام في مواجهة المقاومة المسلحة

فالقانون الصهيوني الجديد يعاقب الأسير الفلسطيني بعقوبة الإعدام إذا ما نفذ عملية قتل للمغتصبين الصهاينة من جنود ومستوطنين، أي إذا كان ينطوي على خلفية أمنية سياسية ضد الاحتلال كما أنه يزدري كالعادة القوانين الدولية التي تشرعن المقاومة ضد الاحتلال بكافة أشكالها بما فيها الكفاح المسلح، ومن الطبيعي أن يسن العدو هذا القانون انسجاماً مع طبيعته الفاشية الكولونيالية.

وحسب مدير مركز عدالة الحقوقي

الدكتور حسن جبارين « فإن القانون الصهيوني الجديد يتميز بصرامته اتجاه ظروف تنفيذ القتل، حيث يمنع القاضي من الأخذ بأي ظرف مخفف بعين الاعتبار، ولا يسمح للسلطة التقديرية باستخدام مراعاة الظروف الشخصية للمتهم ومن ثم فإن كل حالة يجب البتّ فيها وفق أن تكون القاعدة هي الإعدام، والاستثناء نادر جدا ويستلزم مبررا قويا ومصداقية خاصة تحول دون تنفيذ الإعدام.

كما ينص القانون على «حظر تقديم استرحام أو تخفيف العقوبة من قبل الحاكم العسكري الصهيوني في الضفة الغربية، ووجوب تنفيذ عقوبة الإعدام خلال مدة لا تتجاوز 90 يوما من صدور الحكم وخلال هذه الفترة لا يسمح للمدان أو المحكوم عليه باللقاء مع أهله أو عائلته» وهو ما يعكس الصرامة المطلقة في تطبيق هذا القانون.

ما يجب الإشارة إليه أن الاحتلال الصهيوني يمارس عمليات الإعدام والقتل ضد الأسرى الفلسطينيين منذ نشوء الكيان الغاصب على أرض فلسطين، ولم يكن بحاجة لسن هذا القانون فمئات الأسرى قتلوا نتيجة التعذيب والإهمال الطبي المتعمد، وبعضهم لا يزال محتجزاً في الثلاجات منذ عشرات السنين وبعضهم دفن في ما تسمى بمقابر الأرقام. ووصلت الأمور إلى ذروتها في القتل الممنهج للأسرى الفلسطينيين من قطاع غزة، بعد معركة طوفان الأقصى وما حدث في معتقل سيدي تمان – على سبيل المثال لا الحصر- لأكبر دليل على ذلك. حيث تفنن الجلاد الصهيوني في تعذيب الأسرى وتجويعهم واغتصاب العديد منهم ما أدى إلى استشهاد عدد لا بأس به من الأسرى.

وحسب بيان مركز فلسطين لدراسات الأسرى في 12 يناير (كانون ثاني) الماضي فقد ارتفع شهداء الحركة الأسيرة منذ عام 1967 إلى 324 حتى الآن، منهم 87 شهيدا من المعلومة هوياتهم منذ بدء حرب الإبادة، بينهم 51 أسيرا من قطاع غزة والاحتلال يواصل قتل الأسرى العزل في سجونه تحت سمع وبصر المجتمع الدولي دون رادع يحد من عمليات القتل المستمرة خارج إطار القانون.

لكن هذه الإحصائية لعدد الشهداء من الحركة الأسيرة الفلسطينية لم تشمل جثامين مئات الشهداء من أبناء شعبنا في قطاع غزة الذين تم اعتقالهم وتعذيبهم وقتلهم وسرقة أعضائهم ومن ثم إعادتهم في شاحنات إلى القطاع. إذ إنه وفقاً للتقارير الواردة بين أكتوبر 2025 ويناير 2026، أرسلت حكومة العدو مئات الجثامين على دفعات متعددة إلى القطاع عبر معبر كرم أبو سالم، وتم نقلهم إلى مستشفى ناصر في خان يونس ومستشفى الشفاء في غزة، وسط صعوبات بالغة في التعرف على هوياتهم. حيث جرى التعرف فقط على هوية (90) شهيداً فقط من أصل (330) شهيداً، وذلك وفق تصريح المتحدث باسم الأدلة الجنائية في غزة محمود عاشور بتاريخ 23 نوفمبر/ تشرين ثاني 2025 .

الأهداف المتوخاة من هذا القانون

لم يصدر مثل هذا القانون في الفترات السابقة لحكم حزب العمال ولحكم أحزاب اليمين من الليكود وكاديما وغيرهما، وإن كان مضمونه قد طبق في مئات الحالات بدون صدور مثل هذا القانون عبر ممارسات التعذيب والتجويع والإهمال الطبي المتعمد.. إلخ. لكن حكومة إئتلاف اليمين الفاشي بزعامة مجرم الحرب نتنياهو، استجابت لطلبات اليمين الديني المتطرف ممثلا بحزب الصهيونية الدينية بزعامة بتسمئيل سيموررتش وبحزب القوة اليهودية بزعامة أيتمار بن غفير لإصدار هذا القانون في سياق تنفيذ سياقات توراتية مزعومة وتلمودية «كسفر يوشع» الذي ينص على الإبادة وقتل الرجال والنساء والأطفال.

والأهداف المتوخاة من هذا القانون تتمثل فيما يلي:

-1 ضرب البعد المقاوم لدى المقاتل الفلسطيني بحيث لا يلجأ إلى ممارسة قتل الجنود والمستوطنين، خشية من وقوعه في الأسر ومواجهة عقوبة الإعدام.

-2 الضغط على المجتمع الفلسطيني، بأن لا يدعم استراتيجية المقاومة المسلحة بحيث يعزل المقاومة عن حاضنتها الجماهيرية.

-3 توفير الدعم لدعاة الاستسلام – على محدوديتهم – الذي يعملون بطرق أخرى للتكيف مع متطلبات المشروع الصهيو أمريكي، بعد أن تحولوا إلى وكيل أمني للاحتلال.

لكن هذه المحاولات لن تجدي مع المقاوم الفلسطيني لأنه في نضاله اليومي ضد الاحتلال يعلم بأنه قد يستشهد أو يقع أسيراً، وقد أعد نفسه لأحد الاحتمالين إدراكاً منه أن طريق النصر والتحرير معبد بالشهداء.

وحسب العديد من المراقبين الغربيين، فإن هذا القانون الفاشي لن يردع هجمات المقاومة الفلسطينية، بل سيأتي بنتائج عكسية على المستوى الأمني والسياسي، وقد يسهم في خلق حالة كبيرة من الهجمات الفلسطينية وفي تعميق عزلة الكيان الصهيوني.

ويتجاهل العدو الصهيوني عن غباء حقيقة أن المجتمع الفلسطيني مجتمع مقاوم وليس مجرد حاضنة اجتماعية للمقاومة، وأكبر دليل على ذلك الانتفاضات الجماهيرية المتلاحقة ضد الاحتلال بدءاً من هبة يوم الأرض (1976) مروراً بانتفاضة الحجارة (-1987 1993) وهبة النفق (1996) وانتفاضة الأقصى (2000-2006) وهبة السكاكين -2015 2016، وهبّة البوابات الإلكترونية (هبة باب الأسباط) يوليو/تموز 2017 وهبة باب الرحمة فبراير/شباط 2019، وهبة الشيخ جراح مايو (أيار) 2021 التي جاءت في مناخ معركة سيف القدس.

من يتحمل المسؤولية

صدور هذا القرار الفاشي وقبله من ممارسات قتل ممنهج ضد الأسرى الفلسطينيين جاء في ظروف وعوامل يجب التأشير عليها بقوة، وبدون مجاملات تحت مبرر وفزاعة الوحدة الوطنية وإنهاء الانقسام وعدم استعداء الوسطاء، وأبرز هذه العوامل:

أولاً: الموقف البائس والمتردي و (...) من قبل السلطة الفلسطينية حيال قضية الأسرى ممثلاً بوقف مخصصاتهم ومخصصات أسرهم تنفيذا للإملاءات الصهيو أمريكية التي تعتبر هذه المخصصات مكافأة للإرهاب.

ثانياً: دور السلطة في ضرب وحدة الحركة الأسيرة وإفشال إضراباتها، ولعل موقفها من إضراب الأسرى التاريخي عام -2017 على سبيل المثال لا الحصر - لمؤشر على ذلك حين سعت إلى منع الإضراب من تحقيق أهدافه كون الأسير القائد مروان البرغوثي هو المحرك الرئيس للإضراب.

ثالثاً: تحجيم دور وزارة شؤون الأسرى، وتحويلها إلى هيئة ضعيفة بميزانية محدودة جداً وتغيير قياداتها، بحيث ينحصر دورها في سياق بيروقراطي، لكنها رغم كل المعوقات عملت دعم الأسرى في السياق الحقوقي إلى جانب نادي الأسير الفلسطيني، وفي بلورة قضيتهم والمشاركة في الاعتصامات الخاصة بقضية الأسرى.

رابعاً: التقصير العربي الرسمي حيال قضية الأسرى، والذي تجلى في المفاوضات حول قضية تبادل الأسرى بعد أن تمكنت المقاومة من أسر المئات من الصهاينة في معركة السابع من أكتوبر 2023، وفي الذاكرة أن القائد الشهيد يحيى السنوار أكد بعد معركة الطوفان على مبدأ «الكل مقابل الكل» في قضية تبادل الأسرى وعمل المفاوض الفلسطيني الدكتور خليل الحية على تنفيذ هذا المبدأ في المفاوضات .

لكن الوسيطين المصري والقطري ضغطا على المفاوض الفلسطيني ليتخلى عن «مبدأ الكل مقابل الكل»، بوصفه « أنه غير ممكن» وأن الجانب الصهيوني لن يوافق عليه، ما انعكس بالسلب على قضية التبادل لدرجة أن المفاوض الصهيوني لم يلتزم بما تم التوافق عليه مع الوسيطين بشأن أعداد الأسرى المحكومين بالمؤبد والأحكام العالية، ما حال دون تحرير قيادات عديدة وازنة مثل عبد الله البرغوثي وأحمد سعدات ومروان وغيرهم من قيادات العمل العسكري في فصائل المقاومة.

نحو خطوات وإجراءات عملية لتحرير الأسرى

يتوجب على فصائل المقاومة ومؤسسات المجتمع المدني الوطنية - التي لا تتلقى تمويلاً أجنبيا- أن تشتق مهام وإجراءات عملية وملموسة لتحرير الأسرى وحشر قانون إعدام الأسرى وحكومة الائتلاف اليمين الصهيوني في خانة اليأس من خلال برنامج بعناوين محددة أبرزها :

-1 العمل على تحرير الأسرى، من خلال الفعل المقاوم عبر أسر جنود صهاينة لتجري مبادلتهم بآلاف الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال، كما حصل في عمليات التبادل التي أجرتها فصائل المقاومة الفلسطينية وحزب الله سابقا وفي عمليات التبادل بعد معركة الطوفان .

وتقع المسؤولية الكبرى في هذا السياق على فصائل المقاومة في الضفة الغربية بأن تضع على أجندتها اليومية أسر جنود ومستوطنين صهاينة لإجراء عمليات تبادل جديدة للأسرى.

-2 التواصل مع الحلفاء في محور المقاومة وتحديداً حزب الله وإيران، بشأن إصطياد وأسر جنود إسرائيليين وأمريكان، لإجراء عمليات تبادل للأسرى، وبهذا الصدد نذكر بنداء الناطق الرسمي باسم كتائب القسام « أبو عبيدة» لحزب الله، بأن يأسر جنود صهاينة لإفشال قانون إعدام الأسرى لا سيما وأن حزب الله يخوض حرباً ظافرة ضد الاحتلال في جنوب لبنان وفي عمق الكيان الصهيوني منذ الثاني من نيسان / إبريل الماضي.

-3 يتوجب على فصائل المقاومة أن تعمل على تظهير قضية الأسرى ومعاناتهم إعلامياً على المستوى الدولي، وكشف خطورة وأبعاد قانون إعدام الأسرى الفلسطينيين وأن تتواصل مع الهيئات والقوى التي لعبت دوراً فاعلاً في تحريك الشارع الغربي ضد حرب الإبادة في قطاع غزة من أجل أن تأخذ دورها في الانتصار لقضية الأسرى بالطرق التي تراها ملائمة .

وأخيراً : يتوجب على فصائل المقاومة أن تعمل على تفعيل اتفاقية جنيف الرابعة بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة في 12 آب/ أغسطس 194 ، ونقل قضية الأسرى وقانون إعدام الأسرى إلى المحافل الدولية (مجلس الأمن / الجمعية العامة للأمم المتحدة / مجلس حقوق الإنسان / محكمة العدل الدولية. وذلك في سياق أن الأسرى الفلسطينيين هم عنوان النضال الرئيسي في إطار حركة التحرر الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال الكولونيالي الصهيوني ، بالإضافة إلى السياق الحقوقي والقانوني .

ذكرى يوم الأسير الفلسطيني

بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني

«أرواحنا لا تكسرها المشانق وإرادتنا لا تنحني للطغيان»
يوم الأسير الفلسطيني: معركة مفتوحة بين الحرية ومنظومة الإبادة

يا جماهير شعبنا العظيم... أبناء أمتنا العربية... يا أحرار العالم

أسيراتنا وأسرانا الأبطال في باستيلات العدو الصهيوني،

يأتي السابع عشر من نيسان – اليوم الوطني للأسير الفلسطيني – هذا العام في لحظة تاريخية فارقة، تتجسد فيها إرادة شعبنا في ميادين البطولة والاشتباك مع منظومة الإبادة الصهيونية. وفي ظل هذا المشهد، تتكشف الهجمة الفاشية بإقرار ما يُسمى «قانون إعدام الأسرى»، الذي يُمثل انتقالاً خطيراً نحو شرعنة القتل الممنهج وتحويل السجون إلى مسالخ للإعدام تحت غطاء قانوني إجرامي وعنصري.

في هذا اليوم، نستحضر ملحمة النضال التي سطّرها أسيراتنا وأسرانا داخل الزنازين، محوّلين إياها إلى فضاءات مقاومة ومدارس للوعي الثوري؛ لتغدو تجربة الأسر تجسيداً حياً لمعركة الإرادة بين الحرية والقمع. لقد أثبتت الحركة الأسيرة أنها طليعة نضالية لا تنكسر، وأن القيد أداة عاجزة تتحطم على صخرة صمود الإنسان الفلسطيني وإيمانه بعدالة قضيته.

وفي هذه المناسبة، نتوجه بتحية الفخر والاعتزاز إلى شهداء الحركة الأسيرة، وإلى أسرانا الأبطال، وفي مقدمتهم الأمين العام الرفيق القائد أحمد سعدات، والقادة الرموز: مروان البرغوثي، وحسن سلامة، وبسام السعدي، ووجدي جودة، وعاهد أبو غلمى، وجميع الأسيرات والأسرى الذين يجسدون وحدة النضال الوطني، مؤكدين أن تضحياتهم عهدٌ متواصل في وجدان شعبنا حتى نيل حريتهم كاملة غير منقوصة.

جماهير شعبنا..

تتزامن هذه الذكرى مع تصعيد غير مسبوق في سياسات القمع والإبادة، حيث يتعرض الأسرى لحملة ممنهجة يقودها مجرم الحرب الفاشي «بن غفير»، تستهدف وجودهم الجسدي والمعنوي عبر التعذيب، والعزل، والإهمال الطبي، والاعتقال الإداري، وصولاً إلى سياسة التجويع وحرمان الأطفال والنساء وكبار السن من أبسط مقومات الحياة.

لقد تحوّلت السجون إلى نماذج معاصرة لـ معسكرات الإبادة، كما يجري في معتقل «سديه تيمان» بحق أسرى غزة، حيث تُمارس أبشع أشكال التنكيل والتصفية الجسدية في ظل صمت دولي مخزٍ. إن هذا المشهد يمثل تعبيراً صارخاً عن الطبيعة الفاشية والعنصرية للاحتلال، وكشفاً فاضحاً لعجز المنظومة الدولية عن فرض الحد الأدنى من معايير العدالة والإنسانية.

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وإحياءً لهذه المناسبة، وانطلاقاً من مسؤوليتنا الوطنية، نؤكد على ما يلي:

أولاً: نؤكد أن قضية الأسرى هي قضية تحرر وطني تتربع على رأس أولوياتنا، ونشدد على ضرورة إعادة تعريف مكانتهم دولياً كـ «مناضلي حرية»، مع تجديد الثقة المطلقة بقدرة المقاومة على ابتكار السبل الكفيلة بانتزاع حريتهم.

ثانياً: إن الوفاء الحقيقي للأسرى يتجسد في بناء استراتيجية وطنية شاملة واستعادة الوحدة الوطنية كضمانة أساسية لصون قضيتهم، وتوفير الحماية السياسية والقانونية والإعلامية لهم، بما يمنع أي محاولة لعزلهم أو تهميش تضحياتهم.

ثالثاً: نطالب بـ تدويل قضية الأسرى فوراً والاعتراف بهم «أسرى حرب»، وإطلاق حملة دولية لإسقاط «قانون إعدام الأسرى» باعتباره جريمة حرب، وملاحقة المسؤولين عن جرائم القتل الممنهج والتشريعات العنصرية أمام المحاكم الدولية.

رابعاً: ندعو لتصعيد الفعل النضالي الشعبي والعالمي لكسر حاجز الصمت، وبناء جبهة تضامن دولية تمارس المقاطعة الفعلية للاحتلال، مع توجيه تحية إجلال لمعتقلي الحرية الذين اعتقلوا لمساندتهم قضيتنا العادلة، خاصة قضية الأسرى.

خامساً: نُحمّل المجتمع الدولي ومؤسسة الصليب الأحمر المسؤولية الكاملة عن حياة الأسرى، ونطالب بإرسال لجان تحقيق دولية مستقلة للكشف عن مصير الأسرى خاصة أسرى غزة، ووضع حد نهائي لسياسة الإفلات من العقاب.

يا جماهير شعبنا الأبية

إن شعباً قدّم هذا العدد الهائل من الأسرى، وواجه كل أدوات القمع، هو شعب لا يُهزم ولا يمكن كسر إرادته، وإن معركة تحرير الأسرى هي مرآة لمعركة الحرية الكبرى، وجزء لا يتجزأ من مسار التحرر الوطني الشامل.

المجد للشهداء... الشفاء للجرحى... الحرية للأسرى

وإنها لمعركة مستمرة حتى كسر القيد وتحقيق الحرية والعودة والاستقلال

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دائرة الإعلام المركزي
17 نيسان/أبريل- 2026

المؤامرة القديمة المتجددة
«ريفييرا ترامب».. من غزة إلى «إسرائيل الكبرى»

نعيم إبراهيم ـ صحفي وكاتب فلسطيني ـ سورية

ما جرى ويجري في قطاع غزة ليس بحاجة الى كبير عناء لفهم وإدراك ما ترمي إليه مؤامرة «ريفييرا غزة» التي تفتقت عنها ذهنية الرئيس الامريكي دونالد ترامب، بتخطيط استراتيجي مع صديقه بنيامين نتنياهو رئيس حكومة العدو الصهيوني، في ظل التطورات الجيوسياسية الراهنة ومستجدات القضايا الإقليمية والدولية حيث يعتمد نتنياهو استراتيجية «التجميد» عبر سياسة «تفريغ الاتفاقيات» ويوظف التصعيد الإقليمي لفرض واقع ميداني جديد في غزة بعيداً عن الأضواء. لذلك يواصل الاحتلال الصهيوني شن مزيد من الاعتداءات العسكرية والاقتصادية والسياسية على قطاع غزة بهدف استنزاف القدرات الفلسطينية ومنع المقاومة والحاضنة الشعبية من استعادة توازنها أو التقاط أنفاسها وبالتالي حرمان الأطراف الإقليمية من استخدام ملف غزة كأداة ضغط في الصراع الأوسع الدائر في الشرق الأوسط.

يستدل من ذلك أن السيناريو الصهيوني الامبريالي الرجعي القديم في فلسطين والمنطقة لم ينتهي ولم يكن حبيس الأدراج في المراحل المتعاقبة من الصراع الوجودي، بل ينفذ حسب متطلبات كل مرحلة. وبناء على ما تقدم فإن مؤامرة «رفييرا غزة» تسمح لجيش الاحتلال بالسيطرة على أكثر من نصف مساحة القطاع وتحويلها تدريجياً إلى مناطق عازلة تخدم أهدافه الأمنية طويلة الأمد، عبر إخراج الفلسطينيين من أرضهم تحت غطاء التنمية. وتكمن خطورته في أنه يعكس تصورات راسخة لدى واشنطن وتل أبيب، مفادها أن غزة ليست كيانا سياسيا أو بشريا له حقوق، بل مجرد مساحة يمكن إعادة هندستها وفق مصالح القوى الكبرى.

ما يرصد على الأرض من نشاط عسكري مكثف من خلال الاقمار الاصطناعية والشهادات التي يدلي بها الفلسطينيون ومراكز الابحاث والتحقيقات الصحفية وما يغطيه الاعلام حول عمل الجرافات الصهيونية دون توقف لتوسيع التحصينات وشق طرق استراتيجية جديدة يعكس استراتيجية واضحة تعتمدها سلطات الاحتلال، حيث يتم رهن الإعمار بشروط سياسية وأمنية معقدة، بينما يمضي البناء العسكري بوتيرة متسارعة لا تتأثر باتفاقيات التهدئة.

التساؤلات الآن وفي كل آن مفادها: لمصلحة من الوعود التي أطلقها الرئيس الأمريكي دونالد ترمب وصهره جاريد كوشنر حول تحويل غزة إلى «ريفييرا» الشرق الأوسط؟ وما هي القواعد القانونية الدولية التي يستند عليها هؤلاء؟ وهل يقبل الفلسطينيون بنزع سلاح المقاومة بالكامل وبما يروج له من مشاريع ضخمة تشمل ناطحات سحاب ومنتجعات سياحية بتمويل يصل إلى 10 مليارات دولار؟

لعل ما وثقته ونشرته التحليلات الرقمية لصور الأقمار الصناعية بين شباط / فبراير وآذار / مارس 2026 من مسارات متزامنة لترسيخ الاحتلال الصهيوني، تؤكد ما ذهبنا إليه في سبر غور المؤامرة القديمة المتجددة :

- المسار الأول يتمثل في التباطؤ المتعمد لمشاريع الإعمار المزعومة، مما يحولها إلى أدوات ضغط سياسي بدلاً من كونها مشاريع إنسانية تهدف لخدمة السكان المدنيين الذين دمرت بيوتهم.

- المسار الثاني يتجلى في الاستمرار العدواني للبناء العسكري، حيث رصدت الصور أعمال توسعة في نقاط استراتيجية مثل تلة المنطار بحي الشجاعية ومنطقة جحر الديك. وهذا يؤكد نية واضحة لتحويل المواقع المؤقتة وعددها بالعشرات إلى قواعد دائمة مجهزة بأبراج مراقبة وشبكات اتصالات متطورة مرتبطة بالعمق الصهيوني.

أيضا يأتي وصف رئيس أركان الجيش الصهيوني إيال زامير «الخط الأصفر» بأنه حدود دفاعية وهجومية جديدة لكيانه، الأمر الذي ينسف جوهر اتفاقيات التهدئة التي تنص على انسحاب تدريجي، ويؤكد أن السيطرة العملياتية على أجزاء واسعة من القطاع هي هدف استراتيجي بعيد المدى. وما صرح به وزير الحرب الصهيوني يسرائيل كاتس بقوله إن «إسرائيل لن تغادر غزة أبداً»، ملوحاً بإعادة إحياء فكرة «كيبوتسات ناحال» العسكرية في شمال القطاع كأمثلة وليس على سبيل الحصر يؤكد أن الواقع على الأرض يثبت تبني المؤسسة العسكرية الصهيونية لهذه الرؤية الاستيطانية وأن المنطقة العازلة الصهيونية في غزة ليست أداة أمنية محايدة، بل هي آلية استعمارية لتحويل الأراضي المحتلة إلى مناطق استيطانية دائمة. بمعنى أن ما يجري هو سرقة كاملة للأرض وخيراتها وتشريد وقتل لأصحابها.

شاهد من أهل الكيان الصهيوني هو الباحث «إيال وايزمان» يحذر من أن ما يجري هو عملية «إبادة لشروط الحياة» عبر تدمير البيئة المبنية واستبدالها بمنظومة أمنية استعمارية. ويرى وايزمان أن المناطق العازلة التي تدعي «إسرائيل» أنها «مؤقتة» هي في الحقيقة آلية لقضم الأراضي وتحويلها إلى مستوطنات، كما حدث سابقاً في الضفة الغربية والجولان السوري المحتلين.

السواد الأعظم من الفلسطينيين لا ينتظرون مساكن وحياة يدس فيها السم الأمريكي الصهيوني الرجعي الذي تتواصل من خلاله هندسة قطاع غزة ديموغرافيا وجغرافيا بما يضمن بقاء الاحتلال الدائم فوق أنقاض المدن المدمرة والتوسع من غزة الى «إسرائيل الكبرى» من النيل الى الفرات وما بعدهما، بينما يستمر صمت دولي مطبق هو جواز سفر لتمدد الاحتلال الصهيوني، ليس إلا.

ماذا نريد؟

محمد أبوشريفة ـ مدير تحرير مجلة الهدف

لم يشهد التاريخ العربي حتى في أحلك مراحله، هذا القدر من الاصطفافات التي نراها اليوم. والحال أننا بتنا نعيش مرحلة دقيقة تتجاوز مفهوم الأزمة السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، لتقرع جدران الخزان وتهدد مفهوم كينونة الدولة والمجتمع. فالواقع الحالي ونتائجه فيما بعد لن يكون مرحلة عادية، بل مرحلة مليئة بالتحديات. وما بين الواقع والنتائج يبرز سؤال الاصطفاف كشاهد على مرحلة استثنائية من تاريخ العقل السياسي العربي الذي يفترض به أن يكون حبل النجاة، فإذا به يلتف حول الرقاب ويعجز عن تقديم مقاربة منطقية لما يجري من تحولات خطيرة في المنطقة. وبدل أن يهدئ النفوس أصبح في كثير من الأحيان منصة للإصطفافات وأداة لنشر التوتر وتعميق الانقسام.

هل أنت مع أميركا وإسرائيل أم مع إيران؟ سؤال تردد ملايين المرات منذ 28 شباط الماضي في نقاشات العامة والخاصة ومقابلات سياسية لا تعد ولا تحصى ولاحظنا استقطابا حادا يحصر النقاش في المفاضلة بين الطرفين وكأن لا ثالث لهما، وحشر المنطقة العربية بالانحياز إلى أحدهما وتاليا رهن مستقبلها بنتائج ما بعد الحرب. هذه الرؤية بحد ذاتها تعكس أزمة الوعي العربي والتي تتمثل في غياب مشروع عربي واضح قادر على حماية المصالح العربية بعيدا عن الاستقطاب الحاد والانقسام وضعف القدرة على اتخاذ موقف مستقل.

لا شك بأن ثمة استراتيجيات حرب مفتوحة وإيديولوجيات متناحرة ومشاريع توسّع وهيمنة تتصارع في المنطقة، وحضورها وتأثيرها في عدد من الدول العربية لا يخفى على أحد وتشير إلى أنها لم تُحسم بعد إلا أن السؤال: ماذا نريد نحن؟ وماذا أعددنا من خطط وبرامج شاملة لمرحلة ما بعد الحرب، تجمع بين البعد السياسي والاقتصادي من جهة وبين البعد الاجتماعي والثقافي المؤسساتي من جهة أخرى بالإضافة إلى البعد الأمني والعسكري الوطني؟ وأين موقفنا العروبي الذي من المفترض أن يتمتع برؤية عربية جامعة لحماية الأمن القومي؟ لذلك يجب أن نكون على مستوى الجاهزية تاريخيا واستراتيجياً من خلال خلق برامج و أدوات تنفيذ حقيقية لهذه الرؤية.

إن القلق من هذه المشاريع لا يبرر الانقسام والاصطفاف الحاصل اليوم بل يجب أن يحفّز مفاعيل الوعي لدى أبناء الأمة الواحدة والذي يفضي إلى بناء جبهة عربية قوية ذاتية تقوم على التكامل، وتوحيد الجهود، ضمن إطار قومي مؤسساتي يحترم العقل العربي والسيادة ويكون حائلا دون التدخلات الخارجية. والذي بالضرورة يستبق الفراغ الذي قد يلي توقف الحروب، لأن أخطر ما بعد الحرب ليس فقط عدم الاستقرار الاقتصادي، بل كيفية إعادة جمع الأمة حول مفهوم استقلالها وانتماءها وبناء الثقة بالدفاع عن قضاياها المركزية وبالقلب منها القضية الفلسطينية.

في الواقع، لا ينبغي للعقل العربي أن يخضع لدوّامة الخيار القسري بين إيران وأميركا وإسرائيل، بل بين الضعف والتبعية من جهة، وبين بناء مشروع عربي مستقل من جهة أخرى. فالأمة التي لا تمتلك مشروعها القومي والوطني الخاص بها، تجد نفسها أداة تابعة تتقاذفها مشاريع الآخرين.

هل تعيد دول الخليج العربي النظر في منظومة الحماية الأمريكية؟

مسعود أحمد ـ صحفي وكاتب سياسي من عُمان

يعود هذا السؤال، القديم المتجدد، إلى الواجهة مع كل محطة توتر إقليمي كبرى. غير أن العدوان الأمريكي – الإسرائيلي على إيران، وحجم ردّها، أعادا طرحه بحدة ووضوح غير مسبوقين؛ إذ انتقل النقاش من دائرة النخب الثقافية والدوائر الضيقة إلى الفضاء الاجتماعي العام. وتتمحور غالبية الآراء حول ضرورة مراجعة العلاقات الخليجية – الأمريكية وإعادة تعريفها في ضوء اعتبارين رئيسين: الأول يتمثل في سقوط أوهام الحماية، التي تعززت مع انكشاف حدود القدرة الدفاعية الأمريكية في هذه المواجهة. أما الثاني، فيستمد مشروعيته من الموقف الوطني التاريخي من الوجود الأجنبي، ودوره، وأيديولوجيته، وطابعه الاستعماري. ومع ذلك، يبقى هذا الوجود، وما يتفرع عنه من مشاريع سياسية واقتصادية، مرفوضًا من قبل قطاعات واسعة من الجماهير، التي تربط بشكل جدلي بين تفاقم أزماتها الاجتماعية والاقتصادية وبين السياسات المرتبطة بالرأسمالية العالمية المعادية لتطلعاتها في الحرية والاستقلال. وقد شكل هذا العنوان، تاريخيًا، محور نضالات الحركات الوطنية الديمقراطية والثورية خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. ورغم تراجع أدوار تلك الحركات، فإنها رسخت تقاليد وطنية معارضة للوجود الاستعماري، سواء كان مباشرًا أم مقنعًا. وانطلاقًا من ذلك، يمكن استشراف آفاق وحدود مواقف الأنظمة الخليجية في ضوء التطورات الراهنة، وهو ما يستدعي التوقف عند عاملين رئيسين: العامل الأول يتمثل في طبيعة تكوين هذه الأنظمة وحدود المراجعة التي يمكن أن تفضي إليها، وهو ما يتطلب قراءة نشأتها وبنيتها الأيديولوجية والطبقية والسياسية، وغيرها من المحددات التي ترسم موقعها في خارطة الصراع العالمي بأبعاده الاستراتيجية الشاملة. أما العامل الثاني، فيتعلق بكون هذه الأنظمة هي نتاج تاريخ طويل من الصراعات القبلية والمناطقية، ما أفضى إلى ترسيخ نمط الحكم الأسري. وقد أسهم هذا التكوين، بما يحمله من

خصوصيات، في دفعها نحو التحالف مع القوى الإمبريالية الغربية، التي سعت بدورها إلى توطيد نفوذها عبر إشراك فئات اجتماعية محافظة لم تتأثر كثيرًا بموجات التحرر الوطني. وفي سياق هذا التحالف، وارتباطًا بمتطلبات التحديث والتأسيس لنمط الإنتاج الرأسمالي، تبلورت فئات برجوازية كمبرادورية وطفيلية ارتبط نشوؤها الموضوعي بدورها كوكيل محلي لرأس المال الاحتكاري العالمي. ومع استمرار هيمنة البنى الاجتماعية التقليدية القائمة على روابط القرابة والعصبية، أفرزت أنماطاً إنتاجية مركبة تجمع بين الأشكال ما قبل الرأسمالية وآليات السوق الرأسمالي، ما أتاح لهذه الفئات توسيع نفوذها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وبما أن معظم مؤسسات هذه الأنظمة لم تتشكل في سياق وطني مستقل، بل نشأت عبر سلسلة من السياقات والتحولات المتعاقبة تحت إشراف الدوائر الإمبريالية الغربية، التي تولت تدريبها وتسليحها وصياغة عقيدتها الفكرية والعسكرية والأمنية، فقد استدعى ذلك توسيع هذا الائتلاف ليشمل شرائح ثقافية وتكنوقراطية، الأمر الذي أسس لنشوء شبكة واسعة من المصالح الاستراتيجية، بل وحتى الذهنية، واندماجها ضمن كتلة طبقية رجعية شكلت سندًا داخليًا للتبعية السياسية والاقتصادية والفكرية والانحرافات الوطنية. ونظرًا لتداخل هذه الارتباطات، باتت هذه الأنظمة تمتلك أدوات ومقاربات متعددة، ما يجعل من الصعب تصور انفكاكها عن شبكة مصالحها ودورها التبعي في المنظومة الرأسمالية العالمية دون فعل جماهيري منظم ضمن إطار وطني عريض يفرض عليها خيارات مختلفة. وحيث أن هذا التحالف اليميني الرجعي يخشى من الجماهير أكثر من خشيته من القوى الخارجية، فإنه

لا يجرؤ على طرح الأسئلة الجوهرية أو الإجابة عنها. ومن هنا يمكن الاستنتاج أن إعادة النظر في طبيعة تحالفاته- رغم اهتزاز صورته داخليًا وخارجيًا- لا تبدو مطروحة بجدية في الوقت الراهن. ومع ذلك، يظل هذا المسار مفتوحًا على احتمالات متعددة، تبقى رهينة بعوامل ذاتية وموضوعية قد تعيد تشكيل التوازنات والتحالفات الداخلية والإقليمية. وفي هذا السياق، قد تجد الأنظمة الخليجية نفسها أمام خيارين رئيسين: إما تعزيز المنظومة العربية وإحياء صيغ العمل المشترك التي لعبت دورًا رئيسيًا في إضعافها، أو البحث عن قوى إقليمية أو دولية بديلة لضمان مصالحها، وربما وجودها. غير أن الخيار الثاني يبدو، وفق المعطيات الحالية، أكثر ترجيحًا، وأقرب إلى طبيعة تركيبتها السياسية والنفسية. وانطلاقًا من هذين السيناريوهين، فإن المراهنة على إعادة النظر في منظومة الحماية الأمريكية من تلقاء ذاتها تظل محدودة على المدى القريب. بل إن التهديدات الأمنية والاقتصادية- سواء عبر استهداف المنشآت الحيوية أو إغلاق الممرات الاستراتيجية، وما يترتب على ذلك من خسائر مادية ومعنوية، قد تدفعها إلى استدعاء خطاب وطني ديماغوجي يجنبها المساءلة الداخلية من جهة، ويبرر خياراتها المتماهية مع القوى الإمبريالية الكولونيالية من جهة أخرى. ورغم أن التطورات الأخيرة أسهمت جزئيًا في إعادة تشكيل اتجاهات الرأي العام، وأظهرت تنوعًا أكبر في القراءات السياسية، فإن أثر هذه التحولات يبقى محدودًا في ظل غياب أطر سياسية فاعلة قادرة على ترجمة المزاج العام إلى سياسات ملموسة، رغم تصاعد الانتقادات الشعبية والتمايز الملحوظ في المقاربات السياسية على المستوى الرسمي. في المحصلة، تبدو منظومة الحماية الأمريكية في الخليج مرشحة للاستمرار في المستقبل المنظور، مع احتمال إدخال تعديلات تدريجية عليها، دون أن تصل إلى حد القطيعة مع التحالفات القائمة، بل ربما إعادة صياغتها بما يحقق توازنًا أدق مع التحولات الإقليمية والدولية.

الملامح السياسية للمنطقة العربية في ظل العدوان على إيران

د. عابد الزريعي ـ مدير مركز دراسات ارض فلسطين للتنمية والانتماء

شكل العدوان الأمريكي الإسرائيلي على إيران لحظة مفصلية في تاريخ الشرق الوسط، هذه اللحظة تبدت ملامحها الأولية منذ تاريخ الرد الأول لإيران على الكيان الصهيوني في أكتوبر 2024، ذلك التاريخ الذي دشن لأول مواجهة عسكرية بين إسرائيل منذ اعلان تأسيسها عام 1948 وطرف إقليمي غير عربي، وان كان ضمن دول الشرق الأوسط المدرجة في الحساب الاستراتيجي الأمريكي والاسرائيلي منذ الخمسينات، وبات أكثر حضورا في هذا الحساب منذ اندلاع الثورة الإيرانية، وحسم توجهاتها نحو التفاعل مع الصراع العربي الصهيوني. العدوان الحالي قياسا لنقطة البداية ينطوي على ابعاد ومعطيات سياسية عديدة تجعل منه النقلة النوعية الحاسمة، التي ستلقي بظلالها على المنطقة العربية لعقود قادمة من الزمن الصاخب بالمعني السياسي، الأمر الذي يجعل من توقع تأثيره وانعكاساته على الأنظمة العربية نوعا من التقدير الأولي القابل للنقض ارتباطا بمسارات الاحداث ومتغيراتها.

هل كان العدوان حتميا؟ هو اول الأسئلة التي لابد من طرحها، لاسيما وان الإجابة الدقيقة عليه، ليست مرتبطة بتفسير لحظة زمنية قد مضت، وانما محاولة للامساك بتفاصيل لحظة زمنية قادمة أيضا. والاجابة تستدعي العودة الى وثيقة استراتيجية الامن القوي الأمريكي الصادرة بتاريخ 4 ديسمبر 2025، وتحديدا تلك الفقرة المتعلقة بالشرق الأوسط، ومفادها ان الولايات المتحدة ستخلي المنطقة للتمركز في أمريكا اللاتينية والكاريبي، ارتباطا بصياغة الياتها لإدارة الصراع مع الصين وروسيا. وقد ربطت عملية الاخلاء بشرط عدم سيطرة اية قوة معادية على تلك المنطقة، وضمان امن الممرات ومصادر الطاقة. هذه النقطة المفصلية تعني مسألتين مرتبطتين بالمعنى السياسي، ومتباعدتين بالمعنى الجغرافي. المسألة الأولى هي توضيب وتهيئة مكان التموضع

الجديد، والثانية ترتيب مكان الاخلاء بشكل جيد ومضمون. بالنسبة للمسألة الأولى المتعلقة بموقع التموضع في أمريكا اللاتينية والكاريبي، فقد تبدت ملامحها بشكل جيد، وشبه مكتمل، من خلال العدوان الأمريكي على فنزويلا واختطاف الرئيس نيكولاس مادورو وزوجته، واملاء الشروط على من خلفه، وفي دفع كولومبيا بالضغط السياسي والتلويح بالقوة الى الصمت والانزواء، وكذلك في المناوشات الجارية مع كوبا والتي لا تخلو من التهديد والوعيد. اما بالنسبة للمسالة الثانية والمتعلقة بالموقع الذي سيخلى (الشرق الأوسط)، فان الأمر يتعلق بشروط أمريكية أكثر وضوحا وتحديدا، يتمثل أولها في عدم السماح لأية قوة معادية للولايات المتحدة بالهيمنة على الإقليم، ويتمثل ثانيا في ضمان امن الممرات والنفط. تحقيق هذين الشرطين يستدعي تحقيق مسألتين متقابلتين، أولهما تحييد القوة التي يمكن ان يكون لها تأثير في الإقليم بحكم دورها ووزنها وموقفها المناهض لأمريكيا وإسرائيل، وثانيهما الدفع بإسرائيل كقوة مهيمنة ضامنة للمصالح الامريكية في المنطقة التي اخلتها. وفي هذا المفصل تحديدا كان قرار العدوان والتناسق بين الموقفين الأمريكي والإسرائيلي بعيدا عن مفردات التوريط والاستدراج. والمفارقة ان محاولة جني النتائج في موقع الاخلاء تمت بذات الالية التي سارت عليها الولايات المتحدة لترتيب موقع التموضع في فنزويلا، معتبرة ان التخلص من الامام الخامنئي في طهران، يساوي الخلاص من نيكولاس مادورو في كراكاس، وانه سيتم الحصول على ذات النتائج في زمن صفري، الأمر الذي كان واضحا وجليا في كل التصريحات التي أطلقها ترامب بعد اغتيال الامام، ومازال يرددها حتى اللحظة. ما سبق يعني ان العدوان على إيران يأتي في سياق محاولة إعادة صياغة موازين القوى في المنطقة، واحتواء الدور الإقليمي الإيراني وإضعافه أو دفعه إلى حالة من التفكك الداخلي. بما يفضي إلى إعادة رسم النظام الإقليمي في الشرق الأوسط وبروز ترتيبات أمنية وسياسية جديدة. وهنا كان الخطأ والمأزق الذي فتح الباب لصراع أطول واعقد مما حسبت وتوقعت الولايات المتحدة الامريكية. فقد جاء الرد الإيراني على العدوان بمستويين قصف إسرائيل من ناحية، واستهداف القواعد الامريكية في الخليج من ناحية ثانية. الان وفي خضم المواجهة الجارية، يطرح السؤال حول انعكاساتها على المنطقة العربية، وفي قراءة هذه الانعكاسات من المهم الأخذ بعين الاعتبار ان المنطقة العربية، في وضعها الراهن مقادة من قبل أنظمة تبعية سلمت امرها للإرادة الامريكية سواء بشكل مباشر كالأنظمة الخليجية، او بالواسطة مثل البقية التي سلمت امرها للأنظمة الخليجية، لذلك يمكن تسجيل بعض ملامح تعاطيها مع مسار الاحداث في النقاط الاتية.

أولا: ان القراءة المدققة فيما تعرضت له القواعد الامريكية في دول الخليج يؤكد حقيقة أساسية ان هذه القواعد غير قادرة على حماية هذه الدول، وبالتالي فان كل ادعاءات ترامب بانه يوفر الامن لدول الخليج ويدافع عنها، وارتباطا بهذا الادعاء، يقوم بعملية سلب منظم لثرواتها، اكدت مجريات الحرب انها ادعاءات باطلة. والسؤال هنا هل ستعي دول الخليج هذه الحقيقة ام لا.؟ يبدو ان تلك الدول تمضي في اتجاه اخر، فعندما احتفت تلك الانظمة بالنصر الذي لم يتحقق على إيران الى جانب أمريكيا وإسرائيل، كانت ترسل إشارة ذات رمزية سياسية، تفيد بانها جزء من حلف معادي لإيران، أي انها تعيد انتاج ذات المشروع الذي اشتغل عليه ترامب منذ طرح صفقة القرن. وان وعيها السياسي مازال رهين ذلك المربع ولم يتجاوزه بعد، ويبقى امرها مرهونا بتطور الصراع والاتجاهات التي سيمضي نحوها.

ثانيا: شهدت المنطقة اصطفاف عربي رسمي اعمى خلف دول الخليج، بتوجيه الاتهام لإيران بانها تستهدف دولا عربية، دون الإشارة من بعيد او قريب للعدوان الأمريكي، ولطبيعة هذه القواعد التي يشكل وجودها رغما عدوانا حقيقيا، ذلك يطرح سؤالا حول حدود ونوعية فهم النظام الرسمي العربي للأمن القومي ومنطلقات التهديد الذي يتعرض له الإقليم. هذا الاصطفاف العربي خلف المحور الخليجي ودون ان يتقدم أحد لمحاولة شق طريق اخر، يعني ان المحور الخليجي يكرس دوره للهيمنة على قرار المنطقة لصالح أمريكيا وإسرائيل.

ثالثا: يشهد لبنان تركيزا إسرائيليا أمريكيا يهدف الى فصل الملف اللبناني عن الإيراني، وتحريك قوى داخلية إضافة للإطار الرسمي للضغط على المقاومة، وذلك في سياق السعي الوصول للهدف الأساس وهو نزع سلاح المقاومة وطي ملفها على الساحة اللبنانية ودفع الساحة نحو التطبيع مع الكيان. الامر الذي يزيد ثقل الضغط على المقاومة اللبنانية، خاصة وان النظام الرسمي بتوجهاته الواضحة يتم دفعه ودعمه من قبل المحور الخليجي في هذا الاتجاه. الذي سيشكل مدخلا ـــ في حال نجاحه ـــ الى محاولة تفكيك كل البنى المقاومة تحديدا في العراق والعمل على تهيئة وخلق الظروف للانقضاض على اليمن.

ويبقى السؤال الأهم.. وماذا عن فلسطين.؟ الإجابة على ذلك ان إسرائيل تحاول في اللحظة الراهنة وبالاستفادة من التركيز الإعلامي على الحرب الإقليمية الذي يغطي موضوعيا على ما يجري في الأراضي المحتلة، تعظيم مكاسبها، وبمعنى ادق اغلاق الملف الفلسطيني على هزيمة تاريخية، لأنها باتت على قناعة ان العقبة التي تحول دون هيمنتها الإقليمية هي الصراع الجاري في منطقة القلب، في بؤرة المواجهة، وليس إمكاناتها الاقتصادية والتكنولوجية التي روجت لها كثيرا، والوجه الأخر للمسألة ان انهيار مشروع الهيمنة او نجاحة مرهون بقدرة المقاومة الفلسطينية على الصمود، وعلى حدي هذا المفصل تتحدد ملامح المرحلة القادمة.

ان هذا صمود المقاومة الفلسطينية سيتعزز بالضرورة، بقدرة إيران على إدارة الصراع وقد باتت تمسك بمفاصله الرئيسة، وقدرة المقاومة اللبنانية على الصمود وتفكيك كل الفخاخ المنصوبة من حوله، ووعي قوى محور المقاومة في لبنان والعراق بتاريخية ومصيرية دورها الراهن. الامر هو الذي سيرسم الملامح الأولية لصورة المرحلة القادمة في المنطقة بشكل كبير وحاسم.

مضيق هرمز.. إله الحكمة والنور الذي يُغرق العالم في المجهول

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

«سيكون الثلاثاء (2026/4/7) هو يوم محطات الطاقة، ويوم الجسور، مدمجين في يوم واحد، في إيران. لن يكون هناك مثيل لذلك!!! افتحوا المضيق اللعين، أيها الأوغاد المجانين، وإلا ستعيشون في جحيم- فقط راقبوا».

الرئيس الأمريكي دونالد ترامب

تغيرت أولويات الحرب الامريكية الصهيونية على إيران، التي اندلعت في الثامن والعشرين من فبراير/شباط 2026، من إنهاء البرنامج النووي والصاروخي البالستي وإسقاط النظام في إيران، إلى الاقتصار على منع إيران من امتلاك السلاح النووي وفتح مضيق هرمز أمام الملاحة الدولية بعد أن أعلنت إيران إغلاقه فسارعت البحرية الامريكية لفرض حصارٍ على الموانئ الإيرانية وتوسيعها بملاحقة السفن الإيرانية وتلك المحسوبة عليها في أعالي البحار، في محاولة لإحكام الحصار على طهران ومنعها من الحصول على عوائد مالية من موانئها على الخليج التي تقدر بأكثر من 400 مليون دولار وفق العديد من المصادر. لقد تحول المضيق إلى عنوان للصراع القائم، وترى فيه إيران «صيدا ثمينا» لا يقل كثيرا عن السلاح النووي وتعتبره أحد مكاسب الحرب ولا يمكن التفريط في هذه الورقة التي هزت الاقتصاد العالمي.

لكن مضيق هرمز ليس فقط ممرا جغرافيا ثانويا أو عاديا تمر منه البواخر والناقلات العملاقة المحملة بالنفط والبضائع ومنها الأسمدة، بل هو جزء أساسي من تاريخ منطقة الخليج بضفتيه العربية والإيرانية وروحها التي كتب عنها الكثير. تناوب السيطرة على المضيق الكثير من الغزاة والامبراطوريات التي وعت أهميته، وتحطمت على صخوره احلامها. على ضفافه شيّد قائد السواحل العماني (محمد درمكو) مملكة هرمز التي استمرت ثلاثة قرون، التي ازدهرت وكأنها أغنى بقعة على الأرض، باعتبارها مركز ما بين الهند وفارس، حسب الرحالة ابن بطوطة وقال عنها الكثير من الرحالة أنه «لوكان العالم خاتما لكانت هرمز جوهرته. كان هرمز جاذبا للكتابة والتأريخ. ف»تاريخ هذا الماء المزدحم لا يهدأ. تحكّم به الاسكندر الأكبر وغيره من مُغيِرّي الجمود إلى الحركة، اكتشفوا واقعا ملهما، سكانها القلة يحاذون سواحلهم ويجاورون بحرهم. يعتاشون من التجارة ورسوم الضرائب على السفن الدخيلة عليهم ببضاعة وسياحة، ليطمح الغرباء للسيطرة على حركة هذه المملكة المائية الصغيرة، والآن ها نحن البرتغاليين قد آن دورنا لنتفرد بخضوع بقيتها بإذن الرب، لا ذرائع تمنعني، ولا دخل للأخلاق في معركتي نحو الكشف والتوسع فأنا هنا باسم المسيح والملك»، وفق رواية «سلطنة هرمز» للكاتبة الإماراتية ريم الكمالي التي استقرأت ما يدور في خُلد الجنرال «الفونسو دي البوكيرك» قائد الاسطول البحري البرتغالي وهو يستعد للهجوم مطلع القرن السادس عشر على منطقة خصب الغنية بالمياه العذبة. مياه يحتاجها اسطول الغزاة ليكمل سيطرته على مملكة هرمز الممتدة على سواحل الخليج العربي من قريات ومسقط وصحار وخورفكان ورأس الحد ورؤوس الجبال وجلفار حتى الإحساء والقطيف غرباً، وجزيرة قشم شمالا.

في التاريخ، «هرمز» كان اسما لإله الحكمة والنور، وفق الزرادشتية، وهذا هو مصدر الاسم للمضيق الذي وصفه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بـ»المضيق اللعين»، عندما كان يهدد إيران في الأسبوع الأول من شهر نيسان/ابريل الماضي بسحقها وإعادتها للعصر الحجري، وأكد أنه سيقوم بتدمير جميع محطات الطاقة والجسور في ايران إذا لم يوافق قادتها على إعادة فتح مضيق هرمز. وذهب في تصريحات صحفية بالقول «إذا لم يمتثلوا، وإذا أرادوا إبقاءه (المضيق) مغلقا، فسوف يفقدون كل محطة طاقة وكل مصنع آخر لديهم في البلاد بأكملها (..) إن إيران تحتاج إلى 20 عاما لإعادة إعمارها، إذا حالفهم الحظ، هذا إن بقي لديهم بلد أصلا»، هكذا!!!

جاءت هذه التهديدات بعد أكثر من شهر على إقدام الولايات المتحدة الامريكية على ارتكاب مجزرة مدرسة ميناب الابتدائية، شرق جنوب إيران، والتي راح ضحيتها نحو 170 طفلة بصاروخ تماهوك. لقد كان الأطفال يحلمون بمستقبل غير الذي اوصلهم له ترامب.

أهمية المضيق

تدرك الإدارة الامريكية التي أعلنت الحرب على ايران أهمية مضيق هرمز لإيران ولدول مجلس التعاون الخليجي وللاقتصاد العالمي أيضا. فهو مضيق يمر عبر 20 بالمئة من النفط الذي يذهب اغلبه للدول الاسيوية وخصوصا الصين والهند وكوريا الجنوبية وكذلك لدول أوروبا، وحاله مثل الغاز الذي يمر عبر المضيق 25 بالمئة من الإنتاج العالمي، وان تعطل سلاسل الامداد شكل ضغطا على اقتصاديات العالم، حيث تسبب إغلاق المضيق في إحداث ارباك شديد عصف بالأسواق العالمية وأثر على تدفق السلع والبضائع الأخرى، وهو الامر الذي اعتبرته إيران عنصرا في صالحها كون مخرجات الاغلاق ستؤدي على ضغط على الإدارة الامريكية لانهاء حربها على ايران.

يقع مضيق هرمز بين إيران شماله وسلطنة عمان في جنوبه وفي منتصفه تلتقي المطقتين الاقتصاديتين الخالصتين، وهو يربط الخليج العربي بخليج عمان، ويعتبر الممر البحري الوحيد من الخليج العربي إلى المحيط الهندي. يبلغ طول المضيق حوالي 90 ميل بحري (167 كيلومترا)، ويتراوح عرضه بين حوالي 52 ميل بحري (96 كيلومتر) إلى 21 ميل بحري (39 كيلومتر). وبه ممرات ملاحية ضيقة عرضها ميلين، ما يسهل على إيران مهاجمة الأهداف المختارة سواء عبر الزوارق الصغيرة السريعة أو من الشواطئ والجبال التي تقع على ضفة المضيق. وربما هذا هو الذي قاد الرئيس ترامب على التراجع عن تنفيذ تهديداته بشأن المضيق بعد أن ادعى أنه تحادث مع مسؤول إيراني لم يكشف عن أسمه.

وتنتشر عشرات الجزر في المضيق أهمها جزيرة قشم وجزيرة لارك التي حدد الحرس الثوري الإيراني مسارات السفن بينها وبين الضفة الإيرانية من المضيق.

تمر أغلب شحنات الغذاء لدول المنطقة عبر المضيق، حيث تستورد السعودية أكثر من 80% من غذائها، والإمارات حوالي 90%، وقطر حوالي 98% من خلال مضيق هرمز. وتمر صادرات النفط الخليجية والعراقية والإيرانية، في غالبيتها العظمى، من خلاله. وفي هذا السياق يحذر برنامج الأغذية العالمي من أن سلاسل الإمداد قد تكون بالفعل على وشك التعرض لأشد اضطراب منذ جائحة كوفيد19- وبداية الحرب الأوكرانية الشاملة في عام 2022.

قبل الحرب، كانت تمر 60 ناقلة نفط يوميا، لكنها اليوم واثناء الأزمة لا تعد ناقلات النفط التي تعبر المضيق على أصابع اليد الواحدة.

وإذا كانت ناقلات النفط تعبر المضيق محملة بما بين 17 مليون- 20 مليون برميل يوميا قبل الحرب وتراجعت بنسبة 90 بالمئة تقريبا، فأن سفن الأسمدة تواجه ذات المشكلة. تشير المعلومات إلى أن قطاع الأسمدة في منطقة الخليج يواجه ضغوطات كبيرة بسبب تكدس الأسمدة في المصانع الخليجية وتباطؤ عملية الإنتاج بنسب يصل بعضها إلى 100 بالمئة.

وتفيد التقارير المتعددة بأن دول الشرق الأوسط تمثل نحو 40% إلى 43% من الصادرات البحرية لليوريا عالمياً، وأكثر من 40% من الكبريت، ونحو 30% من الأمونيا، وهذا يجعل أي اضطراب في الإمدادات ذا انعكاسات فورية على توازن السوق العالمي وأسعار الغذاء. وقد ترجمت الأسواق هذا التوجس بارتفاع أسعار اليوريا أكثر من 50% منذ شن الحرب على إيران. فقد ارتفعت أسعار اليوريا بنسبة 65% خلال شهر واحد فقط عقب بداية الحرب (27 فبراير – 26 مارس 2026)، فيما ارتفعت الأمونيا بنحو 155 دولاراً للطن الواحد.

وأشارت التقارير إلى أن صادرات المنطقة من الأسمدة تبلغ نحو 60 مليون طن سنوياً من إجمالي إنتاج يقارب 120 مليون طن، بما يمثل نحو 50% من صادرات الكبريت عالمياً و34% من تجارة اليوريا.

وتمثل صادرات الشرق الأوسط، بما في ذلك إيران ومصر، نحو 40% من إمدادات اليوريا العالمية، إضافة إلى نحو 30% من الأمونيا و25% و50% من الكبريت، مع اعتماد الإنتاج بشكل كبير على النفط والغاز الطبيعي المتاح محليا بأسعار تشجيعية تجعله منافسا عالميا من ناحية السعر. إن استمرار تعثر سلاسل الامداد سيكل المزيد من الضغوط على الأسواق وبالتالي على الزراعة التي هي في أمس الحاجة الان لهذه الأسمدة، رغم أن استمرار الوضع على هذا الجمود بإغلاق مضيق هرمز يعني تعرض اكثر من 45 مليون شخص للجوع حول العالم، حيث تفيد المعطيات أنه في حال فتح المضيق بشكل فوري فأن استئناف عملية التصدير تحتاج الى ما بين 4-6 أسابيع، اما في ظل استمرار اغلاق المضيق فأن الوضع يزداد سوءا.

حصار على الاغلاق

هذه المرة، نفذت إيران تهديداتها بإغلاق مضيق هرمز، بعد 47 سنة من التهديد بالاغلاق. فحتى ابان الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988) لم يغلق المضيق حتى في أوج ما سمي بحرب الناقلات التي أجبرت الولايات المتحدة على رفع علمها على السفن التي تبحر في المضيق، لم يغلق كما هو الحال في الحرب الحالية. وفي المقابل جاء تنفيذ البحرية الامريكية بحصار الموانئ الإيرانية في بحر عمان، لتشكل خنقا للمضيق ما اجبر أكثر من 600 سفينة على الاحتشاد في مياه المضيق، منها أكثر من 300 ناقلة نفط. هذا التحول في أولويات الحرب، قاد الحرس الثوري الإيراني على التأكيد بأن «السيطرة على مضيق هرمز والإبقاء على تأثيراته الرادعة للولايات المتحدة وداعمي البيت الأبيض في المنطقة، هي إستراتيجية حازمة لطهران». وفي المقابل قال وزير الحرب الأمريكي بيت هيغسيث، إن الحصار الأمريكي على إيران يتسع إلى نطاق عالمي، وإنه «لا يُسمح لأي سفينة بالإبحار من مضيق هرمز إلى أي مكان في العالم دون إذن من البحرية الأمريكية»، بينما قال رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية الجنرال دان كين إن الولايات المتحدة «تواصل فرض حصار صارم على الموانئ الإيرانية، وستطبقه بشكل شامل على أي سفينة أيا كانت».

هذا الوضع قاد إلى تراجع عدد السفن التي تعبر المضيق من 135 إلى 10 سفن فقط، ما يعني الشلل شبه التام لحركة المضيق الذي كانت مملكته درة التاج وفص خاتم العالم، ويبدو ان الولايات المتحدة لا ترى في استنزاف المنطقة برمتها أي خلل يمكن مراجعته حتى وأن تضررت الدول الحليفة لها في منطقة الخليج العربي. وهذا يعني أن هذه الحرب التي ارادتها واشنطن مفرمة للأطفال والبنى التحتية لا تعني صاحب القرار في البيت الأبيض، الامر الذي يفرض إعادة نظر هذه الدول في تحالفاتها انطلاقا من مصالحها ومصالح شعوبها.

لقد مر غزاة وامبراطوريات كثيرة على هرمز، وقد دفن بعضهم في بحره وبين صخور جباله، بينما انتهى بأخرى إلى التفسخ كما القلاع التي تسقط من الداخل.

التفوق الإيراني: لحظة تاريخية مفصلية في هزيمة الإمبريالية والصهيونية

د. محمد عبد القادر ـ كاتب وناقد فلسطيني ـ الأردن

لم أندهش حين قرأت على موقع صحيفة «الغارديان» البريطانية مقالاً للمحلل السياسي «سيدني بلومنتال» يقول فيه: «لقد خسر ترامب حربه مع إيران، إنه الآن رهينة في أيدي الإيرانيين، والأمر مختلف عن رهائن السفارة الأمريكية في طهران (بعد سقوط الشاه)، إذ إن ترامب هو من قذف بنفسه في أحضان الإيرانيين. وفي أقل من شهر على بدء رحلة قصيرة المدى إلى إيران، تبَعثَرت أهدافه المعلنة وذهبت أدراج الرياح، لم يتغير النظام ولا حدثت انتفاضة شعبية ولا سيطر ترامب على الثروة النفطية كما حدث في فنزويلا».

وإذا كان هذا الاقتباس رؤية محايدة للخسارة الأمريكية في الحرب على إيران، فإن الاقتباس الآتي يشير إلى صعود النجم الإيراني إلى آفاق لم يكن ليتوقعها أكثر المراقبين تفاؤلاً. في مقابلة مصورة مع البروفيسور روبرت بيب قال ما يأتي: «هل ستنضم إيران إلى الصين وروسيا والولايات المتحدة كقوة رابعة أساسية على المسرح العالمي؟ إن صمود إيران في وجه الحرب الأمريكية - الإسرائيلية يغير الآن موازين القوى العالمية. ما يتوافر لدى إيران من جغرافيا متآزرة مع مستوى معين من تكنولوجيا المسيّرات التي تعجز أمريكا عن تدميرها، إنما تبعث برسالة للدول الأخرى مفادها أن باستطاعتكم ألا تظلوا أسرى للهيمنة الأمريكية. ثم ما الذي يجعل الولايات المتحدة تعتقد أنها قادرة على منع إيران من التحول إلى قوة نووية في ستة أشهر قادمة أو حتى في غضون سنة؟ إن إيران أقوى من وضعها قبل (40) يوماً مضت، إذ إنها الآن تتحكم في 20% من نفط العالم، إنها الآن القوة المركزية الرابعة الناهضة على المسرح العالمي. وها هي اليوم أمريكا في جانب لوحدها والمنافسون لها في الجانب الآخر: الصين وروسيا وإيران... وإذا استمرت سيطرة إيران على مضيق هرمز لعدة أشهر أو لعدة سنوات - ولا أستبعد ذلك - فإن إيران ستغير جذرياً النظام العالمي وعلى حساب الولايات المتحدة».

تعيدنا هذه الآراء والمواقف والرؤى المستقبلية إلى محاولة قراءة المشهد السياسي - العسكري -الاقتصادي التحالفي في سيرته التفصيلية والمركبة في الوقت ذاته، لنُدرك كيف أدارت إيران وحلفاؤها الرد على عدوان أمريكي - صهيوني همجي مدعوم من أطراف «عربية»، واستطاعت أن تكون نِدّاً منتصراً على أعتى قوى العدوان والوحشية في التاريخ؟

1. ثقافة عميقة ومبادئ سياسية راسخة

تمتعت القيادة الإيرانية منذ الثورة في عام (1979) بوعي تاريخي صائب، وهو أن هذا الوطن الجديد سيكون هدفاً دائماً للإمبريالية الأمريكية والغربية عموماً، والصهيونية عبر كيانها العنصري الجاثم على أرض فلسطين.

ومن هنا حرصت بقوة على الاستقلال السيادي أو السيادة المستقلة الحقيقية، ورأت التحرر ودعم المناضلين في سبيل الحرية واجباً وطنياً وأخلاقياً ودينياً، فكانت

ضد قوى الظلم والطغيان والاستعمار القديم والحديث، وآزرت ثورات المستضعفين في كل مكان، في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولطالما طالبت دول الإقليم برفض الوجود العسكري الأمريكي وإنهاء قواعده العسكرية، لكن دعواها كانت تلقى آذاناً صماء.

ورأت طهران في قضية فلسطين نموذجاً للظلم والقهر والاحتلال الإجلائي القائم على الطرد والتهجير والإبادة، فقدمت الدعم لقوى الثورة الفلسطينية والعربية، وعززت من دور حلفائها في الإقليم حتى استقر محور المقاومة.

2. قيادة رؤيوية وبناء هيكلي متماسك

توهم العدو الأمريكي - الصهيوني و(بعض الأطراف «العربية») أن «قطع الرأس» - كما أسموه - سيوقع البلاد في أتون ثورة شعبية مضادة، يترنح فيها النظام برمته إلى أن يسقط، فتنقض أجهزة الاستخبارات مع العملاء المحليين على السلطات والمؤسسات ويأتون (بابن شاه) حاكماً للبلاد. لكن العقل الإيراني المسلح بالوعي ومعرفة طبيعة العدو كان يدرك أن القيادة الجماعية والهيكلية المنظمة والحسابات الدقيقة وتماسك الشعب ووحدته عند الشدائد كانت كفيلة بإجهاض الأحلام الاستعمارية والخيانية الداخلية، وهو ما حدث بالفعل، وما جعل خطط ترامب وقائده النتن مهزلة أمام العالم أجمع.

3. الأداء العسكري: عبقرية إدارة الموارد

فوجئ العالم كله بقدرات إيران على مجابهة عدوان أمريكي - صهيوني مركب. إذ انطلقت القيادة العسكرية المتمرسة والخبيرة من التفريق بين النصر التقليدي في حرب تقليدية وأدوات تقليدية، إلى أسلوب الحرب اللامتناظرة أو اللامتكافئة. وأدرك السياسيون والعسكريون أن البلاد وقيادتها وثرواتها وموقعها هي المستهدفة بمجملها، وليست فقط ما يزعمون حول القوة النووية أو الصاروخية أو المضيق: أدرك الإيرانيون أنها حرب ليست عابرة، بل إنها حروب عنقودية في إطار حرب تبدو واحدة. ومن هنا وسّع الإيرانيون نطاق الحرب لتشمل أبعاداً متعددة:

- هناك البعد العسكري الاستراتيجي.
- والبعد الملاحي عبر مضيق هرمز.
- والبعد الإقليمي بشقيه: ضرب القواعد العسكرية الأمريكية المجاورة وتحشيد قوى الحلفاء (لبنان واليمن والعراق).
- والبعد الطاقوي بوقف مرور 20% من النفط العالمي.
- والبعد الاقتصادي الذي يعني إحداث شلل في سلسلة التجارة العالمية من الخليج وإليه.
- أما البعد الآخر فهو البعد الأخلاقي. إذ كانت إيران وحزب الله والمقاومة العراقية تدرك جميعاً أنها تواجه عدواً بلا أخلاق، وسيعمد إلى ضرب المدنيين والمدارس والجامعات والمراكز الطبية ومحطات الطاقة ومنازل المدنيين، وهذا ما تجنبه الإيرانيون وحلفاؤهم، ليحققوا بذلك الهزيمة الأخلاقية لأطراف العدوان مجتمعة.

4. الاستراتيجية الحربية: نمط ردع مختلف

خبراء الإدارة الحربية والقتال الميداني يتحدثون عن تبني إيران عدة استراتيجيات في مجابهة الأعداء، لكنها جميعاً كانت تنتمي إلى أنماط الردع، فاستخدمت:

- أسلوب الردع بالصبر الاستراتيجي وتنشيط المحور.
- الردع بالعقاب عن طريق المسيّرات والصواريخ.
- الردع تحت النار، وهذا تجسد في هذه الحرب ليصبح أسلوب الحرب اللامتكافئة المتقدمة القائمة على الاستنزاف والإرهاق والهزيمة عبر إلحاق الأذى العسكري والمعنوي والسياسي والاقتصادي والجماهيري والإعلامي. وهذا ما تحققه إيران اليوم.

5. إدارة التفاوض من موقع المنتصر

لم يكن تفاوضاً تقليدياً ذاك الذي أدارته وما تزال تديره إيران مع قادة العدوان، هو تفاوض المنتصر الذي يعترف بنصره العالم كله من دول ومؤسسات ودراسات وكتابات وتقارير صحفية ومحللين استراتيجيين وغيرهم. هذا التفاوض الذي قدم بنوده أو شروطه وقبلها العدو ثم ارتد عنها كعادته لأنه يبحث عن صورة للنصر ما لم يتمكن من تحقيق نصر واضح ملموس. تبنّت طهران استراتيجية تفاوض قوية لا تنحني ولا تقدم تنازلات مجانية، لأنها تحمي مصالحها الوطنية وحماية النظام في مقدمتها. في إدارتها لعملية التفاوض أسقطت إيران نظرية الإملاءات التي توهم ترامب أن إيران سوف ترضخ لها، فيتقدم بمطالب أخرى للإهانة والهيمنة.

أكثر من ذلك، إنها ربطت الأمن البحري والعالمي بقيم العدالة والتحرر (لبنان وفلسطين) وإنهاء وجود القواعد العسكرية في المنطقة. وما يزال المفاوض الإيراني يفرض أسلوبه ومحتوى المفاوضات على الولايات المتحدة التي أوقعت نفسها في هذه الكارثة.

• إيران ما بعد الحرب

باستثناء الإعلام المتحلل من القيم والأخلاق عربياً كان أم غربياً، يمكن رصد العَديد من النتائج الإيجابية للصمود الإيراني، بل النصر الإيراني بمختلف وجوهه، على مستقبل الدور الإيراني في الإقليم وعلى مستوى العالم وقوى التحرر.

وأبرز هذه النتائج:

· إيران رقم صعب في معادلة الأمن الإقليمي والدولي.

· دور فاعل في تشكيل النظام العالمي الجديد المتعدد الأقطاب ومعادلات القوة.

· تأثير مباشر في الاقتصاد العالمي والطاقة والغذاء.

· قادت مرحلة تحول استراتيجي تاريخي.

· إيران نموذج للمقاومة العالمية ضد الإمبريالية والصهيونية.

· دور بارز في تراجع الهيمنة الأمريكية والصهيونية على العالم.

· موقع محترم في الكيان المعروف باسم (الجنوب العالمي).

· الحضارات العريقة لا تنهزم من ممثلي مجتمع إبستين.

· مضيق هرمز تحت الإدارة الإيرانية/ العُمانية بالتأكيد.

· لن تبقى إيران تحت الحصار الذي استمر 47 عاماً.

· لإيران أهمية حاسمة في مجابهة الظلم والعدوان وتعزيز العلاقات الشاملة مع الصين وروسيا.

· إيران ستغير الشرق الأوسط النقيض للتصور الصهيوني الإمبريالي.

· الأداء العسكري والسياسي والتفاوضي والإعلامي دروس غنية لمن يسعى إلى الحرية والخلاص من براثن الإمبريالية والصهيونية.

بوصلة العدالة الدولية.. فلسطين (أنموذجاً)

د. محمد عياش – كاتب وباحث سياسي ـ سورية

يبدو المشهد الدولي في متغيراته الراهنة، ومساقاته وما تظهر عليه بعض التطورات من مفاجآت كادت في الماضي مستحيلاً وضربًا من ضروب الخيال وأحلام اليقظة.. تأتي جلائل المواقف لتزف البشرى للقضية الفلسطينية، التي ساهمت الدعاية الصهيونية في شيطنتها لعقود طويلة؛ على أنها قضية محسومة لجهة تصفيتها وإنهائها على «المستحدث» الصهيو- أمريكي المستند على القوة والغطرسة.

في الماضي كانت الملاحقات والمراقبة الشديدة، تطارد كل من يفكر أو يلمّح في التعاطف مع القضية الفلسطينية ضد الممارسات الوحشية للكيان الصهيوني، والفصل من الوظائف وحتى الاغتيالات، ونسف المحاكم وإلغائها في حال تسلمها قضية تخص المظلمة الفلسطينية؛ كل هذا من الجلبة الصهيونية التي تحدثها في قلب القارة الأوروبية بالدرجة الأولى، وبقية العالم في مرتبة أقل.

لذلك يجب ألا يغيب عن ذهن المتابع في الشؤون الدولية التطوران اللذين جذبا الأنظار في قلب القارة الأوروبية، قبل ذكر التطورين، لابد الوقوف عند هذه المتغيرات وتفسيرهما وجعلهما مؤشرًا في سلم البيانات الصاعدة التي تسجل ارتفاعاً مهماً وسط الخطوط المنحنية والمنعرجة، ومنهجية قادمة لا محال في كنس الروايات والسرديات الصهيونية في قلب القارة الأوروبية التي رعت وأسست هذا الكيان، وبالتالي انهيار الكيان الصهيوني يجب أن يكون من القارة التي ساهمت في إنشائه وتثبيته في قلب الوطن العربي.

التطور الأول: يتمثل بالسقوط المدوي للحليف الأول للرئيس الأمريكي دونالد ترامب وما يسمى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو في قلب القارة الأوروبية، الفاشي والعنصري الرئيس الهنغاري، فيكتور أوربان الذي تلقى هزيمة ساحقة ومدوية في الانتخابات البرلمانية، وما تلاها من احتفالات للمعارضة بفوزها، وهتافاتها العارمة لحرية فلسطين، حيث كان أوربان من المتعصبين والمعارضين لأي إجراءات أوروبية ضد جريمة الإبادة الجماعية بحق أهلنا في قطاع غزة، وسياسة قضم وابتلاع الضفة الغربية.

هنغاريا / المجر؛ كانت بمثابة «بيضة القبان» في التصويت الأوروبي، ودعوتها لنتنياهو زيارتها في تحدٍ لقرارات المحكمة التي جرمتْهُ ووزير حربه السابق يوآف غالانت، الأمر الذي جعل نتنياهو يفاخر بالموقف الجريء لحليفه أوروبان، ودعوته لبقية الدول الأوروبية أن تحذو حذو الموقف الهنغاري الشجاع، ووجد هذا الموقف متنفسًا له ومهرباً من الملاحقات القانونية، وخداعاً للرأي العالمي.

التطور الثاني الآخر: جاء من رئيسة الحكومة الإيطالية، جورجا ميلوني، عندما عارضت الرئيس الأمريكي ترامب في حربه بالشراكة مع الكيان الصهيوني على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كان لـ «طوفان الأقصى»؛ الفضل الكبير لهذا التطور؛ وعليه أمكن البناء من أجل ملاحظة التطورات، والتغيير الجذري في عموم التفكير الأوروبي تجاه العدالة التي لم تنصف الفلسطينيين، وبات الأمر أمام الكثير من هذه التطورات بالمواقف في قادم الأيام ورؤية التغيير البنيوي الحاصل واللاحق وأفضل ما يسمى (الهزّة التكتونية) التي تعيد رسم الخرائط والمعالم.

والأهم تعليقها اتفاقية التعاون العسكري التقني مع الكيان الصهيوني، وهي التي كانت بالأمس من المؤيدين المتحالفين لما يسمى رئيس الوزراء الصهيوني نتنياهو، ودافعها إلى هذا؛ إدراكها المتأخر أنها ستخسر الانتخابات المقبلة بعد فشلها الصادم في الاستفتاء الذي حاولت به تقييد استقلالية القضاء الإيطالي، لأسباب عديدة، من أبرزها موقفها المؤيد للكيان الصهيوني وسط تأييد شعبي إيطالي عارم وواسع مع نضال الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة .

صحيح، أن الذاكرة العربية تجاه إيطاليا وتاريخها الاستعماري في ليبيا، وتصنيفها كدولة معتدية تبقى ماثلة، إلا أنها أي إيطاليا وشعبها في وقتنا الحاضر لا يحمل وزر هؤلاء الذين جاؤوا معتدين ومحتلين، وذلك نابعاً من قوة وصلابة النضال الفلسطيني الأخلاقي وحضورها في الضمير العالمي، ونتائجها أقرب للملامسة من الهمس والتلميح.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، كان واضحاً وجلياً، الأسباب التي أدت لهزيمة معسكر الرئيس الأمريكي السابق جو بايدن ونائبته كامالا هاريس الديمقراطي في الانتخابات الامريكية، وموقفهم الداعمة من حرب الإبادة الصهيونية، والخضوع المطلق للإملاءات، والدعم اللوجيستي، وتحريك «الأرمادا الأمريكية» إلى شواطئ فلسطين غداة الهجوم البطولي للمقاومة الفلسطينية في السابع من أكتوبر / تشرين الأول عام 2023. سبب التحول العارم، التأييد الجماعي في صفوف الحزب الديمقراطي الذي أصبح غالبيته مؤيدًا لقضية فلسطين العادلة، وبالأخص جيل الشباب؛ بل إن الموقف المعادي للفاشية الصهيونية هو سبب الانشقاق المتعاظم في صفوف الجمهوريين المؤيدين لترامب؛ وفي المقابل، تعزز الموقف الجماهيري لرئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز، وتأييده الواضح لقضية الشعب الفلسطيني المظلوم، وقراراته الجريئة المقاطعة العسكرية مع الكيان الصهيوني، وما تلاها من قرارات، ودعوته المستمرة لمحاسبة الكيان الصهيوني على جرائمه المستمرة بقطاع غزة المحاصر، وسعار المستوطنين في الضفة الغربية والتغول على لبنان والاعتداءات المستمرة على سوريا، ومعارضته الحرب الحالية على إيران. مؤشرات أصبحت عاملاً داخلياً مقررًا في جميع البلدان، من النرويج إلى الولايات المتحدة، مرورًا بأستراليا وكندا وأوروبا بكاملها تقريباً ، بل وصل الامر بالرئيس الأمريكي ترامب، الصدام مع بابا الفاتيكان الأمريكي الأصل، روبرت فرنسيس بريفوست، لاوون الرابع عشر حالياً بسبب معارضته الحرب ودعوته إلى السلام، ما يؤكد مدى عدالة القضية الفلسطينية التي تصبح يوما بعد يوم البوصلة الحقيقية للعدالة الدولية، ومقياسا ثابتا، وعليه الانتظار القريب وليس البعيد، المزيد من المواقف والإجراءات في قلب الدول التي تنتهج مبدأ الحق والعدالة في صميم المشروع الوطني، الذي من خلاله تثبيت أركانها من عدمها .

عززت القضية الفلسطينية حضورها في المحافل الدولية، من خلال أحقيتها ورواياتها وتضحياتها، ومن المفارقة الغريبة العجيبة، أن تصبح القضية الفلسطينية والوقوف معها، أو التعاطف بالحد الأدنى، سبباً في سقوط حكومات وصعود أخرى، وربما مع قادم الأيام تجري المحاسبات والاقتصاص من الأفعال الشنيعة التي تمارسها «إسرائيل»، وملاحقة مرتكبيها، هذا ليس ضربًا من الخيال، لأن تغيير المواقف والأيديولوجيات ممكن أن تأتي معها آليات (ميكانيزمات) ملزمة، وحينها يبدأ الخلل والتصدعات وربما تجنب والتهرب من المسؤولية لكل مسؤول أو حزب ينتمي إلى تلك الدولة التي ساهمت أو دعمت لو بالموقف في ما يجري من إبادة جماعية لا يمكن طمسها لا في التاريخ ولا في ضمير العالم الحي .

إن اندفاع الرئيس الأمريكي ترامب وراء الأهداف الصهيونية الفاشية، وتورطه في العدوان المستمر من قطاع غزة إلى طهران، محاولة فاشلة في الهروب إلى الأمام، وإشغال العالم الذي لم يتصور حجم الجريمة الكبرى في قطاع غزة، وانبراء ترمب بالحلول أمام المجرم نتنياهو، وطلب العفو له من الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتسوغ، دلائل لا تخطئها العين بأن هناك أزمة تتسع مع مرور الوقت، أو كالبالون الذي يزيد هواءً، والانفجار قادم لا محال، فالنظريات النفسية تترك بصماتها في مثل هذه الإجراءات في دقة المراقبة والإفلات من المحاسبة والمساءلة القادمة والخلل الإنساني الذي لا يمكن السكوت عنه وخصوصاً أمام ما يتمسكون بالقانون الدولي وتلابيبه.

قوة القضية الفلسطينية نابعة من قوة عدالتها، وإدراك العدو الصهيو- أمريكي بذلك، أخذه إلى أماكن في الذهنية الوحشية التي تقسم العالم إلى قسمين لا ثالث لهما، قوى الخير أو قوى الشر، وبالتالي فإن سهم الشر يتعزز يوماً بعد يوم لجهة التحالف الثعباني السام، ومن هنا تدرك المعاهد الدولية المشتغلة بالعلوم الإنسانية ومعاييرها ووضعها علامة غير قابلة للإزالة بأن هناك خللاً يصيب الكرة الأرضية؛ وبالتالي فإن من الواجب الوقوف أمام هذا الخلل وتقديم العلاج السريع قبل أن يتأزم ويصبح ديدناً وقانوناً أشبه بقانون الغاب (البقاء للأقوى) وما يرافقه من محاولات للاستيلاء على السلاح الأقوى في تخويف البشرية التي تنشد الحياة.

إن الإجرام الصهيو – أمريكي، حوّل القضية الفلسطينية العصّية عن الاستسلام والهزيمة، بالرغم من العذابات والجروح الغائرة، إلى (أنموذج) في المواجهة والصمود، ورمزية دولية يكتفي بها العالم أن يؤشر لحالة الظلم والجور، وبالتالي فإن المواقف النبيلة سواءً من دول أو من مؤسسات أو حتى أفراد، قادمة بازدياد، لتصبح المقولة المشهورة ملازمة لفلسطين، قوة فلسطين في ضعفها، وهذا الضعف في حالة الدعم المادي في ظل سياسة الحصار، وقوتها تستمد من عدالتها واستمرارها وثباتها على المبادئ ورؤيتها النهائية، دولة فلسطين من النهر إلى البحر وعاصمتها القدس الشريف قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين .

وقاحة ترامب وتوبيخه للبابا لاوون الرابع عشر، وادعائه بأنه المسيح المنتظر، واتكاء نتنياهو على تفسيرات الأسفار المزيفة واعتقاده بـ «أنه في مهمة إلهية»، حالة أشبه بالفرعونية ومارافقها من صراع مع قوى الحق وإن كانت بموقع الضعف، إلا أنها انتصرت، بالرغم من الصروح التي بنيت للوصول إلى أسباب السماء، وقلة الإمكانات والمقدرات، وكلمة الفصل للحق والعدالة والمنطق.

الأزمة الاقتصادية العالمية.. فاتورة العدوان على إيران

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

العدوان الأمريكي الصهيوني على إيران ولبنان والممتد إلى فلسطين.. لم يترك آثاره على هذه الأطراف وحدها. ولم يقتصر بنتائجه على منطقة الشرق الأوسط، باعتبارها المسرح الميداني للحرب. بل امتد إلى باقي أنحاء العالم. خصوصاً مع الارتفاع الجنوني بأسعار النفط والغاز العالمي. وتضرر الملاحة في مضيق هرمز. الذي يعد أهم ممر مائي استراتيجي للطاقة في العالم.

يتضح تأثير هذه الحرب في عدد من السياسات الطارئة التي تجلّت في أنحاء العالم. والتي يتوقع لها أن تتطور وتتفاقم ما دامت هذه الحرب الاستعمارية قائمة. وكما تتفاوت المواقف العالمية تجاهها. كذلك تفاوتت مواقف الدول الغربية والعربية. حسب مصالح تلك الدول واعتباراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والمواقف داخلها تجاه الحرب !..

• أسعار الطاقة وتكاليف النقل:

أدت الحرب إلى اضطراب أسواق النفط والغاز وارتفاع أسعارها عالمياً إلى معدل قياسي. إذ ارتفع سعر خام برنت من « 73» دولاراً للبرميل في شباط 2026. أي مع بدء العدوان الصهيوأمريكي الحالي، فوصل إلى «120 « دولاراً للبرميل خلال شهر نيسان 2026. وهو أعلى مستوى له منذ حزيران 2022. وأعلى معدل لارتفاعه منذ أيلول 1991 إبان حرب الخليج الثانية !..

ولهذا الارتفاع في أسعار الطاقة وجهان.. الأول: يمثل مكسباً على المدى القريب للدول المعتمدة على تصدير البترول والغاز. وهي تضم دولاً على غرار «مجموعة أوبك»، بينما يؤثر الثاني: سلباً على الدول المستوردة والصافية للغاز والنفط. ولا سيما تلك التي لا تستطيع الوصول إلى أسواق رأس المال الدولية لتخفيف حدّة الصدمة- الأزمة-. وهي غالبية دول العالم، فارتفاع أسعار الطاقة يترجم سريعاً إلى ارتفاع تكاليف النقل، وزيادة أسعار المواد الغذائية والطبية والسلع الضرورية، وتضخّم عام.. ويحذر الاقتصاديون من أن ارتفاع تكاليف الطاقة سيزعزع استقرار العملات ويعمق أزمة تكاليف المعيشة في معظم دول العالم !.

ويعد مضيق هرمز وباب المندب أهم ممرين مائيين يربطان بين بحر العرب والمحيط الهندي بالبحر المتوسط. وبالتالي هما نقطتا توتر حاسمة. فالاضطرابات في أحدهم قد تؤثر على طرق التجارة التي تربط آسيا وأفريقيا و أوروبا والشرق الأوسط. ولدرء المخاطر الأمنية

والاقتصادية المرتبطة بهما، تدرس شركات الشحن بالفعل مسارات أطول وأكثر تكلفة حول جنوب أفريقيا.. وعلى الرغم من أن هذا قد يقلل من المخاطر الأمنية المباشرة على السفن، فإنه يرفع تكاليف النقل عالمياً، مما يزيد من التضخم والضغوط الاقتصادية على الدول التي تعتمد على الاستيراد، وتكافح للتعافي من صدمات جائحة كورونا، والحرب الروسية الأوكرانية وأزمات المناخ والديون، فتأتي الحرب الأخيرة ضربة إضافية أخرى !..

لم يتوقف النزيف عند حدود الأسواق المالية. بل امتد ليشمل قطاع الطيران والسياحة، فالعديد من الخطوط الجوية العالمية اضطرت إلى إلغاء « 50% » من رحلاتها، متكبدة خسائر يومية تقدر بمئات الملايين من الدولارات نتيجة تحويل المسارات الجوية ..

• آفاق الحرب إلى أين؟

مع هدنة الأسبوعين التي أعلنها الرئيس الأمريكي ترامب يوم 2026/4/7 يصبح مسار توقف الحرب وصمود الشعب الإيراني وتماسك وحدته القومية، هو مرجّح، وذلك وفقاً للمعطيات التالية:

1 - غياب استراتيجية واضحة للجانب الأمريكي من الحرب، فتناقض تصريحات الرئيس ترامب بشأن تحقيق أهداف الحرب، والتراجع الأمريكي عن إسقاط النظام الإيراني، والتراجع المماثل عن هدف فتح مضيق هرمز أمام الملاحة بالقوة، ثم العودة لحصاره، وربط انتهاء الحرب به، وهو ما يعكس تخبطاً لدى الإدارة الأمريكية !..

-2 الإخفاق الصهيوأمريكي عن تحقيق مجمل أهداف العدوان على إيران. إضافة إلى امتداد طول الحرب إلى ما يتجاوز الزمن الذي حددته واشنطن وتل أبيب بأكثر من أربعة أضعاف. وهو ما يضعف الموقف الأمريكي- الصهيوني، في مقابل تعزيز وتماسك الموقف الإيراني، وقد يكون من نتائج الحرب زيادة إيمان وقناعة الشعب الإيراني بضرورة امتلاك أسلحة ردع فتاكة- مثل السلاح النووي- في مواجهة القوى المعادية والغاشمة. وهو ما يصب في صالح شرعية النظام الإيراني والتفاف الشعب حوله في نهاية المطاف !..

-3 تصاعد دور المعارضة للحرب رسمياً وشعبياً على الصعيد الدولي وداخل الولايات المتحدة خصوصاً، وانخفاض شعبية الرئيس ترامب، وتوجيه الإدانات له داخل قاعدته الانتخابية واتهامه بالنكوث عن وعوده الانتخابية بتجنب الحروب الخارجية !..

-4 عجز الولايات المتحدة عن تشكيل تحالف دولي داعم للحرب على إيران، مثلما حدث في الأعوام 1991 – 2003 أثناء الحرب على العراق، وإعلان دول أوروبية مؤثرة في حلف الناتو، مثل إسبانيا وإيرلندا وسلوفينيا وبلجيكا وغيرها.. مواقف صريحة رافضة للحرب، في الوقت الذي تعزز فيه إيران من تحالفاتها الإقليمية والدولية. وتكرس فرضية «وحدة الساحات» في الشرق الأوسط ..

-5 الضغوط المتزايدة على الاقتصاد العالمي، وعلى سلاسل توريد الطاقة العالمية، والخسائر الكبيرة التي لحقت بالاقتصادات العالمية، مع تعرض البنية البترولية الخليجية للاستهداف ..

-6 غموض المواقف العربية تجاه الحرب، واختلاف الخطاب لدى الدول العربية الرئيسية.. الأمر الذي أضعف الموقف العربي تجاه الولايات المتحدة وحليفتها «إسرائيل» في الوقت نفسه !..

مع ذلك، فإن مسار استمرار الحرب يحظى بفرص لا بأس بها، في ظل التمسك بالهيمنة على المنطقة وتطويعها، في مقابل إرادة إيرانية قادرة على الصمود واستنزاف العدو الصهيوني والأمريكي على المدى الطويل !.

• واسطة إسلام آباد:

في حال تم التوصل لاتفاق من المفترض نظرياً أن تخف الآثار والأعباء الاقتصادية التي ألمّت بالعالم، خصوصاً مع التراجع المتوقع لأسعار النفط والغاز في هذه الحالة، وسيكون على المجتمع الدولي الذي يسعى لاحتواء آثار التضخم الناتج عن الحرب أن يعالج ما أصاب ميزانيات الدول من عجز، وانخفاض قيمة عملاتها.. وإذا حدث وتم التوافق على فرض رسوم على المرور في مضيق هرمز، فإن على دول العالم، أن تتكيف مع الرسوم الإضافية الناجمة عن ذلك !..

أما في حال فشل التفاوض، فمن الممكن امتداد ميدان الحرب إلى القارة الأفريقية بعد قرار أنصار الله «الحوثيون» في اليمن المتحالفون مع إيران ويشرفون على مضيق باب المندب، وهو من الممرات الملاحية المهمة التي تطل عليها القارة الآسيوية والأفريقية خصوصاً في إقليمها الشرقي، الذي يمكن معه التوسع التدريجي في ديناميات الأمن التي تربط القرن الأفريقي والبحر الأحمر والمتوسط وغرب أفريقيا، مع احتمال دخول جهات فاعلة مثل روسيا والصين. ويؤشر تلويح إيران باستخدام ورقة باب المندب، في أعقاب تعاظم التوترات حول مضيق هرمز، إلى احتمال اتساع رقعة الحرب لتشمل صراعاً بحرياً آخر في البحر الأحمر، مع مرور ما يقارب «عشر التجارة العالمية» عبر هذا الممر المائي الحيوي. ومع قدرة حلفاء إيران -كأنصار الله- على استهداف السفن المعادية، فلم يعد الخطر محصوراً في مضيق هرمز والخليج، وربما تسعى إيران لفتح جبهة ثانية في البحر الأحمر، من أجل تشتيت انتباه القوات المعتدية الأمريكية والإسرائيلية. وقد يتحول أنصار الله -الحوثيون- إلى استراتيجية مزدوجة تجمع بين الضغط على باب المندب، والضغط على تدفقات الطاقة !..

• استراتيجياً:

يعتبر خروج النظام الإيراني من الحرب سالماً إنجازاً يؤكد على شرعية هذا النظام. ويحسب لصمود الشعب الإيراني وتضحياته، ويزيد من حقه وسعيه لمزيد من التطور والتقدم والاستقلال مستفيداً من الحليفين الروسي والصيني. وسيقوي هذا الإنجاز كافة البنود العشرة للتفاوض بين إيران والإدارة الأمريكية على وقف الحرب. وبالتالي رفع العقوبات الاقتصادية، وعدم تعرّض إيران لحروب جديدة، وإعادة إعمار البنية التحتية والمدن التي دمرها العدوان الصهيوأمريكي.. ووقف الانتهاكات الإسرائيلية في لبنان وفلسطين.. ومن شأن التوافق على رسوم جديدة على السفن التي تعبر المضيق- كما هو معلن- أن يزيد من الموارد الإيرانية، ويسهم في تكلفة إعادة إعمار ما دمره العدوان الصهيوأمريكي !.

دبلوماسية مفاوضات الخطوة بخطوة في إسلام أباد ودبلوماسية مفاوضات القفز في واشنطن

سمير دياب /منسق عام اللقاء اليساري العربي

قبل موعد الغداء يصرح ترامب «ان حضارة إيران بأكملها سوف تفنى». وبعد فترة القيلولة يصرح «أنه نصر شامل لا ريب فيه»، وذلك إبتهاجاً بالتوصل لوقف إطلاق النار مع إيران لمدة أسبوعين بوساطة باكستانية، كخطوة باتجاه التسوية وإنهاء الحرب. ما بين التصريحين المتضاربين يحبس الاقتصادي العالمي أنفاسه بين «شهيق التوتر والفوضى» و «زفير الحل والفرج» ووسط مروحة واسعة من التحليلات والتكهنات التي لم يألفها التاريخ بهذا الشكل مع ممثل الرأسمالية العالمية ترامب المهووس بالسلطة والمال والعظمة، والذي يدير لعبة مصير شعوب الأمم ومصالح الدول من واشنطن ضد إيران ولبنان ومنطقة الشرق الأوسط ، وضد فنزويلا وأميركا اللاتينية وغرينلاند وصولا إلى كندا، وضد أوروبا وروسيا للوصول إلى الصين.

ماذا يعني الإعلان عن هدنة في إسلام أباد وعلى ماذا جري التفاوض، وهل 21 ساعة من المفاوضات كافية لطي صفحة الحرب!! اسئلة كثيرة عادية في حرب غير عادية، بدأت من قبل ترامب بسقف تغيير النظام في إيران ومجموعة ممنوعات حول الملف النووي والصواريخ الباليستية.. لتنتهي بعد 40يوماً حسب تعبير ترامب عن إنجازه العظيم في إعادة فتح مضيق هرمز(قبل أن يعاد إغلاقه بعد يومين إثر الحصار البحري الاميركي على الموانئ الإيرانية.

وبما أن كل حرب تصل في لحظة ما إلى طاولة مفاوضات وفق حسابات ميزان القوى، فإن الإتفاق على هدنة إسلام آباد، يعني فتح ثغرة في مسار الإنتقال من خط التوتر العسكري إلى خط التوتر السياسي، تمهيداً إلى تسوية ما، وعقد صفقة أشمل.

لكن، حتى اللحظة، فإن الهدنة «تترنح» لأسباب متعددة لها علاقة بالإبتزاز، وبرفع مستوى القوة وتأثيراتها المباشرة على كل طرف، وحول إشكالية الملف النووي.. وبالتالي، فإن هذا الاتفاق الأولي سيكون معرضاً للإهتزاز أو- ربما- للإنهيار المؤقت بسبب أن عناصر التسوية لم تنضج بعد.

في جردة الحسابات الراهنة، سواء صمدت الهدنة أم لا، فإن اللقاء بين الوفد الأميركي – والوفد الإيراني (النظام عينه) يعد إنتكاسة للسياسة الأميركية وصفعة كبيرة لترامب شخصياً. لتبقى «حسابات البيدر» هي الفيصل، فحرب الإمبريالية الأميركية – الصهيونية ضد إيران كشفت عن أحجام وأوزان أطرافها، وأعادت خلط الأوراق في الشرق الأوسط وحتى العالم. وأصبحت الدراسات الاستراتيجية تدور حول مدى فعالية عراضات القوة العسكرية والبحرية الأميركية في هذه الحرب، ونسبة الأضرار والخسائر اللاحقة بالاقتصاد العالمي، ومدى تأثير الإنقسام السياسي الداخلي الأميركي والقاعدة الشعبية لترامب، وإنعكاسات ذلك على نتائج الإنتخابات النصفية المقبلة. أما النقاش تحت الطاولة فيدور حول: «أي مستقبل لنفوذ الإمبريالية الأميركية وسيطرتها المطلقة في منطقة الشرق الأوسط بعد هذه الحرب» ؟.

في القراءة الإيرانية

إيران تخوض الحرب تحت شعار» نكون أو لا نكون»، وكل تصريحات المسؤولين تدحض مزاعم إنتصارات ترامب الوهمية. وتعتبر أنها استطاعت إنتزاع تنازلات لم تكن واشنطن تتصور تقديمها قبل اندلاع هذه الحرب. وتتخلص في أن:

- هدنة إسلام آباد جرت وفق مسودة النقاط العشر المقدمة من قبلها لقبول التفاوض.
- وقف الأعمال العدائية الدائمة على إيران ولبنان والحلفاء في العراق واليمن.
- أي خرق للإتفاق سيعني إستئناف الهجمات.
- رفع الحصار والعقوبات والإفراج عن الأصول المجمدة.
- الحق في تخصيب اليورانيوم.

على ضوء ذلك، جرى البحث في إسلام آباد وتبعه الإعلان عن هدنة مؤقتة لمدة أسبوعين وفق دبلوماسية مفاوضات (الخطوة مقابل خطوة). وبعدها بأيام، تم الإعلان عن هدنة في 17 نيسان/ إبريل لمدة عشرة أيام بين لبنان والعدو الإسرائيلي في واشنطن، تم على إثره فتح مضيق هرمز في دلالة إيرانية على الأهمية الاستراتيجية لربط الساحة اللبنانية بمفاوضات إسلام آباد.

يمكن الإستنتاج: أن ثبات النظام الإيراني على مواقفه وصموده وقدرته على المواجهة والدفاع عن النفس بمستويات قتالية عالية

برهن بالملموس عن إمكانية التصدي لأكبر قوة عسكرية في العالم، واستخدام تكتيكي لأوراق قوته من صواريخ ومسيرات وإغلاق مضيق هرمز. وبالتالي، فرض موقعه المتقدم في قلب الحسابات داخل الخارطة الإقليمية – الدولية.

هذه المعادلة الميدانية المستجدة، غيرت مجرى بوصلة أهداف ترامب، فاختلت مواقفه المتضاربة، وتنوعت لغة إنتصاراته. لكن بعيداً عن هوس ترامب بالتصريحات وحب الظهور الإعلامي ، فإن سوء تقديره للحرب والإستهانة بالقدرات الإيرانية أوصلته إلى كبح جماح طموحاته، وإصابة نهجه « لنجعل من أميركا عظيمة مرة أخرى» بصاروخ باليستي مباشر، عدا عن إغراق الرأسمالية الأميركية والعالمية أكثر في أزمتها الاقتصادية رغم إرتفاع الطلب على تشغيل المصانع الحربية وأرباحها. لكن الاقتصاد العالمي يخضع الآن لأصعب إختبار في إرتفاع معدلات البطالة والتضخم . وإن أقصى ما يفعله خيار اللجوء للحروب أنه يؤجل زمن انهيار النظام الآحادي العالمي الإمبريالي الأميركي.

في قراءة الكيان الصهيوني للمفاوضات في أسلام آباد

يقرأ العدو الصهيوني إعلان وقف إطلاق النار بين واشنطن وطهران وفق مصالحه ومشروعه التوسعي ونهجه الفاشي، ويعتبره من أسوأ الإتفاقات للأسباب التالية :

- أنه يقوي موقع ونفوذ إيران في المنطقة.
- أنه يفرمل اندفاعة خطة الكيان لقيام «إسرائيل الكبرى».
- يؤدي لاحقاً في حال التسوية – الصفقة إلى تراجع الإهتمام والقوة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط والتركيز حسب وثيقة «الأمن القومي» على الجزء الغربي من القارة الأميركية. ما يعني إضعاف دوره وهدم بنيان مشروعه الاستعماري التوسعي. وبالتالي، خوفه من تهديد أمنه باستهدافه من الصواريخ والمسيرات الإيرانية، ومثلها من المقاومة في لبنان بعد إثبات قدرتها وصلابتها على المواجهة بقوة ضد قواته العسكرية في الجنوب اللبناني.

لذلك، يعمل نتنياهو على خط القبول شكلاً بالهدنة على الجبهة مع لبنان. أما في المضمون، فإنه يدفع بأقصى سرعة وصورة للاستفادة من الضوء الأخضر الأميركي (حرية التصرف والدفاع عن النفس) ليمارس أبشع أنواع الأفعال الجرمية بحق المدنيين في لبنان، وتدمير وجرف قرى ما يسمى «الخط الأصفر» التي تصل لعمق 10 كيلومتر، ومنع أهالي 55 بلدة وقرية من العودة إلى منازلهم وأرزاقهم الواقعة ضمن هذا الخط المصطنع المحتل. لإبقاء جبهة الحرب مفتوحة مع لبنان لدواعي سياسية إنتخابية داخلية من جهة، ولزوم إنضاج المزيد من الشروخات والإنقسامات داخل المجتمع اللبناني لتسهيل عملية التفتيت والفتنة الطائفية الداخلية من جهة ثانية. الأمر الذي يكسبه وقتاً حراً وسهلاً لتحقيق أهدافه العسكرية والسياسية معاً : في محاولة القضاء على المقاومة المسلحة وتأجيج الصراعات الطائفية لجعل لبنان محمية «إسرائيلية» بدعم أميركي وإشرافه ورعايته للمفاوضات المباشرة. وبالتالي، تحقيق ما عجز عن تحقيقه العدو منذ إتفاق العار في 17 أيار 1983 (الذي تم إسقاطه من قبل الشعب اللبناني بقواه الوطنية بعد أقل من عام). مع إغتنام فرصة إرتماء بعض أركان السلطة السياسية اللبنانية بالحضن الاميركي، لإعلان موت القرار 1701 والقفز سريعاً نحو المفاوضات معه في واشنطن.

المأزق في لبنان

يبرز المأزق في لبنان في أن الفريق المستعجل على مفاوضات «السلام» - الاستسلام والتطبيع- مع العدو الصهيوني، فاته، وهو يحاول أن يتجنب فخ ربط ورقة لبنان في مفاوضات إسلام آباد، قد داس على لغم أميركي – صهيوني قطّعه إلى أشلاء في جره إلى مفاوضات مباشرة في واشنطن من دون إجماع وطني أو أوراق قوة للتفاوض. والمخجل في الموضوع، أن هذا الفريق يحاجج بإستقلالية قراره وصوابيته، مع إدراكه – بالتأكيد – أنه بقراره هذا – إنما – «يحرق تاريخ طويل من مقاومة وصمود وتضحيات هذا الوطن بشعبه وقواه الشيوعية واليسارية والقومية والناصرية الإسلامية، والجيش اللبناني»، لمفاوضات مع عدو صهيوني إحتلالي استعماري يحلم بالتوسع والسيطرة على لبنان وفلسطين وسوريا والمنطقة، ولا يقيم وزناً للإتفاقات أو المواثيق الدولية، ولا يأبه بخرقها، طالما الأميركي شريكه وصانع معجزات إدخال الملحقات الملغومة في بنود الاتفاقات التي تتضمن «حرية تصرف وحق العدو منفردا في الدفاع عن النفس».

وأنسب ما يقال في هذا الإطار، أن «غلطة الشاطر بألف غلطة». فالمفاوضات أو العلاقات مع العدو الصهيوني ليست مرفوضة سياسيا وشعبيا فحسب، إنما هي قاتلة لصحة الوطن والشعب والمقاومة. وبما أن الآوان لم يفت بعد. فإن أحسن الخيارات المطلوبة بعيداً عن لغة التصنيف والتخوين، هو خيار الحوار الوطني الشامل من أجل الإنقاذ لتحصين الساحة الداخلية وتعزيز السلم الأهلي والوحدة والاستقلالية. وحتى لا يبقى الحوار مقتصراً على قوى السلطة السياسية الطائفية، ويتحول- كما في السابق - إلى إعادة ترتيب وإنتاج نظام محاصصة طائفية – تبعية جديدة. لا بد من تحديد معايير ومنطلقات ومهمة هذا الحوار الوطني ووظيفته لإخراج لبنان من المأزق الراهن . وأهم المنطلقات الضرورية تتلخص في الحسم النهائي لثلاثية : التبعية – الطائفية - نظام الزبائنية والمنافع، والتخلص منها. من هنا، يمكن أن تتشكل عناصر المشروع الوطني الذي يربط المسالة الوطنية بالمسألة الاجتماعية (التحرير بالتغيير الديمقراطي) من خلال بناء الدولة الوطنية الديمقراطية – المُقاومِة (العسكرية والسياسية والشعبية) التي تحفظ السيادة والاستقلال والحق في المقاومة لتحرير الأرض من رجس المحتل الصهيوني دون قيد أو شرط حتى حدود خط الهدنة لعام 1949، واستعادة الأسرى، وعودة النازحين إلى منازلهم وأرزاقهم، ووضع خطة تنموية وإعمارية واقتصادية وطنية شاملة. ومن دون هذه الخطوات المفصلية فإن المخاطر الداخلية والخارجية المحتملة القادمة على لبنان خطيرة جداً.

لقد قدمت شعوبنا في فلسطين ولبنان والمنطقة العربية برمتها التضحيات الجليلة، واستطاعت أن تفرض باللحم الحي تراجع زحف المشروع الإمبريالي الصهيوني بصمودها ومقاومتها. لكنها تفتقد لرافعة مشروع حركة تحرر وطني عربية جذري وشامل، بقيادة ثورية. وهي المهمة الوطنية الملحة القادرة على حماية المقاومة ومشروعها الوطني والاجتماعي لتفعيل المواجهة ضد الإمبريالية الأميركية – الصهيونية – الرجعية من أجل التحرير والتغيير الديمقراطي.

الدور الخفي لإبستين في الشرق الأوسط وتأثيره على القضية الفلسطينية

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

ما زالت ملفات جيفري إبستين، الذي توفي في زنزانته بظروف غامضة عام 2019، تكشف عن فضائح جديدة تُضاف إلى جرائمه البشعة المعروفة بالاعتداء على الأطفال والقاصرات، والاتجار بالجنس وتعذيب النساء. تؤكد ملايين الوثائق التي تم الإفراج عنها عام 2026، دوره كعميل لمخابرات الكيان الصهيوني، تم تدريبه بإشراف إيهود باراك رئيس الوزراء الأسبق (1999 - 2001) ووزير الدفاع السابق (2007 - 2013). لقد جرى استخدامه كأداة لتوريط النُخب من مختلف أنحاء العالم، وجمع المعلومات عنهم وتسهيل اختراقهم. لقد كانت شبكة علاقاته تضم أسماء لامعة من الملياردريات، والملوك، والقادة السياسيين، ورجال الدولة، والمشاهير، والأكاديميين، ونخب الإعلام، وكان يستقطب هذه الشخصيات إلى الحفلات الخاصة الماجنة في جزيرته الخاصة، أو في القصور الفاخرة التي كان يمتلكها في نيويورك وفلوريدا ومناطق أخرى حول العالم، أو على متن طائرته الخاصة. جميع هذه العمليات كانت موثقة وتحت السيطرة، وأصبحت الأداة القوية، أو أوراق الضغط، التي استخدمها إبستين وشركاؤه للضغط على السياسيين واستغلالهم، والتحكم بمواقفهم السياسية، وفقاً للمصلحة ومتطلبات الظروف. وهذا ما يُفسر الولاء غير المشروط لبعض السياسيين الأمريكيين، بما في ذلك الرئيس وغيره، ومن الأوروبيين والعرب للكيان الصهيوني، على الأقل فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وفي الحرب على غزة بشكل خاص، بالرغم من المظاهرات والاحتجاجات الشعبية المؤيدة للفلسطينيين في تلك الدول.

لقد كانت المنطقة العربية دائماً في صلب اهتمامات إبستين وشركاؤه، وكان يتردد على بعض الدول العربية، خصوصاً الإمارات العربية المتحدة وقطر والسعودية باستمرار، بينما كانت عينه على القضية الفلسطينية. استطاع إبستين أن يُنشئ شبكة علاقات قوية في المنطقة، وأن يُحقق اختراقا قوياً من خلال القوة الناعمة التي استخدمها، ما أدى إلى حدوث تحولات جيوسياسية كُبرى، هدفها الرئيس هو حماية الكيان الصهيوني وتهميش القضية الفلسطينية. ويُمكن القول: إن أبرز هذه التحولات شملت انقسامات وصراعات داخلية بين الدول العربية، وتغييرات استراتيجية، وتوقيع إتفاقيات سلام، وتطبيع علاقات بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية، بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية، ما أدى إلى تراجع القضية الفلسطينية وبرنامجها الوطني. ربما، لم يصنع إبستين اتفاقيات السلام المزعوم أو التطبيع مع الكيان الصهيوني بيده، لكنه من دون شك، ساهم بفعالية في توفير الأرضية الملائمة لها. فقد أدار شبكة قوية من العلاقات العامة والبنى التحتية، البشرية والتقنية، التي جعلت اتفاقيات مثل اتفاق أوسلو عام 1993، والاتفاقيات الإبراهيمية في عام 2020 ممكنة وقابلة للتوقيع. لقد أدى إبستين دوره كمهندس الظل الذي مهد لهذه التحولات. واستطاع مع شركائه، ومن خلال عمل استخباراتي طويل، ربط المصالح الأمنية

الصهيونية مع شراكات استثمارية وأمنية تحولت فيما بعد إلى علاقات سياسية، خصوصاً مع بعض دول الخليج. وقام مع شريكه إيهود باراك، بالتسويق لتقنيات المراقبة والذكاء الاصطناعي الصهيونية في دول الخليج عبر شركات كان يُديرها ضباط سابقون في الاستخبارات الصهيونية، وذلك قبل سنوات من التطبيع الرسمي مع تلك الدول. لقد تبين أن هنالك أسماء كثيرة كانت على علاقة وثيقة مع إبستين، واستفادت من خدمات متبادلة معه. بعض هذه الأسماء كان لها الدور البارز في رسم سياسات الشرق الأوسط ومصير القضية الفلسطينية، والتحولات الجيوسياسية في المنطقة. لقد شكلت هذه الأسماء جزءاً أساسياً من شبكة البنى التحتية البشرية التي استخدمها إبستين في تنفيذ سياساته الناعمة، وأدت إلى التطبيع بين بعض الدول العربية والكيان الصهيوني. ضمت هذه الشخصيات أسماء نافذة ساعدت على تنفيذ مخططاته. من بين أبرز الأسماء:

• سلطان أحمد بن سليم، الرئيس التنفيذي السابق لمجموعة موانئ دبي العالمية، وأحد أبرز المقربين من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، حاكم دبي ورئيس وزراء دولة الإمارات العربية المتحدة. رتب له إبستين عدة لقاءات سرية مع إيهود باراك في نيويورك منذ عام 2013 لمناقشة استثمارات في شركات صهيونية، وبناء جسور غير رسمية. وقابل باراك في تل أبيب عام 2018 خلال زيارة لعلاج ابنته. وعرّفه أيضاً على شخصيات مؤثرة كان لها دور في الترويج للتطبيع مثل ستيف بانون، المستشار السابق لترامب؛ وبيتر ماندلسون، العضو السابق في مجلس اللوردات البريطاني.

• حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني، رئيس الوزراء القطري (2007 - 2013) ووزير الخارجية الأسبق (1992 - 2013). قام إبستين بترتيب لقاءات سرية له مع إيهود باراك في عام 2018؛ وكان يُقدم له نصائح سياسية تتعلق بعلاقات قطر مع واشنطن. أدى الشيخ حمد دوراً خطيراً فيما سمي بالربيع العربي، خاصة في ليبيا وسوريا. وكان من أبرز المؤيدين لتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وكان أول من بدأ العلاقات التجارية مع الكيان الصهيوني عام 1996 من خلال مكتب التعاون في الدوحة، وتزويد الكيان الصهيوني بالغاز بأسعار رمزية. وهو، أيضاً، أول من روج لفكرة مبادلة الأراضي بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين عام 2013 بدلاً من التمسك بحدود عام 1967.

• أحمد أبو الغيط، وزير الخارجية المصري الأسبق والأمين العام السابق لجامعة الدول العربية (2016 - 2026). تعود علاقته مع إبستين إلى عام 2010. استغله إبستين للتغلغل في الدوائر الدبلوماسية العربية الرفيعة، وبناء نفوذه السياسي. شارك أبو الغيط بفعالية في أنشطة معهد السلام الدولي، التي كان يمولها إبستين، باعتباره شخصية محورية ورجل دولة عالمي. وتجدر الإشارة إلى أن الجامعة العربية مرت بأسوأ مراحلها خلال فترة رئاسته. ودوره معروف أبان الحروب المتلاحقة على قطاع غزة، وتفكك الدول العربية.

وهنالك شخصيات عربية أخرى كثيرة كانت جزءاً من الشبكة التي استخدمها إبستين في تنفيذ مشاريعه ومخططاته، وردت أسماؤها في سياقات مختلفة، من التوقيع على اتفاقيات التطبيع والاتفاقيات الإبراهيمية (التي اعتبرها الرئيس الأمريكي إنجازاً تاريخياً)، إلى العلاقات التجارية وصفقات الأسلحة. من أهم الأسماء: محمد بن سلمان قبل أن يصبح ولي العهد السعودي في عام 2017؛ وعبدالله بن زايد، وزير خارجية الإمارات العربية المتحدة، الذي وقع على معاهدات الصلح والتعاون الأمني مع الكيان الصهيوني، ووقع على الاتفاقيات الإبراهيمية؛ ورجل الأعمال الإماراتي محمد العبار؛ وتاجر الأسلحة السعودي عدنان خاشقجي، الذي نسق مع إبستين ومسؤولين أمريكيين وصهاينة خلال قضية إيران- كونترا بين عامي 1981 و1986؛ ووزير الاستثمار السعودي خالد الفالح؛ ورجل الأعمال اليمني شاهر عبد الحق. لقد قام المجرم إبستين بالشراكة مع مجرم الحرب إيهود باراك، وبشراكة مباشرة وغير مباشرة من شخصيات عربية وأجنبية بالعمل على عدة مبادرات إستراتيجية هدفها الأول دمج الكيان الصهيوني في المنطقة، وفصل المسارات، والترويج لتفاهمات واتفاقيات سلام قائمة على المصالح المشتركة. وتشير الملفات إلى عدد من الشخصيات العالمية النافذة والتي كان لها الدور السيئ تجاه المنطقة العربية عموماً والقضية الفلسطينية خصوصاً، مثل الديبلوماسي النرويجي تيري رود لارسن (رئيس معهد السلام الدولي) وزوجته منى جوول سفيرة النروج في الأردن؛ والسياسي الأمريكي جورج ميتشل الزعيم السابق للأغلبية في مجلس الشيوخ؛ وتوماس براك سفير الولايات المتحدة في تركيا، ومبعوث الرئيس ترامب في سوريا ولبنان، وكان له دور رئيس في صياغة السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط، وفي التمهيد للاتفاقيات الإبراهيمية؛ وطوني بلير رئيس الحكومة البريطانية (1997 - 2007)؛ وبيتر ماندلسون، وزير وسفير سابق بريطاني، ورئيس الوزراء النرويجي السابق ثوربيورن ياغلاند، وغيرهم. ويُمكن تلخيص أهم تلك المبادرات التي كان لها الدور المشؤوم في تغيير المنطقة العربية كما يلي:

• مبادرة الاستثمار التكنولوجي الأمني. وتعد هذه من أخطر المبادرات التي مهدت لقيام علاقات أمنية وسياسية مع بعض الدول العربية بعيداً عن الأضواء الدبلوماسية. قام إبستين بالتنسيق مع إيهود باراك بالترويج لشركة كاربابن للصناعات الأمنية التي أسسها باراك، وأقناع دولة الإمارات للاستثمار فيها واستخدام تقنيات المراقبة والذكاء الاصطناعي كأداة لتعزيز الاستقرار الداخلي، وبناء مصالح أمنية مشتركة، وبناء جسور أمنية وتقنية غير رسمية باستخدام الخبرة الصهيونية، مما خلق مصالح أمنية مشتركة.

• منتدى صير بني ياس عام 2010 في دولة الإمارات العربية المتحدة. يُنظم هذا المنتدى بالتعاون مع معهد السلام الدولي الذي كان يديره تيري رود لارسن. استخدم إبستين المنتدى كقناة خلفية لعقد لقاءات بين شخصيات صهيونية ووزراء خارجية عرب وشخصيات أخرى مثل أحمد أبو الغيط وعمرو موسى وحمد بن جاسم وغيرهم. أصبح هذا المنتدى منصة للتطبيع الناعم، وشكل الركن الأساسي الذي انطلقت منه الاتفاقات الإبراهيمية. وينبغي الإشارة إلى أن إبستين كان يمول تكاليف سفر وإقامة بعض الشخصيات المشاركة، وبتسهيل من لارسن. من هذا المنطلق يمكن فهم جذور التحولات الكبرى في سياسة الإمارات، وتحالفها مع الكيان الصهيوني أبان حرب الإبادة في غزة وأماكن أخرى في العالم العربي، وتقديم تسهيلات أمنية وعسكرية للكيان الصهيوني على أرض الصومال الانفصالية.

• مبادرة تطبيع الأزمات، خصوصاً خلال الأزمة بين قطر والسعودية والإمارات عام 2017. حاول إبستين العمل مع مسؤولين قطريين، مثل رجل الأعمال جبر بن يوسف بن جاسم آل ثاني، لإنهاء الحصار، مقترحاً أن الطريق السريع يمر عبر التطبيع مع الكيان الصهيوني، الذي يُعتبر خطوة ضرورية لكسب تأييد ترامب والتخلص من الحصار الخليجي. حاول إبستين أيضاً ترتيب لقاءات لقطريين مع قادة المنظمات الصهيونية في أمريكا ومع مسؤولين صهاينة سابقين، مستخدماً معهد السلام الدولي كغطاء أكاديمي لهذه التحركات.

• توفير الدعم المالي لبعض المؤسسات التي تسعى لتقريب وجهات النظر بين الكيان الصهيوني والعرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص، أو من خلال شخصيات دولية وسيطة في عملية السلام كانت لها علاقات مالية مع إبستين أو مرتبطة بعلاقات عمل معه، مثل مؤسسة بذور السلام التي تنظم مخيمات صيفية تجمع بين شباب فلسطينيين وصهاينة بهدف بناء السلام.

• التمويل المباشر لمنظمات صهيونية واستيطانية. كان إبستين مساهماً مالياً في مؤسسات مرتبطة بشكل مباشر بالمنظومة العسكرية والسياسية الصهيونية، مثل جمعية أصدقاء الجيش، التي توفر الدعم اللوجستي والرفاهية لجنود الاحتلال؛ والصندوق القومي اليهودي، الذي يلعب دوراً محورياً في تمويل الأنشطة الاستيطانية في الضفة الغربية والقدس.

• العمل على إضعاف المقاومة عبر التطبيع الناعم. ساهم إبستين وشركاؤه في تمويل مراكز الأبحاث التي بدأت بالترويج لمفهوم السلام مقابل المصالح بدلاً من السلام مقابل الأرض. وساهم أيضاً بتوفير بيئة سياسية وإعلامية مؤاتية للتطبيع، ما أدى إلى عزلة المقاومة الفلسطينية. والترويج أيضاً للتحالفات الجديدة في المنطقة بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية التي كانت هي المحرك الفعلي للاتفاقيات الإبراهيمية التي تجاهلت الحقوق الوطنية للفلسطينيين.

• معهد السلام الدولي (IPI) ومقره في نيويورك. إبستين كان من كبار ممولي المعهد، واستخدمه كقناة رئيسة لتمرير الأجندات السياسية ومحاولات التطبيع غير الرسمي، وضرورة التقارب مع الكيان الصهيوني. ارتبط المعهد بعلاقات وثيقة مع جامعة الدول العربية وكبار الدبلوماسيين العرب. كان الديبلوماسي النرويجي تيري رود لارسن، مدير المعهد، وزوجته مونا جوول على علاقة وثيقة جداً مع إبستين. والجدير ذكره أن لارسن وزوجته هما من أبرز مهندسي إتفاق أوسلو المشؤوم (1993). تحقق الشرطة النرويجية حالياً مع لارسن وزوجته حول اتهامات بالفساد والتواطؤ، والحصول على صفقات بضغط من إبستين.

لقد كشفت الملفات أيضاً عن الدور السيئ للنرويج كوسيط محايد في مفاوضات أوسلو. ويُعزى الأمر في ذلك إلى الدور الذي قام به إبستين بالتعاون مع تيري رود لارسن وإيهود باراك. هذا التعاون أدى إلى إخفاء الوثائق الرئيسة لاتفاقيات أوسلو من الأرشيف النرويجي. وتشير أبحاث أكاديمية نرويجية إلى أن الاتفاقيات كانت صفقة تم إبرامها لمصلحة الكيان الصهيوني، بينما الفلسطينيون لم يحصلوا إلا على الفتات. حالياً، يُطالب عدد من الشخصيات السياسية في النروج، بالتحقيق في دور النرويج في صياغة اتفاقيات أوسلو الفاشلة. وينبغي القول: إن تأثير إبستين السيئ على تفاصيل القضية الفلسطينية استمر إلى ما بعد وفاته الغامضة. فالمخططات التي رسمها مع شركائه والوثائق الموجودة بحوزة الأجهزة الأمنية الصهيونية ما زالت تشكل سيفاً مسلطاً على رقاب السياسيين النافذين والذين يؤدون دوراً مهماً في رسم سياسة الشرق الأوسط ودعم الكيان الصهيوني. لقد استخدم إبستين المال والجنس والسياسة للتحكم بالدول والحكومات والزعماء السياسيين على مستوى العالم. وهذا ما قد يفسر حقيقة الدعم الثابت للسياسة الإجرامية للكيان الصهيوني في فلسطين. لقد بينت تلك الملفات أن الشخصيات الفاسدة التي تشاركت مع إبستين واستفادت من خدماته أصبحت أدوات نافذة لخدمة مصالح الكيان الصهيوني. في جميع الأحوال، لقد سلطت الملفات المكشوفة الضوء على الفساد الذي ينخر النظام السياسي العالمي، بسبب الفضائح التي تجبر المتورطين على الامتثال لرغبات من يمتلك الأدلة على تلك الفضائح. ولا بد من القول: إن تلك الطبقة الفاسدة التي تستمتع باستغلال القاصرات وتعذيبهن لن تكترث لقتل الأطفال في غزة أو عمليات الإبادة الجماعية في غزة وجنوب لبنان.

إيران واليوم التالي للعدوان

حمزة البشتاوي ـ كاتب وإعلامي ـ لبنان

لم يكن العدوان الأميركي الإسرائيلي على إيران في 28 شباط 2026 مجرد مواجهة عسكرية، بل تحول استراتيجي كبير يمكن أن يعيد رسم خريطة الشرق الأوسط والعالم لسنوات قادمة، ويمهد لإنتقال واضح من نظام الأحادية القطبية إلى تعددية قطبية غير مستقرة في المرحلة الراهنة. ومنذ بداية العدوان على إيران إرتبط الفشل في تحقيق الأهداف بتراجع مشروع الهيمنة والسيطرة على دول وشعوب المنطقة مما سيؤدي إلى نهاية عصر القطب الواحد وظهور قوى دولية مهنية قادرة على قيادة نظام دولي متعدد الأقطاب وإنهاء مرحلة التدخلات الأمريكية التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، وبداية مرحلة جديدة تقوم على تعدد مراكز القوى وكسر عصر الهيمنة الأمريكية وغطرستها التي فشلت في إسقاط إيران أو إضعافها، إضافة للعجز عن الحسم العسكري بعد أن نجحت إيران في إمتصاص الضربة الأولى والرد السريع على العدوان باستهداف العمق الصهيوني والمصالح والقواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة، حيث نجحت إيران على المستوى الرسمي والشعبي في إدارة ساحات المواجهة التي تحولت من تحدي خطير إلى فرصة كبيرة بالنسبة لإيران كي تفرض واقع إقليمي جديد بحضور ومكانة جديدة ليس على المستوى الإقليمي وحسب بل على مستوى النظام الدولي الذي يعاد تشكيله بعد انتهاء العدوان، وفي ذلك إفشال لرؤية ترامب نتنياهو لتغيير وجه الشرق الأوسط لصالح ما يسمى مشروع إقامة (إسرائيل الكبرى) الذي بات أمر بالغ الصعوبة ومستحيل تحقيقه بعد أن أصبح ميزان القوى في المنطقة في غير صالح القوى المرتبطة بهذا المشروع، وبعد أن أثبتت إيران قدرتها على المواجهة والعمل كعنصر فاعل في إعادة تشكيل التوازنات الجيوسياسية الإقليمية والدولية، وهذه القدرة جعلت الصعب على ترامب ونتنياهو إقناع قاعدتهم الشعبية بأن الحرب يمكن أن تكون الطريق نحو تحقيق مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تحول إلى خطأ استراتيجي بعد أن أوصل ترامب الصراع إلى ذروته عندما تحدث عن تدمير الحضارة الإيرانية التي تعتبر من أكثر الحضارات البشرية تقدماً من حيث المجد والقدرة والتميز على صعيد الثقافة والتاريخ والجغرافية والديموغرافيا.

في البعد الثقافي والسياسي والعسكري أثبتت إيران قدرتها على امتصاص وتجاوز الضغوط العسكرية والإقتصادية وتحويلها لمضيق هرمز من ممر مائي إلى ورقة استراتيجية من ضمن مجموعة أوراق قوة عالية التأثير استطاعت من خلالها فرض وقف لإطلاق النار شمل أيضاً لبنان، وحولت إيران الهدنة إلى شكل من أشكال الصراع وليس حله الذي يحتاج إلى التوصل لإتفاق منصف وعادل، وهذا ما تعمل عليه إيران وتعرقل الوصول إليه إدارة ترامب التي تخشى في اليوم التالي للحرب أن تصل لإتفاق شبيه بإتفاق عام 2015. ويعود حضور إيران مجدداً باعتبارها قطب إقليمي ودولي فاعل بعد كل التحديات والتطورات التي نقلتها من حيز الدولة الإقليمية القوية إلى فضاء التأثير الفاعل في توازنات القوى الكبرى مع التأكيد على أن هذا التأثير لن تغيره تصريحات ترامت التي ساهمت بتحويل الحرب إلى مأزق استراتيجي حاد ستعاني منه الولايات المتحدة طويلاً بعد أن أثبتت إيران قدراتها العسكرية المدعومة بدبلوماسية تعمل باعتبارها جزء من ميدان المواجهة بنفس طويل يريد في اليوم التالي للحرب إعادة هندسة الأمن الإقليمي والدولي في بيئة إقليمية ودولية شديدة التقلب وصراع مفتوح مع قول الهيمنة والسيطرة والاحتلال، وتعمل إيران على أن يكون اليوم التالي للحرب فيه إنبلاج لفجر جديد لا تستجدى فيه الحقوق بل تنتزع بفعل الصمود والثبات والمقاومة.

مليون توقيع تهزّ أوروبا:
حملة شعبية لتعليق اتفاقية الشراكة مع إسرائيل تكشف تحوّلًا عميقًا في المزاج الأوروبي

عمر فارس - ناشط وكاتب سياسي فلسطيني - بولندا

في لحظة سياسية لافتة يصعب تجاهل دلالاتها، نجحت مبادرة أوروبية شعبية في جمع أكثر من مليون توقيع خلال ثلاثة أشهر فقط، مطالِبةً بتعليق اتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل على خلفية انتهاكات حقوق الإنسان. هذا التطور لا يمكن اعتباره حدثًا عابرًا، بل هو مؤشر عميق على تحوّل في الوعي السياسي والأخلاقي داخل المجتمعات الأوروبية، وعلى اتساع الفجوة بين الشارع وصنّاع القرار.

المبادرة، التي تندرج ضمن إطار المبادرة الأوروبية للمواطنين، تمثل إحدى الأدوات الديمقراطية القليلة التي تتيح لمواطني الاتحاد الأوروبي التأثير المباشر في السياسات العامة. وبموجب هذا الإطار، فإن جمع مليون توقيع من عدد كافٍ من الدول الأعضاء يُلزم المفوضية الأوروبية بالنظر في المطالب المقدمة، وعقد جلسات استماع رسمية، وتقديم رد علني ومبرر.

وبحسب البيانات المتداولة على منصة المبادرة، فقد جاءت التواقيع من مختلف أنحاء أوروبا، مع تفاوت واضح في حجم المشاركة بين الدول. فقد سجلت دول كبرى مثل ألمانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا أعدادًا مرتفعة من التواقيع، نظرًا لحجم السكان والنشاط السياسي فيها، كما برزت دول مثل بلجيكا وهولندا وأيرلندا بمعدلات مشاركة عالية قياسًا بعدد السكان، في حين ساهمت دول أوروبا الشرقية مثل بولندا ورومانيا وهنغاريا بنسب أقل نسبيًا، لكنها تبقى ذات دلالة على اتساع رقعة التفاعل. هذا التوزيع الجغرافي يعكس أن الحملة لم تعد محصورة في نطاق ضيق، بل أصبحت ظاهرة أوروبية عابرة للحدود.

في قلب هذه المبادرة تقف اتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل، التي تشكل الإطار القانوني الناظم للعلاقات الاقتصادية والسياسية بين الطرفين منذ منتصف التسعينيات. هذه الاتفاقية لم تكن يومًا مجرد أداة تجارية، بل تضمنت منذ البداية بُعدًا قيميًا واضحًا، حيث تنص مادتها الثانية على أن احترام حقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية يُعد عنصرًا أساسيًا في العلاقة. غير أن هذا البعد ظل موضع جدل مستمر، إذ يرى كثير من النشطاء والحقوقيين أن الاتحاد الأوروبي لم يترجم هذا الالتزام إلى سياسات عملية في علاقته مع إسرائيل، رغم تكرار الاتهامات المتعلقة بانتهاكات جسيمة في الأراضي الفلسطينية.

ما يميز هذه المبادرة ليس فقط مضمونها، بل حجم الاستجابة لها وسرعة انتشارها. جمع مليون توقيع من سبع وعشرين دولة أوروبية خلال فترة قصيرة يشير إلى أن القضية لم تعد حكرًا على مجموعات ناشطة أو نخب سياسية، بل أصبحت جزءًا من وعي جماهيري واسع. هذا التحول يعكس عوامل متعددة، من بينها تصاعد التغطية الإعلامية للأحداث في فلسطين، وتنامي دور وسائل التواصل الاجتماعي في نقل الصورة خارج القنوات التقليدية، إضافة إلى انخراط أوسع للجاليات العربية والإسلامية إلى جانب شرائح أوروبية متزايدة في العمل السياسي والحقوقي.

ورغم هذا الزخم الشعبي، لا يزال الموقف الرسمي الأوروبي يتسم بالحذر والتردد. فالاتحاد الأوروبي، كمؤسسة، محكوم بتوازنات معقدة بين دول أعضائه التي تختلف مواقفها تجاه إسرائيل. بعض هذه الدول يميل إلى دعم شبه غير مشروط، انطلاقًا من اعتبارات تاريخية وسياسية، في حين تدفع دول أخرى نحو مواقف أكثر انتقادًا. هذا التباين ينعكس في سياسات غالبًا ما توصف بالمزدوجة، حيث يتم التأكيد على حقوق الإنسان في الخطاب، دون اتخاذ خطوات حاسمة على أرض الواقع.

هنا تبرز أهمية هذه المبادرة، فهي لا تكتفي برفع الصوت، بل تضع صناع القرار أمام اختبار حقيقي لمدى التزامهم بالقيم التي يعلنونها. من الناحية القانونية، يملك الاتحاد الأوروبي أدوات تسمح بتعليق أو تعديل اتفاقياته الدولية إذا ثبت انتهاك الطرف الآخر لبنودها الأساسية، لكن من الناحية السياسية فإن اتخاذ خطوة كهذه يتطلب توافقًا واسعًا بين الدول الأعضاء،

وهو أمر معقد في ظل الانقسامات القائمة. ومع ذلك، فإن مجرد طرح هذا الخيار بشكل جدي ومدعومًا بهذا الحجم من التأييد الشعبي يمثل تحولًا مهمًا في طبيعة النقاش داخل أوروبا.

الوصول إلى مليون توقيع لا يعني نهاية الطريق، بل هو بداية مسار سياسي وقانوني قد يكون طويلًا. المرحلة المقبلة ستشمل التحقق من صحة التواقيع، وتنظيم جلسات استماع داخل المؤسسات الأوروبية، وإصدار رد رسمي من المفوضية الأوروبية يحدد موقفها. هذه الخطوات، وإن بدت إجرائية، تفتح الباب أمام نقاش أوسع قد يؤدي إلى إعادة تقييم شاملة للعلاقة مع إسرائيل.

حتى في حال عدم اتخاذ قرار فوري بتعليق الاتفاقية، فإن الأثر الرمزي لهذه المبادرة يبقى بالغ الأهمية. فهي تعكس تحولًا في ميزان الخطاب داخل أوروبا، حيث لم يعد الدعم لإسرائيل أمرًا خارج النقاش أو محصنًا من النقد، كما تمنح دفعة قوية للحركات الحقوقية وتؤكد أن العمل الشعبي المنظم قادر على التأثير حتى في أكثر الملفات تعقيدًا.

في المحصلة، تضع هذه المبادرة الاتحاد الأوروبي أمام سؤال جوهري: هل القيم التي يعلنها، من حقوق الإنسان إلى العدالة، هي مبادئ قابلة للتطبيق حتى عندما تتعارض مع المصالح، أم أنها ستبقى حبيسة الخطاب السياسي؟ ما حدث ليس مجرد حملة إلكترونية، بل تعبير عن إرادة سياسية وشعبية تتشكل داخل أوروبا، ورسالة واضحة بأن الصمت لم يعد مقبولًا، وأن زمن تجاهل الرأي العام يقترب من نهايته.

نتنياهو وسردية الانتصار:

خطاب سياسي يناقض الواقع الاستراتيجي

د. إبراهيم يوسف عبيد - أستاذ العلاقات الدولية بجامعة الأقصى- غزة

يُشكّل الخطاب السياسي عادةً في حقل العلاقات الدولية أداةً مركزيةً في إدارة الصورة العامة للقادة وصياغة الانطباعات لدى الجمهور، فدوره لا يقتصر على نقل المعلومات فحسب، بل يتخطاه لتشكيل فهم جماعي واستراتيجيات التأييد.

نحاول في هذه المقالة تسليط الضوء على سردية الانتصار في خطاب رئيس وزراء دولة الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو كأحد أكثر الشخصيات السياسية الإسرائيلية استخدامًا لها، باعتبارها وسيلةً لتكريس صورته كقائد حاسم وفاعل في مواجهة التحديات الأمنية والسياسية، وللتغطية أيضًا على ملفات الفساد التي تلاحقه منذ سنوات عدة، وذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً- الخطاب السياسي وإعادة إنتاج الواقع:

في سياقات الصراعات المحتدمة والمتواصلة، لا يقتصر دور القائد على إدارة العمليات العسكرية، بل يمتد إلى بناء سرديات قادرة على إعادة تشكيل إدراك الجمهور للواقع. فالقادة السياسيون في أوقات الأزمات والحروب يواجهون تحديًا مزدوجًا، يتمثل في الحاجة إلى تحقيق أهداف استراتيجية على الأرض، وكذلك الحاجة إلى تثبيت شرعيتهم داخليًا من خلال خطاب قادر على إدارة التوقعات الجماهيرية.

وفي هذا الإطار، تبرز تصريحات رئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو حول تحقيق «انتصار» على حركة حماس في قطاع غزة، وحزب الله في لبنان، وإيران، كنموذج واضح على استخدام اللغة السياسية ليس فقط لوصف الأحداث، بل لصياغة فهم جماعي محدد للواقع، ومحاولة إقناع الجمهور بأن الدولة تحقق حسمًا وانتصارًا في مواجهة أعدائها.

باعتقادي أن هذا التوظيف يعكس إدراك نتنياهو لأهمية السيطرة على سردية الصراع. فالخطاب السياسي في هذه الحالات يتحول إلى أداة لإعادة إنتاج الواقع الاجتماعي والسياسي، من خلال تقديم صورة متماسكة وموحدة عن القدرات والنتائج، حتى عندما تكون المؤشرات الميدانية أكثر تعقيدًا. وبذلك، يصبح الخطاب جزءًا من منظومة الحرب، ليس على الأرض فحسب، بل في وعي الجمهور المحلي والدولي، وهو ما يمنح القائد قدرة مزدوجة، مثل: القدرة على التأثير في الميدان السياسي، والقدرة على

التأثير في الرأي العام الداخلي والخارجي، وهو ما يعتقد نتنياهو أنه نجح في توظيفه.

ثانياً- إعادة تعريف الانتصار ومرونته المفاهيمية:

يتضح من خطاب بنيامين نتنياهو أن مفهوم «الانتصار» ليس ثابتًا أو محددًا بمعايير واضحة، بل يتم توظيفه بمرونة لتعظيم أثر الإنجازات الجزئية في الميدان. ففي الحروب غير المتكافئة التي تتضمن فواعل غير دولية، كحركة حماس في غزة، وحزب الله في لبنان، والحوثيين في اليمن، تصبح إمكانية القضاء النهائي عليهم كأعداء شبه مستحيلة، وهو ما يتيح إعادة تعريف الانتصار بما يتناسب مع النتائج المحققة في الميدان.

هذا التغيير المفاهيمي يسمح، في مثل هذه المواضع، بتحويل الإنجازات التكتيكية المحدودة إلى مؤشرات استراتيجية، وإعادة صياغة التقدم الجزئي على أنه دليل على التفوق العام. وبالتالي، فإن «الانتصار» في خطاب نتنياهو لا يقتصر على مجرد وصف للواقع، بل يصبح أداة لإدارة الإدراك السياسي. هذا الاستخدام الاستراتيجي للغة -حسب استراتيجية نتنياهو للاستمرار في الحكم- يُمكّنه من تعزيز صورته القيادية داخليًا، وتقديم نفسه كضامن لاستقرار الدولة وأمنها، حتى في غياب حسم شامل على الأرض. وهذا ما بات ظاهرًا وواضحًا في الميدان، فلا حسم ولا انتصار.

ثالثاً- الفجوة بين الخطاب والواقع الميداني:

رغم القوة البلاغية للخطاب، تشير المعطيات الواقعية إلى وجود فجوة كبيرة -وتزداد اتساعًا- بين التصريحات والواقع الفعلي. فحماس في غزة لا تزال قادرة على إعادة تنظيم صفوفها والحفاظ على وجودها، بما يعكس طبيعة الفواعل غير الدولية التي يمكنها التكيف والتأقلم مع أي واقع. وكذلك، فإن حزب الله في لبنان لا يزال فاعلًا ضمن معادلة الردع المتبادل، الأمر الذي يجعل أي حديث عن القضاء النهائي عليه غير واقعي، رغم الضربات المؤلمة التي أصابته. أما الدور الإقليمي لإيران كدولة مؤثرة، فلا يزال قائمًا وفاعلًا بقوة، سواء من خلال دعم الحلفاء والفواعل من غير الدول، أو عبر استغلال النفوذ السياسي والاقتصادي في المنطقة، كالسير على الممرات البحرية وغيرها.

في إطار هذه المقاربة، وما يتمخض عنها من حقائق استراتيجية، يقول رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق «غادي آيزنكوت» عن خدعة الانتصار والحسم: «نتنياهو هو المسؤول عن فشل 7 أكتوبر، وأخفق في تحقيق أهداف الحرب على مدى 30 شهرًا... نتنياهو يحاول مجددًا أن يبيع لنا خدعة الانتصار والحسم». وفيما يتعلق بلبنان، فقد اعترف رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية السابق «عاموس مالكا» قائلًا: «إن الجيش الإسرائيلي لا يمكنه إزالة تهديد صواريخ حزب الله بالقتال حتى نفادها، لأن حزب الله لديه القدرة على إطلاق 100 صاروخ يوميًا لأشهر طويلة وربما لسنوات... لذلك يحتاج الأمر إلى تسوية»، وفق اعترافه. صحيفة «يسرائيل هيوم» اليمينية الداعمة لنتنياهو تقول: «إسرائيل لم تنتصر على حزب الله بعد، وأن الأمر لم ينتهِ». وهذا ما أكده المستشار الاستراتيجي «باراك ساري» للقناة 12 الإسرائيلية، بالقول: «حزب الله يتجه نحو حرب استنزاف لوقت طويل جدًا، وأن إسرائيل أقل قدرة على الحرب من حزب الله، لأنها تطمح للعودة إلى الوضع الطبيعي وترميم الاقتصاد والمجتمع». أما فيما يتعلق بإيران، فإن التقييمات الإسرائيلية تُظهر أن الحرب على إيران لم تحقق نصرًا استراتيجيًا، رغم المكاسب التكتيكية التي تحققت ميدانيًا. ومع ذلك، تتزايد الشكوك داخل النخبة الإسرائيلية بأن الحسم بعيد المنال في ظل صمود إيران واستمرار قدرتها على التأثير.

بتصوري، أن الفجوة بين الخطاب الإعلامي والواقع الميداني تبرز أن سردية الانتصار في خطاب نتنياهو تحمل بعدًا رمزيًا أكثر من كونها تعبيرًا عن حقيقة استراتيجية. فالإعلان عن النصر يهدف إلى تعزيز الثقة الداخلية، وإقناع الجمهور بأن الدولة تسير على طريق الحسم، بينما الواقع الميداني لا يتيح تحقيق هذه الصورة المثالية. كما أن هذه الفجوة تجعل الجمهور، خاصة الفئات الأكثر اطلاعًا، أكثر قدرة على نقد الخطاب وفهم محدودية الانتصار المعلن.

رابعاً- الوظائف السياسية للخطاب ونتائجها المحتملة:

يمكن فهم خطاب نتنياهو كأداة سياسية ذات بعد مزدوج، داخليًا وخارجيًا. فعلى المستوى الداخلي، يعمل نتنياهو على تعزيز الشرعية وتقليل الضغوط الشعبية، من خلال تقديم صورة قيادية قوية قادرة على مواجهة التهديدات. لذلك، يستخدم الانتصار المعلن كوسيلة لطمأنة الجمهور وإنتاج شعور بالاستقرار والأمان، حتى في ظل أزمات معقدة ومستمرة. أما على المستوى الخارجي، فهو يسعى عبر هذا الخطاب إلى إرسال رسائل ردعية للأعداء، سواء في غزة أو لبنان أو إيران، في محاولة للتأثير في تقديراتهم الاستراتيجية، وإجبارهم على إعادة حساباتهم حول المواجهة.

مع ذلك، فإن الإفراط والمبالغة في استخدام لغة الانتصار يحمل مخاطر واضحة. فاستمرار الفجوة بين الخطاب والواقع قد يؤدي إلى تآكل المصداقية تدريجيًا -وهو بالفعل ما بات واضحًا سواء على مستوى الجمهور أو المعارضة- ليس فقط داخليًا، بل على المستوى الدولي أيضًا. إذ إن الجماهير ووسائل الإعلام والمراقبين الدوليين قادرون على مقارنة الخطاب بالحقائق الميدانية، وبالتالي فإن أي تضليل مبالغ فيه يمكن أن ينعكس سلبًا على صورة القائد وقراراته المستقبلية.

في الختام، أعتقد أن تحليل خطاب بنيامين نتنياهو يكشف أن سردية الانتصار لديه تعتمد على مرونة المفاهيم، واختيار الوقائع بعناية، وتضخيم الإنجازات الجزئية، لتقديم صورة حاسمة للداخل والخارج. ومع ذلك، يظل استمرار فاعلية حماس وحزب الله، إلى جانب الدور الإقليمي المتواصل لإيران، مؤشرًا على أن الصراع ما زال مفتوحًا، وربما في بدايته، وأنه مهيأ لاحتمالات متعددة. وهكذا، تبقى سردية النصر النهائي أداة سياسية أكثر من كونها حقيقة استراتيجية مكتملة، وهو ما يستدعي قراءة نقدية متأنية لفهم وظيفة الخطاب وأثره على المجتمع والدولة في آن واحد.

عن فائض القوة وتعثر آمال نتنياهو في مشروع «إسرائيل الكبرى»

إبراهيم أبو ليل – كاتب سياسي فلسطيني – سورية

يبذل رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو جهوداً كبيرة لاستثمار الفرصة التي توفرت له في الولاية الثانية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، في محاولة لإعادة تشكيل الشرق الأوسط وتحقيق حلم «إسرائيل الكبرى»، من خلال تكريس نموذج «سوبر أسبرطة» وترسيخ مكانة إسرائيل كقوة إقليمية، تتمتع بفائض من القوة والشعور بالتفوق العسكري، على ضوء نتائج الحرب التدميرية وجرائم الإبادة التي ارتكبها في قطاع غزة والمنطقة، وتقديمها على أنها إنجاز عسكري يقربه من تطلعاته وأهدافه الاستراتيجية، متجاهلاً العوائق والتحديات التي تمنعه من ذلك.

مجدداً، يؤكد نتنياهو ارتباطه بفكرة «إسرائيل الكبرى» من خلال الدعوة لبناء «إسرائيل الجديدة»، ويفصح عن عقيدته التوسعية وخلفيته الآيديولوجية الممتدة منذ نشأة تيار الصهيونية التصحيحية الذي أسس «المنظمة الصهيونية الجديدة» في عشرينيات القرن الماضي بقيادة الصهيوني المتطرف فلاديمير زئيف جابوتنسكي الذي أوجد نظرية «الجدار الحديدي» ونشر مقالاً حولها بعنوان (نحن والعرب)، والتي بنيت عليها سياسة التوسع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. ودعا جابوتنسكي إلى تشكيل جيش صهيوني يتحالف مع الشيطان من أجل إقامة دولة يهودية تتجاوز حدود فلسطين الانتدابية لتشتمل على الأردن، وفق ما جاء في برنامج منظمته: «إن غاية الصهيونية هي تحويل فلسطين تدريجياً مع شرقي الأردن إلى كومنولث يهودي». وقد ظلت فكرة إسرائيل الكبرى راسخة في السياسة الإسرائيلية منذ إقامة الكيان الصهيوني حتى اليوم، ويتم استدعاؤها بين حين وآخر لتفتح شهية الاستيطان والتوسع على حساب الأراضي الفلسطينية والدول العربية بالاعتماد على الأساطير التوراتية وجعلها مستنداً للسياسة الرسمية، حيث جاء في سفر التثنية (24:11): «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون ملكاً لكم، من البرية ولبنان. من النهر، نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم»، وفي هذا إشارة إلى أن السياسة الاستيطانية التي تتبعها الحكومات الإسرائيلية هي سياسة مفتوحة لا تقف عند حدود معينة وهي مرتبطة بمفهوم «التخومية» وما تصل إليه آلة الاحتلال العسكرية. وتتجسد هذه السياسة في عمليات التوسع واحتلال أراضٍ جديدة تحت عنوان المناطق العازلة أو الحدود الآمنة. ذلك أن فكرة الحدود عند قادة الاحتلال لا ترتبط بالترسيم القانوني ولا بقرارات الشرعية الدولية، بل ترتبط بالاستراتيجية الصهيونية وديناميكية العمل الصهيوني على الصعيدين العسكري والسياسي.

وتشكل نظرية «الجدار الحديدي» النواة الصلبة التي تدور في فلكها سياسات نتنياهو الداخلية والخارجية، مع تطويعها لتناسب أدوات العصر الحالي وصراعاته التكنولوجية والجيوسياسية. وقد تحولت هذه السياسة لدى نتنياهو إلى استراتيجية شاملة تتجاوز التفوق الأمني والعسكري، لتشمل التفوق التكنولوجي والاقتصادي في إطار تطبيع العلاقات مع المحيط، معتبراً أن «السلام من خلال القوة» هو الرد العملي الوحيد على رفض المحيط العربي، تماماً كما كان يرى جابوتنسكي أن الاعتراف العربي بإسرائيل لن يأتي نتيجة تنازلات أخلاقية، بل نتيجة يأس من إمكانية هزيمتها وعدم المس بأمنها. ذلك أن مفهوم «الأمن» عند نتنياهو يشكل مرتكزاً أساسياً في سياساته، لا يتحقق إلا بالقوة وإملاء الشروط الإسرائيلية؛ مع تغييب الخيارات السياسية التي تتطلب عمليات تفاوض تأخذ بعين الاعتبار واقع الخصم، وتقديم تنازلات تفضي إلى اتفاقات معينة تلبي مصالح

طرفي التفاوض، معتبراً أن تقديم التنازلات يؤدي إلى إضعاف إسرائيل استراتيجياً، كما في الحالة الفلسطينية، حيث يرفض نتنياهو مبدأ «الأرض مقابل السلام» ويطرح بدلاً منه مبدأ «السلام مقابل السلام»، أو «السلام من خلال القوة»، ويرى أن الاستقرار في الشرق الأوسط لا يتحقق إلا ببقاء إسرائيل قوة عسكرية مهيمنة لا يمكن قهرها، وإجبار الأطراف الأخرى على القبول بالأمر الواقع. ويرى نتنياهو أن تحقيق أهدافه يتم دائماً من خلال استخدام القوة، وإذا لم تتحقق أهدافه كما يريد؛ فإنه يلجا إلى استخدام مزيد من القوة، ما يعني أن استراتيجيته تقوم على الإخضاع والاستسلام. وفي حالة وجود خصم قوي ينتهج المقاومة الصلبة ويرفض الخضوع، فإن سياسة نتنياهو تضعه في دائرة مغلقة من العنف والرد عليه بالعنف، أي أنه يرفع سقف المواجهة إلى حده الأقصى ويجعل الحرب التي يخوضها حرباً وجودية.

غير أن التفوق الإسرائيلي في المنطقة لا يعني أن إسرائيل قادرة على إعادة تشكيل الشرق الأوسط وفق مصالحها؛ اعتماداً على القوة والتفوق العسكري، إذ أثبتت التجربة أن القوة الإسرائيلية كانت دائماً تصطدم بمقاومة شجاعة وإرادة صلبة في المواجهة، تحدُّ من قدرة إسرائيل على فرض هيمنتها المطلقة. كما أن الحرب التي تخوضها إسرائيل منذ السابع من أكتوبر على جبهات عدة، كشفت عن حدود قوتها ومحدودية قدرتها على ترجمة الانجازات العسكرية إلى انتصارات وإنجازات سياسية بالمستوى ذاته، وفي هذه الفجوة تكمن الأزمة الأساسية لاستراتيجية العدوان الإسرائيلي بين القدرة التدميرية والنتائج السياسية، فكلما لجأ نتنياهو إلى استخدام فائض القوة، اتسعت الفجوة وتعمقت أزمته أكثر. وقد لعب الحضور الفلسطيني دوراً حاسماً في هذه المعادلة، إذ شكل بصموده ومقاومته عائقاً بنيوياً يبدد كل محاولة إسرائيلية لاختراق المنطقة واكتساب شرعية فيها لفترة طويلة. فالعدوان المستمر وتوسيع مساحة الاحتلال والاستيطان، يثير ردود أفعال واقعية ويولّد مقاومة شعبية متجددة، تواجه الاحتلال وترفض التطبيع في أوساط الشعوب العربية مع الحكومات الإسرائيلية ومؤسساتها المختلفة، ما يضعف قدرة إسرائيل على فرض نفوذها بشكل كامل ويجعلها في حالة استنزاف دائم. إضافة إلى ذلك، تنعكس تداعيات العدوان والسياسات الإسرائيلية على المشهد الإسرائيلي عموماً، جرّاء الدخول في مواجهات وحروب طويلة لم يعتد عليها جيش الاحتلال ولا يحتملها الجمهور الإسرائيلي، ما يجعل تكلفتها عالية ويثير التناقضات الداخلية والانقسامات التي تحول دون تحديد استراتيجية موحدة للإسرائيليين، وتضعهم أمام مستقبل غامض وتسيطر عليهم حالة من عدم اليقين.

وبعد، إن النتيجة التي خلص إليها نتنياهو بعد حرب الإبادة في غزة وما تلاها من حروب في المنطقة، وحدود القوة الإسرائيلية التي وصلت إلى ذروتها، دفعته للتفكير بأنه قادر على إعادة بناء الشرق الأوسط وفق المصلحة الإسرائيلية، وتحقيق حلم «إسرائيل الكبرى» في ظل إدارة الرئيس الأمريكي ترامب. وهذه النظرة تنطلق من تصور أحادي الجانب، يرى فيه إسرائيل قوة إقليمية متفوقة؛ ولا يرى خصومها وقدراتهم الذاتية، مما يجعل نتائج الحروب سياسياً تأتي معاكسة لجرائم الإبادة وعمليات التدمير العبثية. وكلما أوغل في العدوان مستلهماً نموذج «دولة سوبر أسبرطة»؛ ازدادت التحديات أمامه، كما يزداد حجم استنزاف القدرات الإسرائيلية، ما يجعله يبتعد أكثر عن أي إنجاز سياسي يكافئ الكلفة الباهظة للعدوان.

عدوانية نتنياهو وتهوّر ترامب.. إلى أين؟

أحمد عويدات كاتب فلسطيني ـ السويد

من نافل القول أننا لا نضيف بهذا العنوان صفحة جديدة إلى التاريخ الأسود لرئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو، ولا إلى تاريخ رئيس الولايات المتحدة دونالد ترامب، فالاثنان اكتسبا شهرة واسعة على امتداد العالم، لم يسبق أن كسبها شخصٌ آخر عبر تاريخ البشرية.

لقد تجاوز نتنياهو كلاً من هتلر وموسوليني بعدوانيته ونازيته وفاشيته وإجرامه، وكذلك الأمر مع ترامب ودكتاتوريته وامبرياليته واستعماريته وسطوته وبلطجته وعنجهيته. فكان كلٌّ واحد منهما مكملاً للآخر في ميادين العدوانية والإجرام، وقد عرفتهما ساحات قطاع غزة ولبنان وسورية والعراق قبل ايران ودول الخليج العربي.

إن صفة العدوانية والإجرام وملاحقها تنطبق تماماً بلا تأويل ولا تفسير على نتنياهو وأركان حكمه؛ فقد شهد على ذلك سيناريو الحرب المتكررة التي شهدتها غزة وانتقلت إلى لبنان، ومن ثم إلى ايران، ومن قبلها في سورية والعراق. هذه العدوانية والفاشية والنازية تجسدت تحديداً في قطاع غزة، خلال حرب السنتين ونصف الإجرامية، حيث اتت على كل جوانب الحياة فقتلت البشر بشتى أنواع الإبادة، ودمرت البنى التحتية، واستُهدفت المشافي والمدارس والجامعات ودور العبادة وخيام النازحين بهدف التهجير، ولم يسلم الأطفال والنساء وكبار السن من الإعدام بدمٍ بارد، وطالت عمليات الاغتيال الصحفيين والأكاديميين والعلماء والقادة السياسيين.

لا زالت هذه العدوانية المتطرفة، المستلهمة من فكر جابوتنسكي المعلم الروحي لنتنياهو والذي يدعو الى استخدام القوة لإخضاع الآخرين، متواصلة وبوتائر وأشكال مختلفة برغم وقف إطلاق النار، فالحصار والعدوان لا زالا متواصلان على قطاع غزة وتُمنع المساعدات من الدخول. و في الضفة الغربية ازدادت هناك عمليات النسف والتدمير للممتلكات الفلسطينية على يد جيش الاحتلال جنباً إلى جنب مع قطعان المستوطنين ، وشهدت مناطق الضفة عمليات القتل العمد للأطفال ومطاردة المقاومين واعتقال الشبان. وتصاعدت في الآونة الأخيرة مصادرة الأراضي بهدف توسيع الاستيطان، ناهيك عن إغلاق المسجد الأقصى، والكنائس في القدس لأكثر من 40 يوما ، ومنع الاحتفالات الدينية. وتُوّجت هذه العدوانية الفاشية بإقرار الكنيست الإسرائيلي قانون إعدام الأسرى الجائر ، ورفض هدنة وقف إطلاق النار في لبنان

وحول امتداد وتوسع عدوانية نتنياهو الى إيران، فإن الكاتب الصهيوني مئير سويسا عبّر عن ذلك فيما كتبه في صحيفة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية قائلاً : «إن تصدع القوة العسكرية لإيران يجعلنا نشاهد على المباشر تشكيلاً جديداً للشرق الأوسط» ؛ وهذا يعني أن المطلوب أولاً رأس ايران، و فيما بعد تأتي الهيمنة الإسرائيلية المطلقة على المنطقة ،والسيطرة على ثرواتها والتحكّم بمقدراتها ؛ تحقيقا لحلم «إسرائيل الكبرى» التي طالما تحدث عنه نتنياهو. هذه العدوانية الإجرامية التي تشكل أول صفات الأيدولوجيا الصهيونية المتطرفة إضافةً إلى التوسعية والعنصرية وجدت في سياسة ومصالح الرئيس ترامب سبيلاً لها لتحقيق مخططاتها.

وعلى الجانب الآخر، إن صفة التهوّر ، التي حاز عليها الرئيس ترامب في هذا السياق ، تحتاج إلى وقفة. فهل يُعقل أن رئيساً بحجم الولايات المتحدة يمكن أن يكون متهوراً إلى هذا الحد. في واقع الأمر، إن تهوّر ترامب في سياسة لا تخدم بلاده لا يُعتبر تهوراً سياسياً ولا شخصياً ، بل هو تعبيرٌ عن سياسةٍ ممنهجةٍ تخدم تطلعاته، الإمبريالية الاستعمارية و الاستثمارية. ويمثّل خضوعا لحلفائه الصهاينة ، ووقوعه تحت ابتزاز أبستين غيت ، التي وثقت تورطه بجرائم الاغتصاب والقتل ،إلى جانب زعماء آخرين، بآلاف الوثائق. إلّا أنه يُعتبر تهوراً من حيث النتائج وعدم قدرة هذا الرئيس على تحديد مخرجات نتائج حربه ضد إيران ، بل حتى على حلفائه ممن رصد لهم عشرات القواعد العسكرية المجهزة بأحدث الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية ؛ مُدّعياً قدرته على حمايتهم، ومواجهة أي خطر قادم من الشرق ، هؤلاء الذين بدأت تساورهم شكوك بهذا، سيما أنه يُنظر إليهم من بوابة مصالح «إسرائيل». وبحسب الكثير من المحللين و المراقبين والسياسيين، فإن مخرجات نتائج هذه الحرب المتهورة كانت كارثية ؛ إذ خسرت الإدارة الأمريكية على يد رئيسها ترامب العديد من الأوراق، فخسرت أولاً ورقة الحرب ؛ التي هدفت في بداياتها إلى تدمير القدرات النووية والصواريخ البالستية و إسقاط النظام الإيراني، وخسرت مكانتها العالمية كقوة عظمى، لم تستطع أن تواجه دولة من «دول العالم الثالث». وأفدح خسارة كانت خسارة الجمهور الأميركي الذي عانى من وطأة هذه الحرب اقتصادياً ومعنوياً ، هذا الجمهور الذي لن يُصوّت للجمهوريين بعد الآن، ولا لترامب في الانتخابات النصفية المقبلة. ناهيك عن الخسائر بمليارات الدولارات في الاقتصاد الأمريكي من خلال ارتفاع كلفة الحرب، وارتفاع أسعار الطاقة ، والتسبب بأزمة عالمية للطاقة ؛ وبالتالي اللجوء إلى الاحتياطي الاستراتيجي الأمريكي. وهناك خسارة سياسية ايضا ، تتمثّل بإعادة التموضع الأوروبي في مواجهة سياسات ترامب المتهورة والقاصرة في رؤيتها وأهدافها، إذ لا يريد الأوروبيون تعريض مصالحهم للخطر بالانجرار إلى حربٍ ليست لها أهداف وليس لها جدولة زمنية ، وليست ذات شرعية دولية، ولا تفويض دولي ؛ ما يعني أنها عدوان على دولة ذات سيادة. ولقد عبر عن هذا الموقف أكثر من مسؤول أوروبي وآسيوي ، وكان أبرزهم ما قاله المستشار الألماني « لن نشارك في هذه الحرب ،ويجب إنهاؤها سريعاً». وما قاله وزير خارجية اليابان عقب سعي ترامب إلى تشكيل تحالف دولي بهدف فتح مضيق هرمز و تضييق الخناق على القيادة الإيرانية : « لا ننوي القيام بعملية بحرية بشأن مضيق هرمز».

ولا ننسى في هذا السياق خسارة السمعة التي لحقت بصناعة الأسلحة الأميركية الاستراتيجية من صواريخ وطائرات وأجهزة تشويش ورصد ومراقبة، والتي سقطت فاعليتها وتفوقها ، كما كان مُصوّر لها ؛ ما يعني تراجع أسعار مبيعات الأسلحة، وبروز منافسين لها في سوق السلاح العالمي. وإمعاناً في تهوره ، أطلق ترامب حملة «الغضب الاقتصادي» بعد أن فشل في حملته العسكرية التي أسماها «الغضب الملحمي الإلهي»، وذلك من خلال فرض الحصار البحري على الموانئ الإيرانية بقصد الضغط على إيران بفتح مضيق هرمز- الذي أصبح تحت سيادة إيران وتحت سيطرة الحرس الثوري الإيراني مباشرةً- وحرمان إيران من عائدات الطاقة التي تبلغ 450 مليون دولار يومياً بهدف التأثير على الداخل الإيراني ، وإحداث انقسامات في المجتمع والقيادة الإيرانية عبر زيادة معدلات التضخم.

وبالعودة إلى تصريحات ترامب الصاعدة والنازلة ، نجد أن ترامب يُهذي بما يرغب به ؛ فهو رغائبي التطلعات، من خلال إطلاقه تصريحات لا أساس لها، وكأنه يُحدّث نفسه على خشبة مسرح أمام جمهور المشاهدين (مونولوج داخلي)، فهو يحاول التمسك بأحلامه الاستثمارية الاستعمارية، وكأنه مفصوم عن الواقع ، كما وصفه أحد النواب في الكونغرس الأمريكي، فوقع في شباك تهوّره وعنجهيته بعد نجاح نتنياهو بجره إلى هذه الحرب غير المحسوبة النتائج ، فبات يبحث عن خشبة خلاصٍ أوروبية تارة وباكستانية تارة أخرى تخرجه من هذه الحرب غير مهزوم ؛ وذلك عبر التوصل إلى اتفاق وسط مع القيادة الايرانية يعيد للأذهان، الاتفاق النووي الذي كان قد ألغاه في ولايته الأولى. لقد صعد ترامب إلى ما يطمح إليه دون حسابات لليوم التالي ، ولكنه لم يستطع، ولن يستطع النزول عن شجرة أهدافه المستحيلة التي جُوبهت من الجانب الإيراني برفضٍ مطلق. إنها العدوانية الترامبية، التي تظهر من خلال سياسة القوة والعسكرة والعصا دون الجزرة، «سلام القوة» التي يستحضرها ترامب على طاولة المفاوضات لإخضاع الخصم ، والتي يسبقها عادةً بتصريحاتٍ وتهديداتٍ أشد عدوانية.

من جهةٍ أخرى، لم تعرف عدوانية ترامب جغرافيا أو ديموغرافيا محددة ؛ بل ظهر ذلك من خلال دعمه اللا مشروط واللا محدود لدولة الكيان عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً ، ومن خلال خرق إدارته المستمر للقوانين والأعراف والمواثيق الدولية التي تحكم العلاقات بين الدول كاعتقال رئيس دولة ذات سيادة ، واعتدائها على إيران بحرب متهورة. وتهديد الجيران الحلفاء ، وهناك أيضاً فرض الرسوم التجارية والعقوبات على العديد من الدول بما فيها الحلفاء. ناهيك عن النظرة التوسعية الاستثمارية ، في غرينلاند ، و بنما وغزة، واستغلال الحرب في أوكرانيا ، واليوم في مضيق هرمز ؛ بطرحه الشراكة مع إيران بفرض رسوم العبور.

إن هذه العدوانية التوأم بين نتنياهو وترامب ستجر العالم إلى نهاياتٍ غير متوقعة ؛ من شأنها أن تضع المنطقة برمتها على حافة الهاوية ، وتهدد السلام العالمي بعدما برزت اصطفافاتٍ وتحالفات جديدة.

إن إيقاف عدوانية كلٍّ من نتنياهو ، المطلوب للعدالة الدولية، وترامب المتهور لا تتم إلّا بمزيدٍ من المواجهة والمقاومة والثبات ، وبتضافر الجهود الدولية باتخاذ موقفٍ موحد يضمن التوصل الى حلٍ عادلٍ لكل المشاكل العالقة ، و صياغة العلاقات بين الدول على أسس من الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ، وضمان حقوق الدول في سيادتها على مواردها ، وحريتها بالنماء والتطور ، وهذا لن يتم إلا بلجم المشروع الصهيوني التوسعي العدواني النتنياهوي ، وانكفاء المشروع الاستعماري الاستثماري الترامبي بكافة السبل.

باتاغونيا في قبضة «جوشوا»: هل تُبنى «دولة الظل» الصهيونية فوق رماد الجنوب؟

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

بينما ينشغل العالم بمتابعة خرائط النزاعات التقليدية في الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية، كانت النيران في أقصى جنوب الكرة الأرضية، وتحديداً في باتاغونيا الأرجنتينية، تلتهم أكثر من مجرد أشجار الأليرسيس المعمرة، إنها تلتهم مفهوم السيادة الوطنية لتفسح المجال أمام واحد من أخطر المشاريع الاستيطانية والجيوسياسية في القرن الحادي والعشرين. لم تعد خطة أنديني مجرد حبر على ورق في أدبيات المؤامرة، بل تحولت في عامي 2025 و2026 إلى واقع ميداني يُكتب بالرماد، ويُسمّى بأسماء توراتية، ويُنفذ بتمويلات عابرة للقارات تقودها نخب استثمارية عالمية مرتبطة بدوائر النفوذ الصهيوني.

تبدأ القصة دائماً بحريق غامض، ففي مطلع عام 2026 شهدت مناطق لوس أليرسيس وإل بوليشون سلسلة حرائق لم تكن عفوية بشهادة خبراء البيئة، لكن الهدف لم يكن تدمير الغطاء النباتي فحسب، بل كان هدفاً قانونياً بامتياز، ففي الأرجنتين تحمي القوانين الغابات الوطنية من البيع أو الاستثمار العقاري، لكن الثغرة القاتلة تكمن في مفهوم الأرض المحروقة، إذ بمجرد تفحم الغابة تفقد صفتها كمحمية طبيعية وتصبح أرضاً ميتة قابلة للاستصلاح والاستثمار، وهذا الاستثمار هو تمهيد لما يُعرف بمشروع جوشوا، حيث كشفت التقارير الاستقصائية الأخيرة عن عمليات شراء واسعة النطاق لأراضٍ شاسعة فور انطفاء النيران، بأسعار لا تمثل عشر قيمتها الحقيقية، لصالح شركات (أوف شور) غامضة تنتهي خيوطها عند أقطاب الصهيونية العالمية وملياردريرات يحملون جنسيات مزدوجة.

إن اختيار اسم جوشوا أو يشوع في الفكر العبري ليس عبثاً، فهو القائد الذي خلف موسى في رحلة فتح الأرض وتأسيس الكيان، واختيار هذا الاسم لهذه المستوطنات المصغرة في قلب الأرجنتين هو إعلان عن فتح جديد في أرض جديدة تمتلك ما لا يمتلكه الشرق الأوسط وهو الماء، فباتاغونيا تضم أكبر احتياطي للمياه العذبة في العالم بفضل جبال الأنديز والمثالج القطبية، والمخطط هنا يتجاوز فكرة الوطن القومي التقليدي إلى فكرة خصخصة البقاء، حيث يهدف مشروع جوشوا لتأسيس دولة مصغرة مكتفية ذاتياً، تمتلك مدارج طائرات خاصة، وأنظمة اتصالات فضائية مستقلة، وفرق حراسة مسلحة لا تخضع لسلطة الجيش الأرجنتيني الوطني.

أمام هذه الحقائق الميدانية، لم يتأخر الرد الرسمي من جانب الاحتلال، حيث شهد مطلع عام 2026 هجوماً دبلوماسياً حاداً من السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس والمنظمات الصهيونية العالمية، التي وصفت هذه التقارير بأنها فرية دم ومجرد نظريات مؤامرة معادية للسامية، زاعمة أن الوجود الإسرائيلي في الجنوب يقتصر على سياح شباب يقضون إجازتهم بعد الخدمة العسكرية، في حين أصدرت منظمة مكافحة السامية تصريحات تهاجم فيها الصحفيين والقادة العسكريين الذين اتهموا أجانب بافتعال الحرائق، معتبرة أن أي حديث عن شراء أراضٍ هو محض خيال، ومع ذلك، فإن الصمت المريب لهذه الجهات عن تفاصيل مشروع جوشوا وتسميته العقدية يثير تساؤلات كبرى حول التناقض بين النفي الإعلامي والواقع الجغرافي المسور بأسوار إلكترونية.

لا يمكن لهذا المشروع أن يمر دون غطاء سياسي محلي، فمنذ وصول التيار التحرري بقيادة خافيير ميلي إلى السلطة، رفعت الحكومة شعار بيع كل شيء لسداد الديون، وتشير التقارير إلى وجود مفاوضات سرية تحت مسمى مقايضة الديون بالأرض، حيث تضغط صناديق استثمارية دولية مدعومة بنفوذ سياسي صهيوني على بوينس آيرس للتنازل عن حق السيادة على مساحات شاسعة مقابل شطب أجزاء من ديون صندوق النقد الدولي، وقد أدى ذلك إلى انفجار شعبي واسع في شوارع العاصمة ومدن الجنوب، حيث خرجت مظاهرات حاشدة في أبريل 2026 تندد ببيع الأراضي وتطالب بحماية

الثروات المائية والمثالج، وضجت منصات التواصل الاجتماعي بوسم باتاغونيا ليست للبيع، وسط اتهامات صريحة للحكومة بتسهيل ما يسمونه الاحتلال الصامت.

ما يحدث في مشروع جوشوا هو نسخة مكبرة وممنهجة مما فعله الملياردير البريطاني جو لويس في بحيرة إسكونديدو، حيث حوّل مساحات شاسعة إلى إقطاعية خاصة تمنع المواطنين من الوصول للبحيرة وتدير مطاراً يستقبل طائرات ضخمة دون رقابة جمركية حقيقية، وهذا الاحتلال الخاص هو النموذج الذي يُراد تعميمه حالياً، مع إضافة طابع تنظيمي أكثر صرامة يشمل شركات أمنية خاصة مكونة من عناصر مسرحة من وحدات النخبة في جيوش أجنبية، يعملون كجيش موازٍ يمتلك تقنيات رصد عسكرية متطورة تحت غطاء حراسة الممتلكات الخاصة.

ولكل عملية احتلال عدو مُفبرك لتبريرها، حيث يتم استخدام الإعلام لتصوير السكان الأصليين من شعب المابوتشي كإرهابيين يحرقون الغابات، بينما تشير الأدلة الميدانية إلى أن المابوتشي هم أكثر من دافع عن الأرض، وقد تم استخدام فزاعة الإرهاب لتبرير المداهمات العسكرية وتفريغ القرى القريبة من أحواض المياه العذبة، إنها عملية تطهير عِرقي بيئي تتم بدم بارد وتحت غطاء قانوني مشوه يهدف لاستبدال أصحاب الأرض الأصليين بنخب عالمية تبحث عن ملاذ آمن في نهاية العالم، وإذا لم يستفق الشعب الأرجنتيني والمجتمع الدولي أمام هذه المخططات فإن الخريطة القادمة لن تحمل اسم الأرجنتين في الجنوب، بل ستحمل أسماء شركات ومستعمرات لا تعترف بسيادة، فباتاغونيا اليوم تصرخ من مرارة الخيانة بينما يتحول حلم السيادة إلى رماد يذروه الريح.

ومع تصاعد وتيرة الاستحواذ في الجنوب، يطل السؤال الأكثر إلحاحاً: هل يسعى الاحتلال من خلال مشروع جوشوا إلى تأمين مجرد استثمار اقتصادي، أم أنه يضع حجر الأساس لوطن بديل وصامت في نهاية العالم، ليكون ملاذاً لنخبته بعيداً عن نيران الشرق الأوسط، ومستودعاً لثروات البقاء التي يسرقها من تحت أقدام الأرجنتينيين؟

النازية والصهيونية توءمان خرجتا من بطن الإمبريالية

عبد الله جناحي ـ كاتب وباحث سياسي - البحرين

كيف تكون الصهيونية توءم النازية؟ في حين النازية مارست القتل ومحارق الهولوكست والتهجير بحق يهود ألمانيا ومعظم دول أوروبا الشرقية. ولكن حين نبحث في التاريخ المسكوت عنه، والتاريخ المخفي في الإعلام الغربي بسبب هيمنة اللوبي الصهيوني عليه، سنكتشف زيف الكثير مما تروج له الحركة الصهيونية المعاصرة عبر عشرات المصادر الموثقة، ومعظمها من مصادر النازيين، وتقارير يهودية. وقد أشار مفكرون عرب كثيرون لهذه العلاقة الوثيقة بين الحركة النازية والحركة الصهيونية. ومنهم المفكر المصري عبد الوهاب المسيري، صاحب الموسوعة الضخمة عن (الصهيونية). والذي اعتمدنا عليه في هذا المقال.

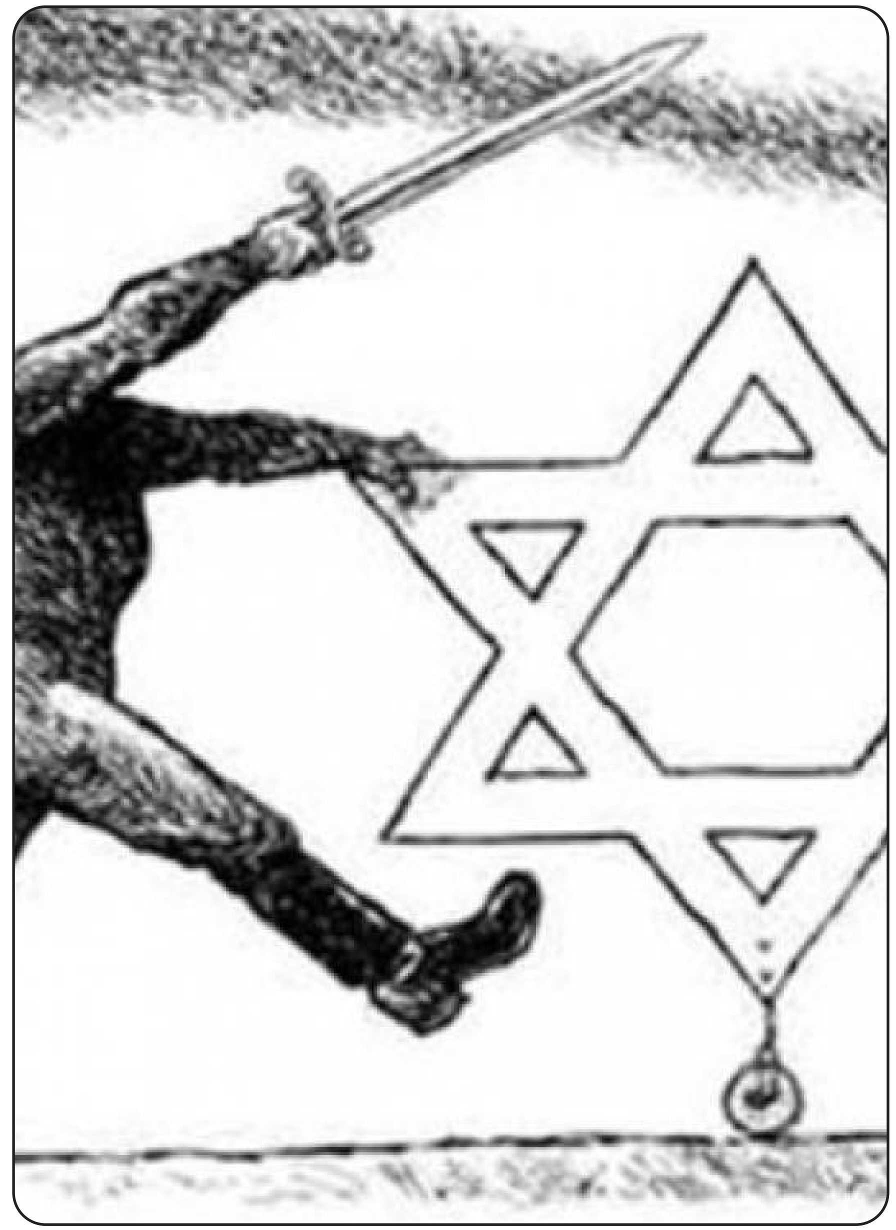

هناك أشكال متعددة للعلاقة بين النازية والصهيونية، تمت بشكل واع بين الطرفين، وبعضها بشكل فردي بين زعماء ونشطاء الصهاينة مع مسؤولين كبار في النظام النازي في ألمانيا.

التعاون النازي الصهيوني لهجرة اليهود إلى فلسطين:

توضح هذه المصادر بأن الصهاينة لم يبدوا حماساً كبيراً في حربهم ضد النازية في الثلاثينيات من القرن العشرين. ولغاية هزيمة النازية في الحرب العالمية الثانية. وأنهم كانوا غير مكترثين بالمقاومة ضد النازيين. وبدلاً من تنظيمهم لليهود الألمان وتوجيه طاقاتهم حتى يكونوا مهيئين للدفاع عن أنفسهم حينما تقع الواقعة، فإن القيادات الصهيونية كانت تركز على تهجير بضع مئات منهم إلى فلسطين، كأرض ميعادهم، حسب اعتقادهم التوراتي. بل إن المسألة تتخطى مجرد عدم الاكتراث بمصير اليهود، إذ إن الصهاينة اكتشفوا أثناء الإرهاب النازي ضد اليهود ذلك التناقض العميق بين نجاح تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين، ومحاولة إنقاذ اليهود من النازية. كما اكتشف النازيون أيضاً عمق تناقض مصالح الصهاينة مع اليهود الذين كانوا يرفضون الهجرة إلى فلسطين. وهذا ما يفسر أن الصهاينة اعتبروا عدوهم الحقيقي اليهود الأرثوذكس، وجماعة العقيدة الموسوية الإصلاحية غير الصهيونية. وهذا ما يفسر أيضاً لماذا كانت تتسم علاقة الدولة النازية بالمنظمات الصهيونية بشيء من الود والتفاهم. فالأرثوذكس والإصلاحيون كانوا يطالبون بمنح اليهود حقوقهم كمواطنين وباندماجهم في مجتمعاتهم. أما الصهاينة فيعارضون الاندماج، ويعارضون منح اليهود أي حق، إلا حق الهجرة إلى الوطن القومي اليهودي. وقد أشارت دراسة صهيونية؛ أن المنظمات والأفراد غير الصهاينة هم الذين أخذوا زمام المبادرة في حركة المقاومة ضد النازية، مع بقية القوى التقدمية الألمانية، وتحملوا وحدهم عبئها، وأنه كلما كان النضال أشد ضراوة كان الصهاينة يزدادون ابتعاداً عن بقية اليهود. ومن المعروف أن القوات النازية كانت تنشئ مجالس لليهود في البلاد التي تحتلها بعد حل كل التنظيمات اليهودية. وأن أعضاء هذه المجالس كانوا من الصهاينة. بل إن النظام النازي لم يسمح إلا للصهاينة وحدهم مزاولة نشاطهم، بينما منع الاندماجيين والأرثوذكس اليهود من إلقاء الخطب والتصريحات أو جمع التبرعات أو مزاولة أي نشاط آخر. ويقال، بأنه كان هناك تنسيق بين الصهاينة والنظام النازي في اعتقال اليهود الألمان غير الصهاينة ووضعهم في المعسكرات تمهيداً لإبادتهم. وقد ألحق المؤلف كورت جروسمان في كتابه عن هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية المعاصرة، ثماني وثائق نازية صادرة عام ١٩٣٥، تحمل كلها توجيهات للشرطة بتنظيم النشاط اليهودي في ألمانيا النازية. وأهم هذه التوجيهات هي دعم المنظمات الصهيونية التي تدرب اليهود تدريباً مهنياً على الزراعة والحرف قبل هجرتهم إلى فلسطين، لأنه في صالح الدولة النازية. وأنه يجب حل المنظمات اليهودية التي تدعو إلى بقاء اليهود في ألمانيا. وكان النازيون مهتمين كثيراً بنشاط اليهود الصهاينة، واعتبروا منظماتهم تعمل بكل السبل، حتى غير الشرعية منها، كي ترسل اليهود الألمان إلى فلسطين. كما أصدرت الحكومة النازية توجيهات بالسماح للمنظمات الصهيونية بجمع التبرعات من أجل تشجيع الهجرة والاستقرار في فلسطين، ولشراء الأراضي هناك. ولأن هذه التبرعات تساهم في الحل العملي للمسألة اليهودية. وقد كشفت لنا محاكمة النازي آيخمان في الكيان الصهيوني بعد اختطافه بعض جوانب العلاقة بين النازية والصهاينة.

(أتومان آيخمان، كان ضابطًا ألمانيًا نازيًا كبيرًا خلال الحرب العالمية الثانية. وكان مسؤولًا عن تنفيذ «الحل النهائي» لإبادة اليهود الأوروبيين خلال الهولوكوست. وأشرف على ترحيل الملايين من اليهود إلى معسكرات الإبادة. وبعد الحرب، هرب أيخمان إلى الأرجنتين حيث عاش تحت اسم مزيف. وفي 1960، تم القبض عليه بواسطة الموساد، ونُقل إلى الكيان الصهيوني لمحاكمته. وأُعدم في 1962 شنقاً. ويوجد فيلم عنه في القنوات التلفزيونية).

ف آيخمان كان معجباً أيما إعجاب بالصهيونية. وهو الذي قال عنهم: «إن الصهاينة مثاليون، والمثالي ليس ذلك الإنسان الذي يؤمن بفكرته فحسب، بل هو الرجل الذي يعيش من أجل فكرته، وعلى استعداد للتضحية». ولم يكن النازي آيخمان صهيونياً فكرياً فحسب، بل مثل بعض صهاينة الشتات، كان صهيونياً عملياً وفعالًا. لقد كان على استعداد للعمل من أجل تحويل فكرة «العودة» إلى أرض الميعاد إلى حقيقة وواقع. لقد ساعد آيخمان الصهاينة على تأسيس معسكرات تدريبية للمهاجرين اليهود، بل إنه طرد مجموعة من الراهبات من كنيستهم حتى يزود بعض الشباب اليهود مزرعة تدريبية.

اتفاقية «الهعفراه» بين النازية والصهيونية:

هذا التعاون الواعي تم عن طريق المفاوضات الذي انتهى بعقد اتفاقية بين النازيين والصهاينة. هذه الاتفاقية هي «الهعفراه» وهذه كلمة عبرية تعني «نقل»، أي نقل السكان اليهود من ألمانيا إلى فلسطين. وقد عقدت هذه الاتفاقية بين النازيين والمستوطنين الصهاينة في فلسطين وبمقتضاها سمح النازيون لليهود بالهجرة. وقد منحت ألمانيا لمؤسسة الهعفراه الصهيونية حق احتكار البضائع الألمانية المصدرة إلى فلسطين. وكان من نتائج هذه الاتفاقية استيراد خيرة الفنيين اليهود الألمان والآلات الألمانية التي كانت تحتاجها المستوطنات الصهيونية. وليس من قبيل المصادفة أن الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٩ جاءت في أعقاب اتفاقية الهعفراه، التي أدت الى زيادة الهجرة وشراء الأراضي الفلسطينية وبناء المستوطنات. كما كان لتنفيذها انعكاسات طيبة على الاقتصاد النازي أيضاً. ولكن الأهم من هذا كله كان في مجال الهجرة الصهيونية. فتهجير اليهود هو الأرضية الأيديولوجية المشتركة بين الصهاينة والنازيين. وقد ساهم جهاز المخابرات الألماني- جستابو- وفرق عسكرية من الجيش النازي في عمليات الهجرة الصهيونية. وقد هاجر حوالي ٦٠ ألف يهودي بمقتضى معاهدة الهعفراه بين عامي ١٩٣٣و ١٩٣٩.

التنسيق الصهيوني النازي لتنفيذ محارق

الهولوكست:

إلى جانب التعاون التنظيمي المعلن، توجد حالات من التعاون الفردي غير المعلن مثل حالة رودولف كاستنر، أحد زعماء الحركة الصهيونية في رومانيا والمجر. وقد أثمر هذا التعاون بهجرة ١٧٠٠ يهودي. وذلك عندما سمح النازيون بإطلاق سراح هؤلاء اليهود من أحد معسكرات الاعتقال إلى فلسطين مقابل أن يقنع كاستنر اليهود المرحلين إلى معسكرات الإبادة حيث تنتظرهم أفران الغاز. وقد نفذ كاستنر ما يخصه من الصفقة حين أقنع اليهود الذين تقلهم القطارات إلى معسكرات الإبادة بأنهم ذاهبون إلى أماكن أخرى يستقرون فيها، أو أنهم كانوا في طريقهم إلى معسكرات تدريب مهني. وهناك فرضية تقول إنه كان من المستحيل على النازيين شحن هذه الآلاف المؤلفة من اليهود دون تعاون القيادات الصهيونية. وقد وزع أحد المواطنين الصهاينة في الكيان الصهيوني عام ١٩٥٣ - أي بعد الحرب العالمية بحوالي عقد من الزمن- منشوراً يبين فيه مدى تعاون الصهيوني كاستنر مع النازيين ودفاعه عن أحد الضباط النازيين أثناء محاكمة نورمبرج المشهورة. الأمر الذي أدى إلى الإفراج عنه. أي أن حماس كاستنر للنازيين استمر حتى بعد سقوط النظام النازي. وقد قام الحزب الحاكم في الكيان آنذاك بمحاولات مضنية لإنقاذ كاستنر، ولكن إحدى المحاكم الصهيونية حكمت بأن معظم ما جاء في المنشور يتطابق مع الواقع. ولحسن حظ الحزب الحاكم، أطلق أحد الصهاينة الرصاص على كاستنر قبل تنفيذ حكم المحكمة.

الصهاينة جواسيس للنظام النازي:

أما الصهيوني الثاني، الفرد نوسيج، وهو نحات نمساوي. وكان متشرباً بالثقافة الألمانية، متحمساً لها- كما هو الحال مع معظم الزعماء الصهاينة- فعمل جاسوساً للألمان أثناء الحرب العالمية الثانية، ووضع خطة لإبادة اليهود الألمان المسنين والفقراء. وحينما وصلت القوات النازية إلى بولندا قام نوسيج بتقديم عدة خطط للهجرة اليهودية، فعينه النازيون عضواً في مكتب لقسم الشؤون اليهودية. وقد اكتشفت المقاومة اليهودية تعاونه مع النازيين، وانه عضو في الجستابو. وختمت حياته عام ١٩٤٣ بإطلاق النار عليه.

تتوضح من جميع هذه الوثائق والتقارير عن التعاون الوثيق بين الحركة النازية في ألمانيا وفروعها في بقية الدول الأوروبية، والحركة الصهيونية العالمية. وأن هناك تعمداً مخططاً له من قِبل الحركة الصهيونية بإخفاء هذه الحقائق، وإبراز محارق الإبادة الجماعية لليهود فقط.

الصهيونية والنازية وجهان لعملة واحدة:

صحيح أن حجم الجريمة النازية ضد الأقليات اليهودية في أوروبا، هي جريمة دون شك أقل ما توصف به أنها شيطانية، ولكن التركيز على هذه الجريمة النازية يتجاهل في الوقت نفسه عدة عناصر هامة في العلاقة الوثيقة بين الصهيونية والنازية، وهذه العناصر، كشفها المفكر عبد الوهاب المسيري في كتابه (الأيديولوجية الصهيونية)، وهي على النحو التالي:

أولاً: أن الأقليات اليهودية لم تكن هي وحدها ضحية العنف النازي الذي نزل بكل الشعوب غير الآرية. فالشعوب السلافية أبيدت منها الملايين أيضاً. وأبيدت قبائل الغجر الذين وقعوا في براثن النازية، كما أبيد كثير من العجزة والمرضى الألمان.

ثانياً: تهمل الدراسات التي تتكلم عن النازية حقيقة مهمة، وهي أن النازية لم تكن انحرافاً عن الحضارة الغربية، وإنما هي تيار أساسي فيها كالصهيونية تماماً. فالحضارة الغربية حضارة تعلى من قيم المنفعة، وترى أن البقاء للأصلح والأقوى دائماً، وتهمل كثيراً من القيم التقليدية التي تعتبرها بالية مثل؛ البر بالضعفاء والشهامة والتقوى ومساعدة الغير. والنازية حينما أبادت اليهود والعجزة فقد كانت تفعل ذلك لأنهم «غير نافعين»، وموضوعة تحويل اليهود إلى شعب منتج، كانت مطروحة في أوروبا وفي شرقها ووسطها بخاصة. وكان عدد كبير من يهود ألمانيا ويهود شرق أوروبا الذين لفظتهم، ولم تستوعبهم المجتمعات الأوروبية، نظراً لتخلفهم الحضاري والاقتصادي. قد حاولت ألمانيا التخلص من هذا الفائض الإنساني غير النافع بإرساله في قطارات إلى بولندا التي رفضتهم كما رفضتهم كثير من الدول الأخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة التي لم توافق على فتح أبواب الهجرة أمامهم. إن العالم الغربي برفضه لهؤلاء اليهود أيد ضمنياً الجريمة النازية ووافق على منطلقاتها الفلسفية حتى وإن لم يوافق على الشكل المتطرف الذي اتخذته.

ثالثاً: يجب أن نتذكر أن الحل النازي للمسألة اليهودية لا يختلف كثيراً عن الحلول الغربية الإمبريالية المطروحة للمشاكل المماثلة. فالنازية والإمبريالية يصدران عن الإيمان بتفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى. وأن هذا التفوق يعطي الحق للآريين في أن يتخلصوا من مشاكلهم عن طريق تصديرها للبلاد الأخرى حتى ولو أدى هذا إلى إبادة السكان الأصليين. والحل النازي لا يختلف عن ذلك فهو محاولة لتصدير المسألة اليهودية إلى الدول الأوروبية الأخرى- حيث إن المجال الحيوي للاستعمار النازي كان في أوروبا- فالنازيون حين وجدوا أن الطريق مسدودة أمامهم قاموا بتصدير اليهود- والغجر والسلاف- لمعسكرات الاعتقال لإبادتهم هناك. إن الجريمة النازية هي نتاج منطقي للحضارة الغربية الحديثة وليست استثناء منها.

رابعاً: هناك ظاهرة مشتركة بين النازيين والصهاينة، وهي أيضاً سمة أساسية للحضارة الغربية- هي عقلانية الإجراءات والوسائل ولاعقلانية الهدف. فعملية العقلنة أو الترشيد تنصب على الوسائل والأدوات فحسب، أما الأهداف فهي أمر متروك لاختيار الأفراد. ومعسكرات الاعتقال والتعذيب، سواء في ألمانيا النازية أم في الكيان الصهيوني، هي مثال جيد على هذا الجانب في الحضارة الغربية. فهذه المعسكرات منظمة بطريقة «منهجية» تحسب فيها حسابات الكسب والخسارة، وتحسب المدخلات والمخرجات. حتى التعذيب لا يتم بشكل عشوائي فردي، وإنما يتم بشكل مؤسسي منظم. فعملية الإبادة، هذا النتاج الرائع لحضارة العلم والتكنولوجيا يجب أن تتم بحياد علمي رهيب- رغم أن الكيان الصهيوني قد فاق النازية كثيراً في بربريته وقتله وإبادته للشعب الفلسطيني- لذلك فإن الهدف من معسكرات الاعتقال والإبادة والتعذيب، والمضمون الأخلاقي لهذه الأشياء ومدى عقلانيتها من منظور إنساني، فكل هذا متروك للزعيم أو للدولة أو للأهواء الشخصية وللتجربة والخطأ أو للأسطورة الدينية القومية. فالتجريب لا يؤدي بالضرورة إلى انتصار العقل والقيم الإنسانية. ولعل أكبر دليل على أن النازية كجزء أصيل من الحضارة الغربية هو أن الرد الغربي على معسكرات الاعتقال والإبادة لليهود لم يكن مغايراً في بنائه وفي سماته الجوهرية للجريمة النازية. فالغرب يحاول حل المسألة اليهودية بإنشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين، وكأنه يمكن أن تمحي جريمة الإبادة النازية لليهود بارتكاب جريمة دير ياسين أو مذبحة بيروت.

والغرب الذي أفرز هتلر وغزواته هو نفسه الذي كان ينظر بإعجاب إلى الغزو الصهيوني لجنوب لبنان وبيروت وأنحاء أخرى من العالم العربي. وهو الذي ينظر بحياد وموضوعية للجريمة التي ارتكبت والتي ترتكب يومياً ضد الشعب الفلسطيني لغاية هذه الساعة.

خامساً: إن الحضارة الغربية الحديثة قد أفرزت الإمبريالية والنازية والصهيونية. وهي إذ تتنكر الآن للنازية، فقط لأن جريمتها أُرتكبت ضد الشعوب الأوروبية. أما ما يرتكبه الكيان الصهيوني، وما ارتكبته الإمبريالية الأمريكية من مجازر بحق الشعوب، فهي لا تعتبر بالنسبة لهم جرائم.

لذلك، يجب ألا يخفي هذا الوضع عن أنظارنا أو عن أنظار الآخرين الحقيقة الأساسية التي تؤكد أن النازية جزء أساسي من الجانب البشع والظلامي للحضارة الغربية، مثلها مثل الإمبريالية والصهيونية.

سادساً: على الرغم من أن موضوع التشابه الفكري والتعاون الفعلي بين النازية والصهيونية، يثير الآن في عصرنا الراهن، شيئاً من الدهشة، فإن الأمر لم يكن كذلك في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. فكثير من المستوطنين الصهاينة كانوا يكنون الإعجاب للنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها ولمُثلها ولنجاحها في «إنقاذ» ألمانيا. بل اعتبروا النازية حركة «تحرير وطني»، مثل الصهيونية التي تزعم الآن أنها هي الأخرى حركة تحرير وطني- ولذا كان الشباب الصهيوني يهتفون: «ألمانيا لهتلر، إيطاليا لموسليني، وفلسطين لجابوتنسكي»- جابوتنسكي، زعيم حركة صهيونية التي طرحت ضرورة الحصول على أرض الميعاد بالقوة العسكرية، وذلك قبل إعلان تأسيس الكيان الصهيوني-.

وقد أشار الصهيوني حاييم كابلان، وكان موجوداً في وارسو أثناء حصارها من قبل النازيين، بأنه «لا يوجد أي تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية، فكلتاهما تهدفان إلى الهجرة، وكلتاهما ترى أن لا مكان لليهود في الحضارات الغربية».

سابعاً: لقد تأثر الفكر النازي وكذلك الفكر الصهيوني بالفلسفة الرومانتيكية الألمانية التي ترفض العقل الإنساني وفعاليته باعتباره أداة ناقصة قاصرة عن فهم العالم وتغييره. وهذا الفكر الرومانتيكي الألماني هو ذروة الفكر المعادي للتنوير. حيث يؤمن بالعقل الجمعي والماضي المشترك والجماعة العضوية. والصهيونية هي جزء من هذه الحركة الرومانتيكية اللاعقلانية. فالكتابات الصهيونية غارقة بالإشارات التي تغلب العاطفة على العقل، واللاوعي على الوعي، والمطلقات التوراتية على الظواهر التاريخية الإنسانية. وتعبر هذه اللاعقلانية عن نفسها في أشكال وطرق كثيرة أهمها فكرة روابط الدم العضوية. وأن الشعب اليهودي هو كيان عضوي متكامل، يحاول التعبير عن عبقريته الخاصة من خلال وحدته القومية وأنساقه السياسية وتاريخه الخاص وتراثه الديني المتميز، بل وسماته البيولوجية الخاصة به، والعرق اليهودي الخالص.

ومثلما يستخدم الصهاينة مفهوم «الدم اليهودي». فإن النازية المؤمنة بالفكر الرومانتيكي الألماني، تؤمن أيضاً أن جميع الأشخاص المنحدرين من العرق الألماني، أو الذين تربطهم قرابة الدم بالأصل الألماني، يكون ولاؤهم الأول لألمانيا، ويجب أن يصبحوا مواطنين في الدولة الألمانية، وطنهم الحقيقي، حتى وإن نشؤوا وترعرعوا هم وآباؤهم وأجدادهم تحت سماوات أجنبية أو في بيئات غريبة، لكن حقيقتهم الأساسية تبقى ألمانية.

أكثر من هذا أن النازيين كانوا يؤمنون أيضاً، مثل الصهاينة بوجود «الشِتات»- دياسبورا ألمانية تربطها روابط عضوية بالأرض الألمانية، وأعضاء هذا الشتات الألماني مثل أعضاء الشتات اليهود تماماً، يجب أن يعملوا من أجل الوطن الأم. وكان للصهاينة ما يشبه المنظمة النازية العالمية، التي كانت لها صلاحيات تشبه صلاحيات المنظمة الصهيونية العالمية، ولها مكانة في ألمانيا تشبه مكانة المنظمة الصهيونية في الكيان الصهيوني.

إن حقائق التاريخ العالمي، تكشف بأن جميع الحركات والدول العنصرية كما في ألمانيا النازية، أو جنوب أفريقيا العنصرية، أو الكيان الصهيوني النازي والعنصري، تلفظها الشعوب الحرة، والعقل الإنساني السوي، والمنطق والشرعة الدولية والدينية، وحقوق الإنسان. وحتى الأرض نفسها ترفض أن تحتضن الأفكار الشاذة وغير الإنسانية كالصهيونية والنازية والعنصرية.

تراجع تأثير الإيباك داخل الأوساط السياسية الأمريكية الحزب الديمقراطي نموذجاً

حسين موسى - كاتب فلسطيني.. سورية

الإيباك الذراع الإسرائيلية في أمريكا والتي تنشط هناك منذ عشرات السنين ولها تأثير كبير على صناع القرار بدءاً من مؤسسة الرئاسة إلى الكونغرس ومجلس الشيوخ وصولاً إلى المؤسسات العسكرية والأمنية والاقتصادية والإعلامية، لكن في الفترة الأخيرة ظهر جدل داخل هذه المؤسسات حول دورها وتدخلها.

تشهد الساحة السياسية والشعبية الأمريكية تحولات كبيرة خاصة بعد الحرب على غزة وانكشاف الوجه العنصري لإسرائيل، فالتحركات الشعبية الأمريكية المتصاعدة ضد إسرائيل ترافقت بتحركات من شخصيات سياسية وثقافية وإعلامية وازنة، وكان السؤال المركزي الذي يطرح إلى متى نستمر بدعم إسرائيل من دون حدود وما هي الجدوى من ذلك؟

حيث كشف مؤخراً عن مشروع قرار داخل اللجنة الوطنية الديمقراطية في الولايات المتحدة وأدى إلى تصاعد التوتر داخل الحزب الديموقراطي، بعد طرح مقترح يرفض التمويل الضخم الذي تضخه لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية «إيباك» في الانتخابات التمهيدية.

ويقود المبادرة عضو شاب في اللجنة من ولاية فلوريدا، في خطوة رمزية لكنها تحمل أبعاداً سياسية عميقة، إذ تضع قيادات الحزب أمام اختبار مباشر بشأن علاقتها باللوبي المؤيد لإسرائيل وتأثيره على مسار الانتخابات.

وتشير المعطيات إلى أن القرار، المقرر مناقشته خلال اجتماع اللجنة في أبريل، يستهدف الحد من النفوذ المالي المتزايد لـ «إيباك»، والذي بات يُنظر إليه داخل أوساط الحزب الديمقراطي على أنه عامل مؤثر في توجيه نتائج الانتخابات التمهيدية.

تؤكد الوقائع أن «إيباك» كثّفت تدخلها في الانتخابات الداخلية للحزب الديمقراطي من خلال أذرعها السياسية، وعلى رأسها لجنة العمل السياسي "مشروع الديمقراطية المتحدة"، التي ضخت عشرات ملايين الدولارات لدعم مرشحين مؤيدين لإسرائيل.

وأظهرت انتخابات ولاية إلينوي الأخيرة حجم هذا التأثير، حيث أنفقت المجموعة ما لا يقل عن 22 مليون دولار، وأسهمت في فوز مرشحين مدعومين منها في عدد من السباقات الحاسمة.

ويرى منتقدون أن هذا الإنفاق الضخم يهدد مبدأ التمثيل الشعبي، ويمنح جهات خارجية تأثيراً غير متناسب على خيارات الناخبين داخل الحزب.

غضب داخلي متصاعد داخل الحزب الديمقراطي

تعكس المبادرة حالة استياء متزايدة داخل القاعدة الديمقراطية، خاصة في ظل تحولات في الرأي العام باتت أكثر تعاطفاً مع الشعب الفلسطيني وأقل دعماً للسياسات الإسرائيلية.

وتؤكد أليسون مينرلي راعية القرار، (أن الخطوة تهدف إلى إعادة ثقة الناخبين الذين يشعرون أن الحزب لا يعكس مواقفهم، خصوصاً فيما يتعلق بالحرب في غزة والسياسة الخارجية).

وتشير إلى (أن الابتعاد عن تأثير "إيباك" قد يشكل خطوة نحو استعادة هؤلاء الناخبين، في ظل شعور متزايد بالتهميش داخل الحزب).

يأتي هذا القرار بعد محاولة سابقة قادتها مينرلي لفرض حظر على توريد الأسلحة إلى إسرائيل، والتي رُفضت رغم إثارتها جدلاً واسعاً داخل الحزب.

وقد انتهت تلك المحاولة بتشكيل فريق عمل لم يُصدر نتائج حتى الآن، ما دفع منتقدون لاعتباره مجرد وسيلة لتأجيل النقاش بدل حسمه.

وتشير التطورات الحالية إلى عودة الملف بقوة إلى الواجهة، لكن في سياق أكثر حساسية يتعلق مباشرة بالتمويل السياسي.

انقسام داخل الحزب الديمقراطي

يفتح القرار باب مواجهة داخلية بين تيارين: أحدهما يدعو إلى تقليص نفوذ اللوبيات والمال السياسي، والآخر يفضل تجنب الصدام مع "إيباك" نظراً لحساسيات سياسية وانتخابية.

وحذر بعض قادة الحزب الديمقراطي من أن طرح هذا الملف قد يؤدي إلى انقسامات أعمق داخل الحزب، خاصة مع اقتراب الاستحقاقات الانتخابية.

في المقابل، يرى داعمو القرار أن تجاهل القضية لم يعد ممكناً، في ظل تزايد الانتقادات بشأن تأثير المال السياسي على الديمقراطية الداخلية.

أما المؤيدون لـ «إيباك» فقد اعتبروا أن الهجوم عليها يتجاوز النقد السياسي إلى استهداف الدعم لإسرائيل داخل الحزب.

في المقابل، أكد محللون أن الانتقادات تركز على أساليب التمويل والتأثير، وليس على البعد الديني أو الهوياتي كما يُروَّج.

ومع اقتراب موعد مناقشة مشروع القرار، يبدو أن الحزب الديمقراطي يواجه اختباراً حقيقياً بين الاستجابة لضغوط قاعدته الشعبية، أو الاستمرار في تجنب مواجهة نفوذ متجذر داخل منظومته السياسية.

صفعات متتالية لإسرائيل

بعد انتخاب الشاب من الأصول الإسلامية زهران ممداني والذي لم يخفِ انتقاده العلني لإسرائيل وحربها على غزة، حيث شكل فوزه في الانتخابات صفعة لإسرائيل ولمنظمة الإيباك التي ساندت بكل قوة منافسه يقول الكاتب عبد الجواد عمر (إن انتصار ممداني على شخصية بحجم أندرو كومو المدعوم إسرائيلياً يشكل منعطفاً تاريخياً لفلسطين في السياسة الأمريكية، فهذا الفوز يعكس التململ المتزايد من دور إسرائيل في الحياة الأمريكية).

أما تاكر كارلسون المذيع الأشهر والأكثر نفوذاً في الإعلام الأمريكي والرجل الذي كان يوماً من أكبر الداعمين للكيان الصهيوني فقد انتقد السياسات الإسرائيلية في غزة ولبنان (ووصف بعض الداعمين لها في السياسة الأمريكية بالخونة لمصالح بلادهم).

من جهتها الإعلامية الأمريكية الشهيرة آنا كاسباريان قالت في تصريحات صحفية (إن الحكومة الإسرائيلية تمارس سيطرة كاملة على الإدارة الأمريكية).

من جهة أخرى أظهر استطلاع حديث للرأي العام الأمريكي تحولًا غير مسبوق في مواقفه اتجاه «إسرائيل»، حيث باتت النظرة السلبية هي الغالبة لأول مرة منذ سنوات. حيث قال نحو 60% من الأميركيين المشاركين بالاستطلاع الصادر عن مركز «بيو» للأبحاث: إن لديهم نظرة سلبية تجاه «إسرائيل»، بزيادة قدرها 20% عن استطلاع سابق أجري عام 2022، فيما عبر 37% فقط عن نظرة إيجابية اتجاهها.

وأشارت نتائج الاستطلاع إلى أن الغالبية في كلا الحزبين السياسيين، الجمهوري والديمقراطي، خاصة من هم دون سن الخمسين، باتوا ينظرون بشكل سلبي إلى كل من «إسرائيل» ورئيس وزرائها بنيامين نتنياهو.

إن تعالي الأصوات المؤثرة في أمريكا والمنتقدة لسياسات إسرائيل ولدعمها اللامحدود يؤكد أن هناك انزياحات داخل البنى المجتمعية في الداخل الأمريكي مما يمهد الطريق في المستقبل لتراجع تأثير اللوبي الصهيوني عبر ذراعه المسماة الإيباك.

الكيان الصهيوني منذ طوفان الأقصى إلى اليوم: ما الذي تغيّر؟

موسى جرادات ـ كاتب سياسي فلسطيني – تركيا

مرت سنتان ونصف تقريباً على حدث طوفان الأقصى الذي وقع في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، ومع ذلك ما يزال الكيان الصهيوني يعيش حالة حرب متواصلة، متنقلاً من جبهة إلى أخرى دون توقف. هذه الحالة بحد ذاتها تمثل تحولاً جوهرياً في السلوك الاستراتيجي لدولة الاحتلال، التي عُرفت تاريخياً بعقيدة الحرب الخاطفة والسريعة، القائمة على تحقيق الحسم العسكري خلال أيام أو أسابيع قليلة، كما حدث في حرب 1967 التي استمرت ستة أيام فقط.

لكن ما جرى منذ طوفان الأقصى كسر هذه القاعدة التاريخية.

فالكيان الصهيوني لم يخض حرباً قصيرة تنتهي بنتيجة واضحة، بل دخل في حالة حرب ممتدة متعددة الجبهات: في غزة، وعلى حدود لبنان، وفي ضربات متكررة في سوريا، إضافة إلى حالة التوتر الدائم مع إيران والتي وصلت حتى هذا الوقت الى خوض حربين تحت نفس العناوين التي لم تنجز حتى هذا الوقت.

ومع ذلك، فإن إطالة مدة الحرب لا تعني بالضرورة أن دولة الاحتلال حققت أهدافها الاستراتيجية.

بل على العكس، فإن استمرار حالة الاستنفار العسكري القصوى داخل المجتمع الإسرائيلي، واستدعاء مئات آلاف جنود الاحتياط بشكل متكرر، يشير إلى أن الحرب لم تُحسم بعد، وأن الكيان ما يزال يعيش حالة قلق وجودي عميق.

في الواقع، تشير بيانات جيش الاحتلال إلى أنه منذ أكتوبر 2023 تم استدعاء ما يقارب 360 ألف جندي احتياط، وهو أكبر تعبئة عسكرية في تاريخ الكيان منذ حرب أكتوبر 1973.

كما أن العمليات العسكرية في غزة وحدها استمرت لأكثر من 18 شهراً متواصلاً في مراحل مختلفة من القتال، وهو أمر غير مسبوق في تاريخ الجيش الإسرائيلي الذي اعتاد على حروب قصيرة نسبياً.

لكن فهم هذا التحول في سلوك الكيان الصهيوني لا يمكن أن يتم دون العودة إلى سنوات السلم الافتراضي التي عاشها خلال العقود الثلاثة الماضية، منذ توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993 وما تبعها من ترتيبات سياسية وأمنية في المنطقة.

فقد عاش الكيان خلال تلك الفترة ما يمكن وصفه بمرحلة الاستقرار النسبي، حيث انخفضت مستويات المواجهة العسكرية المباشرة مع الدول العربية، وبدأت عملية تطبيع تدريجية مع عدد من الدول في المنطقة.

هذه المرحلة ربما تكون المفتاح لفهم النزوع الحالي نحو التوحش العسكري وإطلاق كامل الطاقة التدميرية التي يمتلكها الكيان الصهيوني.

ففي ظل تلك السنوات الطويلة من السلم النسبي، تراكمت لدى إسرائيل قدرات عسكرية واقتصادية هائلة، كما ترسخت قناعة لدى نخبها السياسية بأن البيئة الإقليمية باتت أكثر ملاءمة لفرض مشروع الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة.

لكن التحليلات التقليدية التي حاولت تفسير هذا السلوك غالباً ما استندت إلى قراءات نمطية مسبقة عن طبيعة الكيان الصهيوني، مثل التركيز على طبيعة الحكومة اليمينية المتطرفة أو على الأزمة الشخصية لرئيس الحكومة بنيامين نتنياهو. ومع أن هذه العوامل قد تلعب دوراً معيناً في تفسير بعض السياسات، إلا أنها لا تكفي لفهم التحول البنيوي الأعمق في سلوك الدولة الإسرائيلية.

فاستطلاعات الرأي التي أجريت داخل المجتمع الإسرائيلي منذ بداية حرب طوفان الأقصى وحتى اليوم تشير إلى وجود إجماع صهيوني واسع نسبياً على دعم العمليات العسكرية.

ففي استطلاع أجراه معهد الديمقراطية الإسرائيلي في عام 2024، أيد أكثر من 72% من الإسرائيليين استمرار العمليات العسكرية في غزة حتى تحقيق «الأهداف الأمنية الكاملة»، بينما اعتبر نحو 65% أن الحرب مع حزب الله في لبنان قد تكون ضرورية إذا استمرت التهديدات على الحدود الشمالية.

هنا يبرز التناقض الظاهري: إذا كانت الحرب تحظى بهذا المستوى من التأييد الشعبي، فلماذا تستمر الأزمة السياسية داخل إسرائيل؟ ولماذا تبدو مؤسسات الحكم عاجزة عن إنتاج استقرار سياسي طويل الأمد؟

في الواقع، قد يكون من الأدق القول إن الإجماع الصهيوني لا يتشكل حول برنامج سياسي واضح بقدر ما يتشكل حول فكرة الحرب نفسها.

بمعنى آخر ان المجتمع الصهيوني يبدو أكثر قدرة على التوحد في ظروف الحرب منه في ظروف السلم، وهي ظاهرة لها جذور عميقة في طبيعة تكوين هذا المجتمع.

لكن قبل الخوض في هذا الجانب، من الضروري التوقف عند سؤال مهم يتعلق بالكلفة الاقتصادية للحروب التي يخوضها الكيان الصهيوني منذ طوفان الأقصى.

الكلفة الاقتصادية للحرب

تشير تقديرات وزارة المالية الإسرائيلية إلى أن كلفة الحرب في غزة وحدها خلال العام الأول بلغت ما يقارب 67 مليار دولار، وهو رقم يعادل نحو 13% من الناتج المحلي الإجمالي الإسرائيلي. كما ارتفع العجز في الموازنة إلى أكثر من 6.6% من الناتج المحلي بعد أن كان أقل من 2% قبل الحرب يضاف إلى هذا كلفة الحرب على لبنان وإيران والتي تجاوزت ٤٥ مليار دولار

أما الإنفاق العسكري الإسرائيلي فقد قفز بشكل كبير، حيث ارتفعت ميزانية الدفاع من حوالي 23 مليار دولار في عام 2022 إلى ما يزيد عن 40 مليار دولار في عام 2024، وهو ما يجعل إسرائيل من بين الدول الأعلى إنفاقاً عسكرياً كنسبة من الناتج المحلي في العالم.

ومع ذلك، فإن قدرة الكيان على تمويل هذه الحروب تعود إلى عدة عوامل رئيسية، من أبرزها الدعم العسكري والاقتصادي الأميركي. فقد أقرت الولايات المتحدة منذ بداية الحرب حزم مساعدات عسكرية إضافية لإسرائيل تجاوزت 26 مليار دولار، إضافة إلى الدعم السنوي الثابت الذي يبلغ حوالي 3.8 مليارات دولار وهناك تقارير صحفية تشير إلى أن الإدارة الأمريكية قد حولت إلى الكيان ١٦ مليار دولار من صندوق السلام الذي أنشئ لإعمار قطاع غزة.

كما أن الاقتصاد الإسرائيلي، رغم الخسائر الكبيرة، ما يزال يتمتع بقاعدة تكنولوجية قوية، خصوصاً في قطاع التكنولوجيا المتقدمة الذي يمثل نحو 18% من الناتج المحلي الإجمالي ويشكل أكثر من 50% من الصادرات الإسرائيلية.

لكن السؤال يبقى مطروحاً: كيف يستطيع الكيان الصهيوني الاستمرار في خوض حروب مكلفة اقتصادياً وبشرياً بهذا الشكل؟

في الواقع، يبدو أننا أمام مشهد جديد في تطور الكيان الصهيوني، يقوم على عملية تسارعية يحاول فيها الكيان أن يسابق الزمن من أجل إعادة ترتيب أوضاعه الاستراتيجية في المنطقة.

ومن هنا يمكن التوقف عند مجموعة من الظواهر التي قد تساعد في فهم هذا التحول.

أولاً: السلوك الاغترابي

من الملاحظ أن دولة الاحتلال كلما زاد رصيدها من الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول العربية، ازداد في المقابل شعورها بالاغتراب والانطواء. فخلال العقود الأخيرة وقعت إسرائيل اتفاقيات سلام مع مصر (1979) والأردن (1994)، ثم شهدت المنطقة موجة جديدة من التطبيع عبر اتفاقيات أبراهام عام 2020 التي شملت الإمارات والبحرين والمغرب والسودان.

وبحسب تقديرات مختلفة، فإن أكثر من 60% من الدول العربية باتت تقيم نوعاً من العلاقات الدبلوماسية أو الاقتصادية المباشرة أو غير المباشرة مع دولة الاحتلال.

لكن هذه الاتفاقيات لم تؤد إلى اندماج الكيان في المنطقة كما كان يُفترض نظرياً، بل على العكس، يبدو أن المجتمع الصهيوني يزداد شعوراً بالعزلة والتهديد.

وربما يعود ذلك إلى أن التطبيع الرسمي لم يرافقه قبول شعبي واسع في العالم العربي، الأمر الذي جعل دولة الاحتلال تشعر بأنها ما تزال محاطة ببيئة معادية رغم التحولات السياسية.

ثانياً: مفهوم الأمن الفضفاض

يُعد مفهوم الأمن حجر الزاوية في العقيدة السياسية والعسكرية الإسرائيلية. لكن هذا المفهوم يتسم بدرجة عالية من المرونة والغموض، بحيث يمكن توسيعه ليشمل تقريباً أي تهديد محتمل.

فعلى سبيل المثال، عندما وقعت اتفاقية أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية، كان من المفترض أن تؤدي إلى إقامة سلطة فلسطينية تمارس حكماً ذاتياً في الضفة الغربية وقطاع غزة تمهيداً لإقامة دولة فلسطينية.

لكن ما حدث عملياً هو أن إسرائيل تعاملت مع الاتفاقية من زاوية واحدة تقريباً، وهي الزاوية الأمنية. فقد احتفظت بسيطرة شبه كاملة على المجال الجغرافي والاقتصادي للضفة الغربية، بينما توسع الاستيطان بشكل كبير.

ففي عام 1993 كان عدد المستوطنين في الضفة الغربية لا يتجاوز 110 آلاف مستوطن، بينما تجاوز عددهم اليوم أكثر من 700 ألف مستوطن موزعين بين الضفة الغربية والقدس الشرقية.

وهذا يعني أن إسرائيل لم تستخدم اتفاق أوسلو كخطوة نحو تسوية سياسية نهائية، بل كأداة لإدارة الصراع بطريقة تخدم أمنها ومصالحها الاستراتيجية.

لكن ما نشهده اليوم يتجاوز حتى هذه المقاربة التقليدية، إذ يبدو أن الكيان الصهيوني يسير بخطوات متسارعة نحو تصفية القضية الفلسطينية بالكامل، سواء من خلال تدمير قطاع غزة أو عبر تكريس واقع الضم الزاحف في الضفة الغربية.

ثالثاً: الهيمنة العارية

من خلال قراءة الخطاب السياسي الرسمي في إسرائيل خلال السنوات الأخيرة، يمكن ملاحظة تحول واضح نحو فكرة الهيمنة الإقليمية المباشرة.

فلم يعد الحديث يقتصر على الدفاع عن الأمن الإسرائيلي داخل الحدود، بل أصبح يتضمن بشكل متزايد ضرورة إعادة تشكيل البيئة الإقليمية بما يضمن تفوق دولة الاحتلال المطلق.

وتتجلى هذه الرؤية في سلسلة العمليات العسكرية التي نفذتها إسرائيل في عدة ساحات إقليمية، حيث نفذت منذ عام 2015 أكثر من 1000 ضربة جوية في سوريا وفق تقديرات مراكز أبحاث غربية، إضافة إلى العمليات المستمرة في غزة والتوترات الدائمة مع لبنان.

لكن هذه المجازفة الاستراتيجية الكبرى ليست بالضرورة مضمونة النتائج. فالمقاومة الشرسة التي ظهرت في غزة، وكذلك المواجهات المتكررة على الحدود اللبنانية، تشير إلى أن مشروع الهيمنة الإسرائيلية يواجه تحديات حقيقية.

كما أن إيران ما تزال تمثل عامل تحدٍ استراتيجي دائم للكيان الصهيوني، سواءً من خلال برنامجها الصاروخي أو عبر شبكة الحلفاء الإقليميين الذين يدعمونها.

أزمة الحكم داخل الكيان

أمام هذه المعطيات، يبدو أن ما يواجهه الكيان الصهيوني اليوم ليس مجرد أزمة سياسية مرتبطة بشخص نتنياهو أو بطبيعة الحكومة اليمينية المتطرفة، بل أزمة أعمق تتعلق ببنية الحكم نفسها.

فالإجماع الصهيوني، كما يبدو، لا يلتئم إلا في ظروف الحرب. أما في فترات السلم، فإن الانقسامات الداخلية تظهر بشكل حاد، سواء بين التيارات العلمانية والدينية، أو بين اليمين واليسار، أو حتى بين اليهود الشرقيين والغربيين.

وقد ظهر هذا الانقسام بوضوح خلال الأزمة السياسية التي سبقت حرب طوفان الأقصى، عندما شهدت دولة الاحتلال واحدة من أكبر موجات الاحتجاج في تاريخها ضد مشروع إصلاح القضاء الذي طرحته حكومة نتنياهو.

لكن اندلاع الحرب أدى إلى تجميد هذه الانقسامات مؤقتاً، حيث أعادت الحرب توحيد المجتمع الصهيوني حول فكرة الدفاع عن الدولة.

ومن هذا المنظور يمكن فهم محاولة نتنياهو إعادة صياغة شكل الدولة وأولوياتها، سواء من خلال التغييرات الدستورية المقترحة أو عبر الدفع نحو نموذج دولة أكثر مركزية وأقل خضوعاً للقيود القضائية.

خاتمة

في ضوء كل ما سبق، يمكن القول إن الكيان الصهيوني يعيش اليوم مرحلة تحول عميقة في تاريخه السياسي والاستراتيجي. فالحرب التي اندلعت بعد طوفان الأقصى لم تكن مجرد مواجهة عسكرية عابرة، بل كشفت عن تحول بنيوي في طبيعة الدولة الإسرائيلية نفسها.

هذا التحول يتمثل في الانتقال من نموذج الدولة التي تعتمد على الحروب الخاطفة والحسم السريع، إلى نموذج الدولة التي تعيش في حالة حرب دائمة وتعيد تعريف أمنها وموقعها الإقليمي على أساس هذه الحالة.

لكن السؤال الأكبر يبقى مفتوحاً: هل يستطيع الكيان الصهيوني الاستمرار في هذا المسار لفترة طويلة دون أن يدفع ثمناً استراتيجياً كبيراً؟

فالتاريخ يظهر أن الدول التي تبني استراتيجيتها بالكامل على القوة العسكرية قد تحقق انتصارات مؤقتة، لكنها غالباً ما تواجه تحديات متزايدة مع مرور الزمن، خصوصاً إذا كانت تلك القوة تُستخدم في بيئة إقليمية معادية ومعقدة مثل الشرق الأوسط، حيث يساهم الكيان الصهيوني في صناعة أعداء وتحالفات جديدة، ويعلن عنهم، حتى قبل أن يتم الإعلان عنها، مثل نموذج التحالف التركي السوري المصري الذي يقر نتنياهو أنه في طريقه إلى العلن.

ولهذا فإن السنوات القادمة قد تكون حاسمة في تحديد ما إذا كان الكيان الصهيوني سينجح في فرض رؤيته للهيمنة الإقليمية، أم أنه سيواجه حدود القوة التي يعتمد عليها اليوم، وبالتالي ترسم ملامح نهايته بفعل تلك السياسات، وكل قارئ لتاريخ المنطقة يدرك جيداً أن مصير المنطقة كان دوماً بيد شعوبها طوال الوقت، وأن دولة الاحتلال امتداد لغزو خارجي، له وقت وينتهي .

بروكسل.. نهاية الغياب الأوروبي

تقرير لبرنامج PBS NewsHour»» الأمريكي - 20 أبريل 2026

ترجمة: نور نوارة

بروكسل (أسوشيتد برس) — وجهت أوروبا أنظارها نحو الفلسطينيين يوم الاثنين، وذلك في الوقت الذي أعطى فيه إخفاق حليف إسرائيل، فيكتور أوربان، في الانتخابات في المجر، زخماً جديداً للجهود الرامية إلى معالجة الوضع في غزة والضفة الغربية المحتلة.

أرسلت أكثر من 60 دولة ممثلين عنها إلى بروكسل لإجراء محادثات مع ممثلين فلسطينيين حول الاستقرار والأمن والسلام طويل الأمد.

ظل الاتحاد الأوروبي إلى حد كبير على الهامش في الشرق الأوسط، على الرغم من كونه أكبر مزود للمساعدات للفلسطينيين وداعماً لحل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني. والآن، تعترف غالبية الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بالدولة الفلسطينية المستقلة بعد أن أعرب الكثيرون عن غضبهم إزاء الإجراءات الإسرائيلية في غزة. كما أن التكتل المؤلف من 27 دولة هو الشريك التجاري الأول لإسرائيل ومشترٍ رئيسي للأسلحة الإسرائيلية.

لكن الاتحاد الأوروبي لم يكن له أي دور في التفاوض على وقف إطلاق النار في غزة في أكتوبر والذي دخل حيز التنفيذ بعد عامين من الحرب. وكثيراً ما كان أوربان يستخدم حق النقض (الفيتو) ضد التحركات الأوروبية لإدانة أو معاقبة بعض الإجراءات الإسرائيلية.

والآن، يشير بيتر ماغيار، زعيم المجر القادم، إلى أنه سيتصرف بشكل مختلف عن أوربان تجاه إسرائيل. ويدفع بعض القادة المنتقدين لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، مثل رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز، نحو اتخاذ إجراءات حاسمة.

تحدي اتفاقية أوروبا مع إسرائيل

صرح ماغيار بأنه سيسعى إلى «علاقات براغماتية» مع إسرائيل، لكنه سيعيد أيضاً الانضمام إلى المحكمة الجنائية الدولية، التي أصدرت مذكرة اعتقال بحق نتنياهو بسبب غزة. كان أوربان قد تحدى تلك المذكرة عندما استضاف نتنياهو في عام 2025، ثم بدأ عملية انسحاب المجر من المحكمة الوحيدة المعنية بجرائم الحرب والإبادة الجماعية في العالم.

وقال ماغيار أيضاً إنه قد لا يواصل سياسة أوربان في استخدام حق النقض ضد الإجراءات المتعلقة بإسرائيل – وهو حجر عثرة فشل قادة الاتحاد الأوروبي المنتقدون لإسرائيل في التغلب عليه على مدى السنوات الثلاث الماضية من الصراع في الشرق الأوسط.

بعد اجتماع بروكسل، قالت مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، كايا كالاس، إنه بدون فيتو أوربان، قد يتم اتخاذ إجراءات قريباً، مثل فرض عقوبات على المستوطنين الإسرائيليين العنيفين. وقالت: «لدينا 27 دولة و 26 دولة تريد فرض عقوبات على المستوطنين العنيفين.».

يريد رئيس الوزراء الإسباني من الاتحاد الأوروبي تعليق اتفاقية الشراكة طويلة الأمد مع إسرائيل، وقال إن إسبانيا ستقدم اقتراحاً رسمياً في اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي. ومع ذلك، يبدو التعليق غير مرجح لأن دولاً مثل النمسا وألمانيا تميل إلى دعم إسرائيل. الاتفاقية السارية منذ عام 2000 تحدد الإطار القانوني والمؤسسي الذي يجري الاتحاد الأوروبي وإسرائيل من خلاله التجارة والتعاون. وقد وجد الاتحاد الأوروبي مؤشرات على أن إسرائيل انتهكت تلك الاتفاقية في حملتها العسكرية في غزة.

يمكن الموافقة على إجراءات أخرى، مثل العقوبات المستهدفة على المستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية، إذا وافقت «أغلبية مؤهلة» – 15 دولة من الدول الـ 27 التي تمثل ما لا يقل عن 65% من سكان الاتحاد الأوروبي.

قال وزير الخارجية البلجيكي ماكسيم بريفو: «حل الدولتين يزداد صعوبة يوماً بعد يوم «.

تقدير موقف

الحرب الإمبرياليّة الهجينة على مالي: الأبعاد، الأهداف والفاعلون

موديبو دانيون وسليمان منغانـــي
باحثان في وحدة الدّراسات الإفريقيّة- مركز مسارات للدّراسات الفلسفيّة والإنسانيات

لقد كشفت الأحداث الجارية في مالي منذ 25-04-2026 عن تطور نوعي في طبيعة التهديد: لم تعد الهجمات تقتصر على المناطق النائية، بل تستهدف الآن المراكز العسكرية والسياسية الرئيسية، بما في ذلك العاصمة باماكو. يعزز هذا الفرضية القائلة بأن الجمهورية تواجه تهديدًا معقدًا يشمل جهات فاعلة متعددة، مما يزيد من تعقيد الاستجابة الأمنية والسياسية والجيواستراتيجيّة. ويبدو أن تحالفًا دوليًا لزعزعة الاستقرار يتبلور خلف صفوف العدو المتسللة إلى مواقع استراتيجية في البلاد. الأمر الذي يقتضي قراءة متأنّية لمسارات الأحداث وأبعادها وأهدافها والأطراف الفاعلة فيها المحليّة والإقليميّة والدّوليّة.

أوّلا: البعد الجيوسياسي والجيوستراتيجي

-1موقع مالي على الخارطة الجيوسياسية والجيوستراتيجيّة في منطقة السّاحل

تُعد مالي القلْب النابض والركيزة الأساسية في جيوسياسية منطقة الساحل الإفريقي، حيث تمثل نقطة ارتكاز استراتيجية تربط بين شمال إفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى، وتتحكم في ممرات أمنية واقتصادية حيوية. وعليه يمكن تحليل موقع مالي الجيوسياسي والجيوسترتيجي على النحو التّالي:

1--1 الموقع الجغرافي والاستراتيجي (الجسر والعمق)

- بوابة صحراوية: تحد مالي الجزائر شمالاً، مما يجعلها خط الدفاع الأول أو «المنطقة العازلة» ضد انتقال الاضطرابات من شمال إفريقيا إلى غربها.

- التوسط الإقليمي: تقع في قلب الساحل وتحدها سبع دول، مما يجعل استقرارها مؤثراً بشكل مباشر على الجزائر وموريتانيا، والنيجر، وبوركينا فاسو، وكوت ديفوار، وغينيا والسنغال.

- خلفية اقتصادية: تمثل مالي عمقاً استراتيجياً لدول غرب إفريقيا (إيكواس) الساحلية، وبوابة برية تربط الموانئ (مثل الكوت ديفوار وغينيا والسنغال) بالمناطق الداخلية كبوركينا فاسو أو النيجر. علاوة على ما تتمتّع بها البلاد من ثروات طبيعية (الذهب، وليتيوم، والحديد، والبوكسيت، ومانغانيز...) والتي أصبحت اليوم من المعادن النادرة في الصناعات التكنولوجيّة والعسكريّة.

1--2 الخارطة الجيوسياسية الحالية (التحالفات الجديدة)

شهدت مالي تحولاً جذرياً في تحالفاتها منذ عام 2021 تمثّلت في:

- حصر النفوذ الفرنسي: بمغادرة القوات الفرنسية (برخان) والأممية (مينوسما) كأهم تحوّل جيوسياسي في تاريخ مالي منذ استقلالها سنة 1960. وفي المقابل سعت إلى إبرام شراكات استراتيجيّة مع شركاء دوليّة جدد.

-التحالف مع روسيا: والتنوّع من الشركاء الدّوليين: أصبحت مالي حليفاً عسكرياً رئيسياً لروسيا منذ القطيعة مع فرنسا، مما جعلها مركزاً للمواجهة الروسية-الغربية في المنطقة. يضاف إلى ذلك إبرامها بعض الشراكات الاقتصادية والأمنيّة مع شركاء تقليديين كالصين وجدد كتركيا والهند. مع الإشارة إلى أنّ العلاقة الماليّة الروسية ليست وليدة اللّحظة بل تعود إلى بداية الستينيات، مرحلة الاستقلال وبناء الدّولة الوطنية في مالي بزعامة الرّئيس موديبو كيتا (1915) (Modibo KEÏTA-1977)

- تكوين كونفدرالية تحالف دول الساحل (AES): انسحبت مالي من منظمة «إيكواس» المجموعة الاقتصاديّة لغرب إفريقيا وشكّلت مع النيجر وبوركينا فاسو في 6 يوليو/ تموز 2024 كونفدرالية دفاعية وسياسية واقتصاديّة، مما أدى إلى إعادة رسم خريطة التحالفات الإقليمية في المنطقة بعيداً عن النفوذ الغربي.

1--3 الأهمية الجيواستراتيجية (عمق أمني استراتيجي ومصدر للطاقة)

- ساحة حرب ضدّ الكيانات الوظيفيّة: يعتبر شمال مالي مركزاً لنشاط الجماعات الإرهابية المنخرطة في تنفيذ أجندات غربية في المنطقة مثل جماعة «نصرة الإسلام والمسلمين» (JNIM) أحد فروع تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي والمرتبطة إيديولوجيا واستراتيجيّا بتنظيم القاعدة العالميّ، وكذلك جماعة تنظيم «الدّولة الإسلاميّة» (داعش)، وذلك على شاكلة النموذج السوريّ أو العراقيّ؛ مما حوّلت مالي –منذ سنين-إلى مختبر للعمليات العسكرية المشتركة بين الجيش المالي وحلفائه الجدد ضدّ هذه الكيانات المستحدثة.

- صراع الموارد والحدود: تمثل مناطق الشمال (كيدال، غاو، تمبكتو) ساحة نزاع بين الحكومة المركزية، والحركات الانفصالية، والجماعات الإرهابيّة التي توظّفها وتحرّكها قوى إقليميّة ودوليّة لبسط النفود والسيطرة على الموارد وبناء الاقتصاد الموازي خارج مراقبة وسيطرة الدّولة المركزيّة.

- الطرق غير الشرعية: موقع مالي الجغرافي الممتد في الصحراء يجعلها ممراً حيوياً لشبكات التهريب والهجرة غير الشرعية نحو أوروبا.

- التنافس الدولي (حرب بالوكالة): مع تورّط قوى إقليمية في الصراع، ودخول أوكرانيا المدعمة من قبل قوى غربية استعماريّة كطرف غير مباشر لدعم التحالف الإرهابي-الانفصالي ضدّ حلفاء روسيا في مالي، تحولت مالي إلى ساحة لتصفية الحسابات الدولية وتدافع القوى.

1--4التنافس الإقليمي الجديد

في هذا السياق تبرز الجزائر كأحد أبرز الفاعلين الإقليميين التقليديين في أزمة مالي منذ بدايتها، بحكم الحدود الجغرافية المشتركة التي تمتد لأكثر من 1300 كيلومتر، والتشابك الأمني والقبلي بين شمال مالي وجنوب الجزائر ( ). لكن اتفاق الجزائر للسلام والمصالحة الوطنية في مالي عام 2015، الذي هدف حينها إلى إعادة دمج الجماعات المسلّحة في الحياة الوطنية وتثبيت الاستقرار في المناطق الشمالية من البلاد، لم يحقّق السلام المرجوّ للأسباب التاليّة:

- أنّ الاتّفاق كان في جوهره مخالفا للدّستور المالي ومسّا لمبدإ السيادة الذي كان أقره البند 25 من دستور (25-02-1992) أنّ مالي جمهورية مستقلة ذات سيادة غير قابلة للتجزئة ...وأن أي قرار بشأن السيادة والوحدة الترابيّة ينبغي أن يخضع لسلطة الشعب ومن ثمّ الاستفتاء الشعبي. وهو مالم يتمّ –في نظر الكثيرين من المحلّلين-بخصوص الاتّفاق المشار إليه، الأمر الذي جعل بعض القوى السياسية والمدنية في مالي ترفضه كليّا او جزئيّا باعتباره متناقضا مع الدستور المرجع القانوني الأعلى في البلاد.

- أنّ الاتّفاق الذي أبرمته الدّولة – وهي في حالة ضعف سياسي ووهن عسكري- مع جماعات مسلّحة وحركات انفصالية، لم تحظ بتأييد شعبي ولا انخراط للقوى الفاعلة في الدّولة. الأمر الذي جعل تطبيقه صعبا ومعقّدا.

- أنّ المفاهيم الأساسية التي أكّد عليها الاتّفاق (السيادة والوحدة، اللامركزية، الأمن ونزع السلاح) تقرّ بنوع من الكونفدرالية والاستقلال الذاتي لبعض الحركات في الشمال، كتمهيد لتقسيم مالي في سياق المشروع الاستعماري التقليدي المستند إلى سياسة دعم الأقليات ومنظومة الأنثروبولوجيا الاستعماريّة (كما تمّ في العراق، وواقع الآن في سوريا ومستقبلا في أماكن أخرى).

وكانت النتيجة الحتمية أن أعلنت حكومة المرحلة الانتقالية في مالي – التي تبنّت سياسة خارجيّة مغايرة لسابقتها- عن انسحابها من الاتّفاق رسميّا في 26 جانفي / يناير 2024 مبرراً ذلك بـ «تغير موقف» الحركات الانفصالية، وعدم قدرة الوساطة الجزائرية على فرض تنفيذ البنود، واعتبارها جزء من المشكل وليس من الحلّ. وهو ما اعتبرته الجزائر بادرة «خطيرة» على استقرار المنطقة، وانحرافا لمسار التسوية السياسية في مالي، ومؤكدة أن الاتفاق كان يظل «الإطار الأنسب» لحل أزمة مالي. لتتحوّل الجزائر في عين القيادة الحاليّة في مالي من شريكًة موثوقًة إلى جار «مزعج» يريد تحقيق مطامعه الجيواستراتيجيّة على حساب جواره. وهو ما رفضته الجزائر مرار وتكرارا.

وفي المقابل على المستوى الاستراتيجي، ترى الجزائر في الوجود الروسي في مالي سلاح ذو حدين: فمن جهة، يتقاطع مع رؤيتها الرافضة للهيمنة الفرنسية التقليدية في الساحل، ويمنحها هامشًا أكبر في بناء تحالفات غير خاضعة لمنطق النفوذ الغربي. ومن جهة أخرى، يُثير لديها مخاوف أمنية متزايدة من أن يؤدي الوجود العسكري الروسي إلى إضعاف دورها الإقليمي كوسيط أساسي في قضايا الساحل، خصوصًا في ظل بروز محور جديد مالي – بوركينا فاسو – النيجر لا يولي اهتمامًا كبيرًا بالاتفاقيات السابقة التي رعتها الجزائر (التوثيق).

1--5 التنافس الجيوسياسي الجديد

شهدت السنوات الأخيرة تصاعدًا لافتًا في الدور الروسي داخل منطقة الساحل الإفريقي، وخاصة في جمهورية مالي، التي أصبحت منذ عام 2021 نموذجًا واضحًا للتنافس الجيوسياسي الجديد بين الغرب وقوى معادية له. فمع تدهور العلاقات بين باريس وباماكو سنة 2021، برزت موسكو بصفتها البديل الاستراتيجي الذي لجأت إليه الحكومة المالية لتعويض الفراغ الأمني والدبلوماسي المحتمل وغياب البدائل الدولية الفاعلة في سياق تصاعد المشاعر المعادية للغرب داخل الشارع المالي وتنامي الخطاب السيادي المناهض للاستعمار وذيوله.

يتجسّد الحضور الروسي في مالي من خلال مستويين متكاملين: العسكري حضورا وتدريبا وتسليحا في إطار اتّفاقيّات رسميّة بين مالي ودولة روسيا الفيدرالية لتقديم الدعم في التدريب والمشورة وتنفيذ عمليات ميدانية ضد الجماعات الإرهابية. أما المستوى الثاني فهو البعد السياسي والدبلوماسي، الذي تقوم موسكو من خلاله بتعزيز تحالفاتها مع دول الساحل ضمن خطاب يرتكز على مفاهيم السيادة الوطنية ومناهضة الهيمنة الغربية، وهو خطاب لاقى صدى واسعًا في العواصم الإفريقية التي عانت من الإرث الاستعماري الفرنسي( ). وقد ساعدت موسكو على ذلك غياب ماض استعماري لروسيا في إفريقيا عموما وغربها خصوصا، علاوة على الصورة الناصعة التي تحظى بها روسيا في الذاكرة الجماعيّة الإفريقيّة كشريك فاعل في دعم حركات التحرّر الإفريقيّة في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي.

هذا التحوّل في مالي، لا يمكن قراءته بمعزل -في نعن التحوّلات الأوسع في الجغرافيا السياسية للقارة الإفريقية. فروسيا تسعى منذ عام 2014، إلى كسر الطوق الغربي المفروض عليها، وإعادة بناء شبكة نفوذ دولية في منطقة الساحل وفي إفريقيا تستند إلى أدوات القوّة الصلبة (العسكرية) والناعمة (الطاقة، السلاح، الأمن، والإعلام).

وقد استفادت موسكو من تراجع الحضور الغربي، وخاصة الفرنسي، لتقدم نفسها كقوة منقذة تحترم سيادة الدول الإفريقية وتدعم خياراتها الوطنية بعيدًا عن الشروط السياسية. ومن خلال هذا الخطاب، نجحت في ترسيخ حضورها ليس فقط في مالي، بل أيضًا في النيجر وبوركينا فاسو، ما أدى إلى تشكل محور جديد يُعرف إعلاميًا بمحور باماكو-واغادوغو-نيامي، الذي يقوم على التنسيق الأمني والسياسي بين أنظمة عسكرية تتقارب رؤاها تجاه الغرب وتنفتح أكثر على روسيا ( ).

من منظور استراتيجي أوسع، يُمكن القول إنّ الوجود الروسي المتنامي - في مالي وفي منطقة السّاحل عموما ينخرط ضمن الروية الروسية الأوراسيّة وبما يتوافق مع نظرتها لعالم متعدد الأقطاب، حيث تتراجع الهيمنة الغربية لصالح قوى صاعدة تملك أدواتها الخاصة في التأثير. وبناءً على ذلك، فإنّ الدور الروسي في مالي يتجاوز مجرد الدعم العسكري، ليصبح عنصرًا محوريًا في إعادة تعريف هوية الفاعلين الدوليين في القارة الإفريقية، ويكشف عن ملامح تحول جيوسياسي شامل، تتراجع فيه مكانة فرنسا والغرب أمام صعود قوى أخرى كفاعلين جدد في هندسة الأمن والسيادة في القارة السمراء.

2-كونفدرالية تحالف دول السّاحل ومشروعها «السيادي».

يمتدّ تراجع النفود الغربي التّقليدي في غرب إفريقيا -وفي مالي بالتّحديد-إلى ما هو أبعد من حدود الدولة الفرنسية ذاتها، المستعمِرة القديمة، ليصل إلى منظومة التحالفات الإقليمية التي نشأت في منطقة الساحل الإفريقي خلال السنوات الأخيرة، وعلى رأسها التحالف الثلاثي السياسي والاقتصادي والأمني بين مالي والنيجر وبوركينا فاسو، الذي تأسّس رسميًا في عام 2023 كبديل عن مظلة التّحالفات السياسيّة والأمنيّة التي كانت ترعاها فرنسا والاتحاد الأوروبي. فقد أعاد هذا التحالف ترتيب أولويات الدول الثلاثة على أساس تعزيز الاستقلال الأمني والسيادة الوطنية، مع الانفتاح المتزايد على الشراكات متعدّد الأقطاب مع روسيا والصين وتركيا وإيران والهند، التي باتت تقدّم نفسها كفاعلين قادرين على تقديم بدائل اقتصاديّة وأمنية عسكريّة ومعلوماتية دون اشتراطات سياسية غربية.

يمثّل هذا التحالف اليوم نقطة تعيّرا في ديناميكيات الأمن الإقليمي، إذ يعكس –في نظر جلّ الملاحظين- تحوّلا استراتيجيًا من الارتباط بالمراكز الغربية إلى الاعتماد على قدرات ذاتية في إطار تحالفات إقليمية ودوليّة في ظلّ ما تواجهه فرنسا والغرب عموما من أزمة ثقة متصاعدة مع الأنظمة الجديدة في المنطقة التي تتبنّى خطابًا مناهضًا للغرب ومتعاطفًا مع دول الجنوب العالمي (فنزويلا، وكوبا، وإيران، وفلسطين، .....).

تستند سياسة اتّحاد دول الساحل (بوركينا فاسو، مالي، النيجر) إلى ثلاثة محاور أساسية: الدفاع والأمن، والدبلوماسية، والتنمية. واستناد إلى ميثاقها التّأسيسي يهدف التحالف إلى تعزيز سيادة الدول، وتوحيد القدرات العسكرية لمكافحة الإرهاب، ودعم التكامل الاقتصادي والسياسي المستقلّ.

أ-الدفاع والأمن (الركيزة الأساسية):

- الدفاع الجماعي وتجميع القدرات: إنشاء قوة موحّدة قوامها 15,000 جندي لمكافحة الإرهاب، وتحقيق الأمن في حدودها المشتركة أمام أي تهديد داخلي أو خارجي، باعتبار أنّ أي هجوم على أي عضو يُعد هجومًا على التحالف. كما ينصّ الميثاق التأسيسي على تنسيق التدابير الأمنية وتبادل الاستخبارات استجابةً للتهديدات.

ب- الدبلوماسية والسيادة:

التأكيد على توحيد النهجوالرّؤية والخيارات على الساحة الدولية، والسعي إلى السيادة الكاملة، مع الرغبة في التحرّر من التأثيرات الخارجية وضغوطات المنظّمات الإقليميّة – على غرار المجموعة الاقتصاديّة لغرب إفريقيا- إيكواس، وتعزيز ثقافة وهوية مشتركة.

ج- التنمية والاقتصاد:

أي تحقيق التكامل الاقتصادي: عبر تطوير سياسات مشتركة، لا سيما فيما يتعلق بحرية تنقل السلع والأفراد، والسيادة الاقتصادية من خلال تنمية الموارد الذاتية لتعزيز القدرة الوطنية على الصمود.

وتنبني هذه الركائز الثلاثة على ثلاثة مبادئ كبرى تتمثّل في:

أ- مبدأ احترام سيادة الكونفدراليّة.

ب- مبدأ احترام الخيارات الاستراتيجية وخيارات الشركاء التي تتخذها الكونفدراليّة.

ج- مبدأ الدفاع عن مصالح الكونفدراليّة في القرارات المتّخذة.

ومن تداعيات هذا التحوّل الجيوستراتيجي في المنطقة على المستوى الإقليمي، تراجع دور بعض اللاعبين الإقليميين الذين كانوا إلى هذه اللّحظة يتمتّعون بنوع من النفوذ السياسي والدبلوماسي والاقتصادي في الساحل الإفريقي (تهميش الدّور الجزائري مثلا في إدارة ملفّات المنطقة). ولئن بدا إنشاء الكونفدرالية فرصة لبعض هذه القوى الإقليمية لبناء تحالفات ضدّ النفوذ الغربي والفرنسي في المنطقة، فإنّ ما نشاهده اليوم هو العكس بحكم الموقف غير المرضي الذي اتّخذته بعض الدّول المجاورة تجاه سياسات الكونفدرالية؛ واعتبرتها «تهديدا» استراتيجيًا لمصالحها الاستراتيجيّة الجيواستراتيجيّة.

أما على الصعيد الدّولي، ففرنسا التي طالما كانت طرفًا مهيمنًا في صياغة القرارات الإقليمية تواجه الآن هامش تأثير محدود في المنطقة وفي إفريقيا عموما، في ظلّ صعود خطاب إفريقي يطالب بإعادة تعريف العلاقة على أساس الندية، ورفض أي وصاية سياسية أو أمنية غربية. وهو ما سيؤدي إلى تراجع النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي الفرنسي والغربي عموما، وصعوبة وصول الشركات الغربيّة التابعة لدول الاستعماريّة القدمية لإفريقيا إلى الموارد الطبيعية في الساحل، خاصة في مجالات الطاقة والتعدين والاتصالات. في ظلّ توجّه دول مثل مالي والنيجر إلى شراكات بديلة مع روسيا والصين وتركيا والهند.

ثانيًا: هجوم 25 أفريل/ نيسان 2026: الأهداف والفاعلون

استيقظ الشعب المالي عموما وفي مدن كاتي وموبتي وغاوو وكيدال خصوصا على وقع الطلقات الناريّة والانفجارات، ليتبيّن إثر ذلك أنّ الأمر هجوم إرهابيّ مكثّف شارك فيها أطراف داخليّة وخارجيّة، بلغ عدد المرتزقة المشاركين فيها اثني عشر ألف مسلّح. وقد جاءت هذه العمليّة الإرهابيّة بعد أيام قليلة من سحب مالي

اعترافها بدولة الصحراء الغربيّة، من جهة، وحضور عمر ماركو - السياسيّ المثير للجدل والفارّ من العدالة – إلى الحدود الماليّة الموريتانيّة قادما من كوت ديفوار، من جهة أخرى. والتقى الأخير - عبر وسائط وتغطية إعلاميّة فرنسيّة - بجماعات إرهابيّة تابعة لإياد أغ غالي المقيم بالجزائر.

رغم نجاح مالي وحلفائها في ردّ الهجوم والقضاء على نحو 2500 مهاجم خلال يومين، فإنه خسر وزير الدّفاع، ساديو كمارا، مهندس تحديث الجيش المالي. وهنا يطرح السؤال حول الأهداف الحقيقية للهجوم ومن يقف وراءه.

-1 الأهداف:

يتبيّن من خلال ربط الأحداث المتسارعة في الآونة الأخيرة، والخطابين الإعلاميّ والرسميّ أن أهداف الهجوم سياسيّة وجيوسياسيّة وجيوستراتيجيّة. وهو ما يجعل تحليل الوضع أمرا معقّدا، يحتاج معرفة جغرافية الساحل وتاريخه السياسيّ.

1--1 الهدف السياسي: إثارة الفوضى وإسقاط النظام

تبعا لاحتجاجات سياسيّة عقب انتخابات رئاسيّة وتشريعيّة في 2019، كانت مالي قد دخلت في أزمة سياسيّة وأمنيّة خانقة، فتدخّل الجيش لإنقاذ الوضع بمباركة جزء كبير من الشعب، دعم التدخّل العسكريّ وما زال يدعم. واقتضى الأمر تعليق الأحزاب السياسيّة ثمّ حلّها، بعد الاستفتاء على دستور جديد، أخذ بعين الاعتبار اهتمامات الشعب ومخاوفها. وشرع الحكام الجدد في تحديث مؤسّسات الدّولة ومحاربة الفساد... فتمّ القبض على عديد المسؤولين السابقين وفرّ آخرون إلى خارج البلاد، في انتظار تغيير النظام للعودة.

ولمّا ملّوا الانتظار سعوا إلى تشكيل حكومة المنفى، ولمّا فشلوا في ذلك أقاموا تحالفا بزعامة محمود ديكو بالجزائر العاصمة. انضمّ إلى تحالف دبكو متمرّدون طوارق وإرهابيون وسياسيون بمن فيهم عمر ماركو، الذّي التقى بإرهابيّي إياد أغ غالي، بصحراء موريتانيا، حيث يتدرّبون على حمل السلاح وتقنيات الحرب الحديثة على يد أوكرانيّين.

كان الهجوم محاولة فاشلة لانقلاب الحكم ببماكو عبر منهج الفوضى الخلّاق، للسماح بعودة حلفاء ديكو سواء المقيمين بالجزائر أو موريتانيا أو فرنسا أو كوت ديفوار... لو تحقّق هذا الهدف لكان إنجازا يتجاوز مستوى السياسة الوطنيّة إلى إطار جيوسياسيّ.

1--2 الهدف الجيوسياسي إفشال مشروع كونفدرالية دول السّاحل:

إنّ تحالف دول الساحل الذّي أصبح كونفدراليًا يحول دون عودة فرنسا إلى الساحل، لتأسيسه على مبدأ السيادة ورفض السياسة الفرنسية فالغربيّة في المنطقة. وتعتبر دول الاكواس هذه الكونفدرالية تهديدا وجوديًا لها، وخاصّة كوت ديفوار وبنين، منذ تخلّيها عن موانئهما بسبب موقفهما المتشدّد تجاهها. وكذلك تنظر الجزائر وحليفتها موريتانيا إلى الكونفدرالية كقوّة ناشئة يصعب إخضاعها، مادامت نجحت في طرد فرنسا ومعها دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتّحدة الأمريكيّة. وعليه فإنّ هجوم 25 أفريل 2026 كان فرصة ذهبيّة لهذه الأطراف

لإفشال الكونفدراليّة وحلّها لاحقا. الأمر الذّي يمكن أن يؤدّي إلى تحقيق هدف استراتيجي في معادلة القوى العالميّة،

1--3 الهدف الجيواستراتيجي: بسط السيطرة الغربية في المنطقة وحصر الوجود الرّوسي

إنّ توجّه مالي إلى روسيا والصّين لإعادة بناء جيشها وتحقيق سيادتها قد تمّ بعد تخاذل الدول الغربية ورفضها تزويدها بالسلاح ضدّ الإرهاب الدولي، الذي أخذ يعشّش في أطراف أراضيها. وقد مكّن ذلك روسيا من الدّخول إلى الساحل مع ترحيب المواطنين. وبذا تمّ تعويض الغرب بالشّرق، واستطاع مالي بفضل ذلك أن تسترجع أراضيها من الإرهابيّين وبقاعا كانت موريتانيا قد اقتطعتها بينما كانت مالي منشغلة بالحرب على الإرهاب.

إنّ وجود روسيا – القوّة العظمى – بمالي يمنحها حماية إلى حدّ ما ضدّ قوى أخرى. وبقاء الروس هناك يتوقّف على استمراريّة النظام وبدونه قد يفقد موسكو شرعيّة تواجدها. ولذا كان الهجوم يستهدف إلى إسقاط النظام ومعه وجود الروس.

اعتمادا على هذا كلّه، يمكن القول إنّ من يقف وراء الهجوم الإرهابيّ بمالي ليس فردا وإنّما هو شبكة من التنظيمات والدّول، لكلّ منها مصالح. لنسمّيها فاعلين. فمن هم هؤلاء الفاعلون؟

-2 الفاعلون:

2--1 الدّوليون: فرنسا والاتحاد الأوروبي وأوكرانيا

2--2الإقليميون: الجزائر وموريتانيا والاكواس

2--3 المحليون: تحالف محمود ديكو، تنظيمات إياد أغ غالي، بعض الأحزاب السياسية المنحلّة.

خلاصة

تحولت مالي من «دولة حدودية» إلى «فاعل جيوسياسي مركزي»، حيث أن انهيارها أو استقرارها يحدد مستقبل الأمن في منطقة الساحل والصحراء بأكملها، وهي حالياً مختبر لتحولات النفوذ الدولي من الغرب إلى الشرق (روسيا)

إن المشهد المالي الراهن يمكن وصفه بأنه مزيج من الملفّات المتداخلة، تتقاطع فيها المصالح المحلية مع الحسابات الدولية. فمالي لم تعد مجرد ساحة داخلية للأزمة، بل تحولت إلى مسرح رئيسي لإعادة تشكيل النفوذ في غرب إفريقيا، حيث يتراجع الدور الفرنسي لصالح انخراط نفوذ قويّ دولية جديدة متنامي، في وقت تتزايد فيه أهمية الساحل كمجال تنافسي ضمن خريطة الصراع الدولي الجديد بين القوى الكبرى.

إن مجمل هذه التطورات تنبئ بتشكل محور جديد في غرب إفريقيا، يعيد رسم موازين القوى في المنطقة ويُضعف الدور الغربي التقليدي، خصوصًا الفرنسي، لصالح حضور متعدد الأبعاد يدمج بين القوة العسكرية والدعم السياسي والخطاب المعادي للاستعمار. غير أن نجاح هذا المحور سيظل مرهونًا بمدى قدرته على توفير الأمن والاستقرار الفعلي، وليس فقط ملء الفراغ السياسي، وهو ما سيحدد مستقبل التحالفات الجديدة في منطقة الساحل خلال العقد القادم.

إنّ مستقبل الحضور الفرنسي والغربي عموما في منطقة السّاحل سيظل رهينًا بمدى قدرة العواصم الغربيّة على إعادة تعريف مقاربتها تجاه هذه المنطقة، والانتقال من منطق الهيمنة إلى منطق الشراكة المتكافئة، في وقت تتغير فيه خرائط التحالفات والمصالح بصفة متسارعة. وفي هذا السياق، فإن الحالة المالية تمثل نقطة اختبار مركزية لمدى قدرة هذه العواصم على التكيف مع البيئة الجيوسياسية الجديدة، ولمدى استعدادها للاعتراف بتحولات القوة داخل إفريقيا، حيث باتت القارة ساحة تنافس مفتوح بين قوى تبحث عن موطئ قدم في النظام الدولي المتعدد الأقطاب.

وعن مستقبل تجربة الكونفدرالية الثلاثيّة (بوركينافاسو، مالي، النيجر) والمهام الذي تقتضيه المرحلة نبدي التالي:

- العمل على تحقيق سيادة كاملة ومتكاملة وإن بصفة متدرّجة، لأنّ السيادة منظومة متعدّدة الأبعاد: اقتصاديّة وسياسيّة ونقديّة وثقافيّة ورقميّة خاصّة بما يقتضي حماية البيانات الرّسميّة، وتحسين الفضاء السيبراني.

- العمل على التوعية وتوفير حاضنة شعبيّة لتقبّل الخيارات الاستراتيجيّة ليس فقط داخل الفضاء الكونفدرالي بل في البلدان المجاورة لجغرافيتها من أجل تطوير الوعي السيادي لدى شعوب المنطقة.

- الاستفادة أقصى ما يمكن من النظام الجيوبوليتيكي الناشء، والسعي إلى الانخراط أكثر في تحالفات عالميّة قادرة على توفير حماية جيوسياسية لخيارات الكونفدرالية وتوجّهاتها، لأنّ الاستعمار الجديد لا يهزم إلا في سياق التحالف مع قوى عالميّة صاعدة تريد تغيير النظام الدّولي القائم.

- مواجهة السردية الكولونياليّة على صعيد الوعي السياسي والفكري والإعلامـي (المركزية الغربيّة، عدم قدرة النخب الفكرية السياسيّة على بناء أنموذج سياسي واقتصادي وفكري خارج البراديغم الغربـي والفرنسي بالتّحديد).

- مواجهة الأنثروبولوجيّة الاستعماريّة وانعكاساتها السياسية والمجتمعيّة: والتي تسعى إلى تضخيم الفروقات بين المكوّنات، وإحداث انفصال هيكلي من أجل استخدام ورقة الأقلّيات وتحويلها إلى سلاح للتقسيم والتفتيت لصالح الأجندة الاستعمارية والكولونيالية، وفي سياق الحرب بالوكالة والتماهي مع الكيانات الوظيفيّة.

حوار الهدف الثقافي
مع المؤرخ الفنان
أحمد المفتي

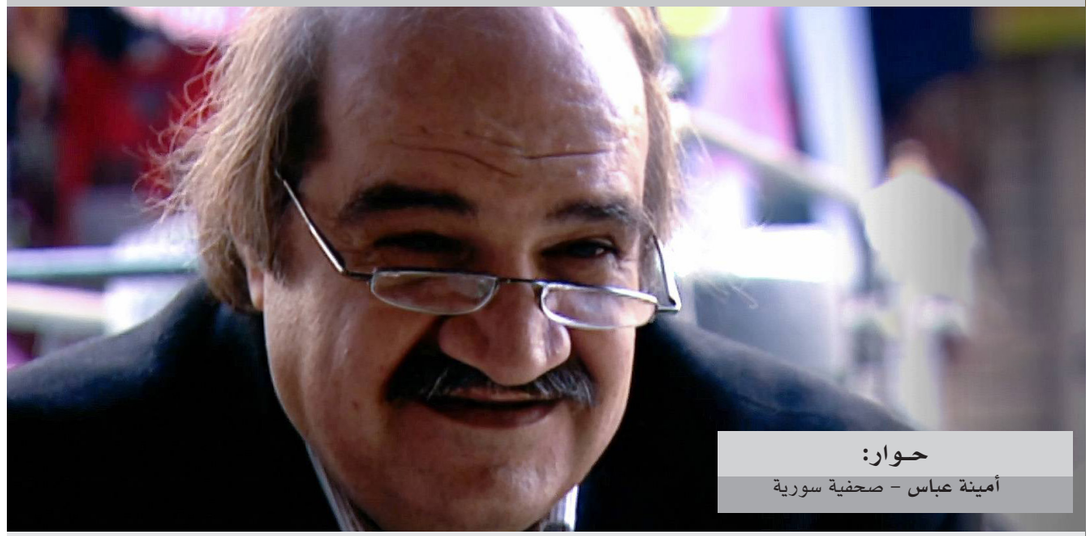

حـوار:
أمينة عباس - صحفية سورية

أستاذ الحضارات والأساطير والخط العربي وتاريخه في جامعة دمشق- سابقاً- ورائد من رواد فن الخط في سورية، تعلم فن الخط العربي على بدوي الديراني أحد عمالقة الخط في بلاد الشام، كما التقى بحامد الأمدي آخر عمالقة الخط العظام في إسطنبول، وهو الفنان العربي الوحيد الحاضر بقوة في متحفين هامين في العالم: متحف الفاتيكان عبر لوحة خطية «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» التي كتبها بحبر الورد، ومتحف سوكا الياباني عبر لوحته الخطية «إن مع العسر يسراً»، ويحسب له كذلك إنجازه لمجموعة برامج وثائقية هامة جداً، تحدث في إحداها عن رحلة القرآن الكريم وذلك بعد أن اطلع على المصاحف المخطوطة في جميع أنحاء العالم من خلال زياراته لمعظم متاحف العالم، فقدم من خلاله دراسة ميدانية اعتمد فيها على المخطوطات الأصلية وليس على الكتب، وقد عرض هذا البرنامج في أكثر من ٤٥ محطة فضائية، وقد استغربت الصحافة السورية والعربية أن يقوم بهذا العمل وحده الذي بذل فيه جهداً يحتاج إلى مؤسسات، أما هو فقد أكد أن إنجاز مثل هذا البرنامج احتاج إلى ٣٠ سنة من المتابعة والسفر والاطلاع على المخطوطات، ولا غرابة في ذلك لأنه يعمل في مجال البحث وليس في ميدان النقد التاريخي، وبالتالي فهو ينظر إلى التاريخ بعين الباحث والمدقق والناقد. إنه الفنان والمؤرخ أحمد المفتي الذي التقته «الهدف» وأجرت معه الحوار التالي:

■ يستغرب عدد كبير من الناس وجود شكل سداسي في وسط مئذنة عيسى في الجامع الأموي الكبير في دمشق، وقد ارتبط هذا الشكل ارتباطاً وثيقاً بالنجمة اليهودية. حبذا لو توضح لنا هذا اللبس؟

معظم الناس يظنون أن الشكل السداسي هو «نجمة داوود» رمز دولة الكيان الصهيوني الغاصب وهذا اعتقاد خاطئ، وما يجب معرفته أن النجمة السداسية كانت موجودة قبل داوود-نجمة عشتار- وقد استعملها البابليون ومعظم الحضارات القديمة في أوغاريت 1400 ق.م وعند الكنعانيين والفينقيين والمصريين، واستخدم في الفترة الإسلامية بشكل كبير، وهو عبارة عن مثلث مع مثلث مقلوب، والمثلثان يرمزان للروح والنفس والجسد، وكتاب الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني يشرح لنا ماهية الشكل السداسي الذي يرمز من خلال المثلثين لقضية الخلق، حيث النفس تحتاج لنفس، والجسد يحتاج لجسد، والروح تحتاج لروح، وقد استخدم هذان المثلثان المتشابكان في الفترة الأيوبية والزنكية في البناء بشكل عام، كما استخدمه المسلمون كطلسم لطرد الحشرات والأفاعي من البناء، لذلك أكد ابن بطوطة حين زار الجامع الأموي أنه لم يشاهد أية حشرة فيه. إذاً، لقد سرق اليهود هذا الشعار لأنهم اعتبروا أن كفة المقلاع الداودية التي قتل فيها النمرود ذات شكل سداسي، وبالعموم لا غريب في سرقة اليهود لهذا الشكل وهم الذين يحاولون سرقة التراث الإنساني كله.

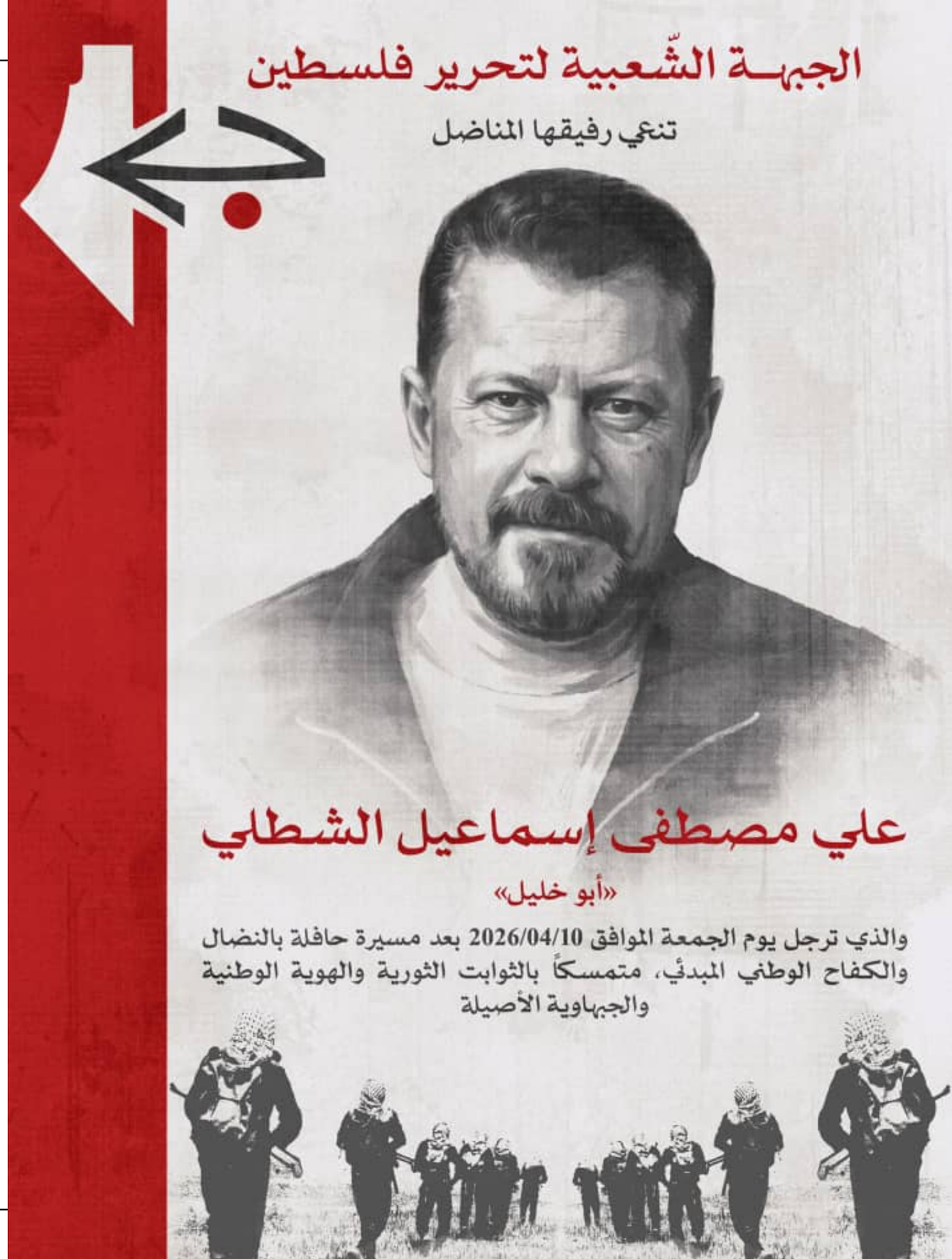

■ يتم الحديث كثيراً عن قبة الصخرة كأثر تاريخي يحمل قيماً فنية تشكيلية فريدة من نوعها، فما خصوصية هذا الأثر؟

تنبع أهمية قبة الصخرة التاريخية والفنية من كونها تحتضن أقدم آثار الكتابات العربية وما فيها من خطوط، حيث تعد الأقدم التي ما زالت موجودة حتى الآن، وهي أثر تاريخي يحمل قيماً فنية تشكيلية خطية رائعة تمتد من أيام الدولة الأموية وحتى نهاية الدولة العثمانية، حيث لم يأت حاكم أو دولة إلا ووضعت لمساتها الفنية على هذه القبة. من هنا تعتبر قبة الصخرة سجلاً تاريخياً للتعرف على أهم الكتابات والخطوط العربية عبر التاريخ، حيث اجتمع فيها الخط البديع الشامي القديم مع خط الثلث والكوفي وخطوط أخرى متنوعة، ولذلك يحمل هذا المكان قيمة تاريخية وحضارية تعد من أروع الحضارات الموجودة على الكرة الأرضية.

■ برأيك ما سبب التخريب الذي تتعرض له الكثير من الأماكن الأثرية في فلسطين ومحاولة السطو على تراثها؟

ما يحدث مقصود بالطبع، الغاية منه تصفية كل ما له علاقة بالذاكرة الإنسانية ومحو التاريخ الموغل في القدم لهذه المنطقة التي هي المنطقة الأولى التي سكن فيها الإنسان، وهذا يعني أن ما يحدث من تخريب وسطو على التراث في فلسطين والمنطقة العربية هو لجعل هذه المنطقة بلا ذاكرة ولا تاريخ، لتشبه بذلك من لا تاريخ له.

■ ما الذي دعا الرسام الشهير بيكاسو إلى القول إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في الرسم وجدت الخط العربي قد سبقني إليها منذ أمد بعيد؟

لأن الخط العربي هو فن تشكيلي تتألف فيه الحروف بنسبها وبأطوالها ونسبة النقطة بين حرف وحرف، وهذه القيم الجمالية التي يتمتع بها الخط العربي أشار إليها في الماضي إخوان الصفا من خلال رسائلهما، فالفن العربي بالذات ليس فناً واقعياً، بل هو من أرقى الفنون التجريدية والتشكيلية، وهذا ما ينطبق على الخط العربي، والمفارقة أن كل المدارس الفنية العالمية (انطباعية، كلاسيكية...) كانت دوماً تبحث عن التجريد الذي يتمتع به الفن العربي بشكل عام، والخط بشكل خاص.

■ وهل صحيح أن فننا الأسر في الخط والزخرفة جعل ليوناردو دافنشي يبيمم وجهه شطر السلطان قايتباي ليعمل في خدمته من عام ١٤٨٢ إلى ١٤٨٦، وأن غيرة مايكل أنجلو كادت تدفعه للحاق به؟

نعم، هذا صحيح، ودافنشي لم يُعجب بالخط العربي فقط بل بالفن الإسلامي بشكل عام، ومن المعروف اليوم لدى عدد كبير من المهتمين أن اللوغو (الشعار) بجامعة دافنشي في فلورنسا عبارة عن زخرفة عربية، وأبين هنا أننا عندما نتحدث عن الخط العربي لا نقصد به الحرف فقط، وإنما الخط الممتد في الزخرفة والحرف معاً، لذلك يَمَّمَ دافنشي وجهه شطر السلطان قايت باي ليعمل في خدمته ليطلع على التراث الإنساني الراقي جداً الذي يستند في أساسه إلى قضايا فلسفية عميقة، فالمثلث والمربع والخماسي والسداسي ليست مجرد أشكال هندسية، لأن المثلث مثلاً كان يرمز للإله، والمربع للأرض، وبالتالي أستطيع أن أقول إن المسلمين في كل الأشكال الهندسية التي استخدموها في زخارفهم اعتمدوا فيها على عدة قضايا في المربع البراغماتي وعملية الشكل لفيثاغورس، ليُجمعوا فيها بين ما هو هندسي وما هو فلسفي.

■ تعلمت الخط على يد بدوي الديراني خطاط بلاد الشام والعمالقة الذين تميزوا بخط التعليق، فماذا تعلمت منه؟

يُعد الديراني (١٨٩٤-١٩٦٧) صاحب المدرسة الشامية في الخط التي تأثر بها الكثيرون من خلال القواعد التي وضعها، وهو الذي أخذ أجمل الحروف من المدرسة التركية والفارسية ليطبع بعد ذلك خط التعليق بطابع شامي دمشقي يختلف عن المدرستين السابقتين في الكتابة، ولا سيما في امتداد بعض الحروف كحرف الواو والنون والكاس الموجود في الغين، وبالتالي استفدت كثيراً وتعلمت منه الكثير في هذا المجال.

> ما يحدث من تخريب وسطو على التراث في فلسطين والمنطقة العربية هو لجعل هذه المنطقة بلا ذاكرة ولا تاريخ

■ لماذا وصف خط التعليق بأنه عروس الخطوط؟ وهل هو من الخطوط السهلة؟

وُصف بأنه عروس الخطوط لأن قواعده تختلف عن القواعد الصارمة الموجودة في خط الثلث والنسخ، وبالتالي هو من الخطوط السهل الممتنع، وإن كنت مؤمناً أنه لا يوجد خط سهل وآخر صعب، وإنما هناك من يتقن مقاييس ومقادير كل خط من الخطوط وهناك من لا يتقن ذلك، وهذا هو الفارق بين خطاط ناجح وآخر ليس كذلك. ومن المؤسف أننا اليوم نجد في الجيل الحالي من يصر على التقيد بالمدرسة الفارسية أو التركية في كتابة هذا الخط، رغم الخلل الموجود على صعيد النسبة والتناسب في حروف هذه المدرسة، وقد قام الديراني بتصحيح هذا الخلل عبر مدرسته الدمشقية إلى جانب ممدوح الشريف، وهما قد درسا الخط على يد الخطاط يوسف رسا الذي أرسله السلطان عبد الحميد من إسطنبول إلى دمشق لكتابة ألواح الجامع الأموي بعد حريقه، وقد تعلما على يده خطي الثلث والنسخ. وما يُسجل للشريف كأحد أصحاب المدرسة الدمشقية في الخط هو معرفته للخطوط التي يقال عنها الخطوط الكوفية المتطورة جداً، ولم يكن رسا على معرفة بها، وقد أخذها من الأبنية الأثرية الموجودة في دمشق بعد أن طور فيها ليكون لها شكل خاص عُرف بالخط الكوفي. ويجب أن أشير إلى أن هذين الاسمين قد حاولا أن يأتيا بما هو جديد بعد فترة طويلة من السبات الفني الذي ساد الفترة العثمانية.

■ يعتقد بعضهم أيضاً أن خط الثلث من الخطوط الصعبة، في الوقت الذي خالفت فيه هذا الرأي، لماذا؟

خط الثلث بالأساس هو خط عربي شامي، بدأ يزدهر منذ أيام الدولة الأموية وقد أطلق عليه آنذاك اسم الخط الجليل، وحين كتب في فترة من الفترات على ورق الطومار سُمي بالطومار، وقد ازدهر هذا الخط كثيراً في الفترة العباسية ببغداد، وحين دخل المغول إليها عاد الخط إلى مدينة دمشق أيام نور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي، وهو خط يعتمد على القواعد الصارمة والنسب المختلفة تماماً عن الخطوط الأخرى بحروفه المعشوقة وتكامل نسب الحروف مع بعضها ونسبة الفراغ إلى الفراغ ونسبة الأسود إلى الأبيض، والعكس صحيح. وبالتالي حين يكون الفنان عارفاً بهذه التفاصيل الخاصة بهذا الخط لا يمكن أن يقول إنه خط صعب، وأرى أن خط التعليق هو أصعب منه بكثير لأنه يكتب بكامل القلم ونصفه وربعه، بينما يكتب هو بكامل القلم فقط.

■ عاشت خطوط واندثرت أخرى فلم تعد حية، وما يستعمله الخطاط يكاد ينحصر في أنواع معدودة، فما هو السبب؟

لا بد أن نعرف أن حاجة الدولة إلى خط معين في أية مرحلة من المراحل هي التي جعلت هذا الخط أو ذاك قابلاً للحياة أو الموت، لذلك اندثرت خطوط كثيرة بعد أن انتفت الحاجة إليها من قبل الدولة، مع الإشارة إلى أن بعض الخطوط لم تندثر بشكل كامل بل توالدت عنها خطوط أخرى سُميت بأسماء مختلفة. وبالعموم، بعد خط الثلث والنسخ والتعليق والديواني، اليوم في العالم الإسلامي أكثر الخطوط انتشاراً. وما أخشاه اليوم ليس أن يندثر هذا الخط أو ذاك، بل أن تندثر الكتابة كلها في ظل وجود الكمبيوتر والأجهزة الشبيهة به. والخوف كل الخوف أن يأتي يوم لا يعرف فيه طفلنا كيف يمسك القلم ليكتب بيده.

■ تنتمي للجيل الثاني من خطاطي المدرسة الدمشقية، فما أبرز ما تميز به هذا الجيل؟

لم يكن الجيل الأول رغم إبداعه الكبير على معرفة تامة بكل أسرار وقضايا الحرف العربي نتيجة عدم توفر المصادر والإمكانيات اللازمة، في حين أن ذلك قد توفر للجيل الثاني فتميز بالمعرفة، فقد تسنى لي زيارة مكتبة القصر الجمهوري في طهران، وهي مكتبة كبيرة جداً، اطلعت فيها لأول مرة على قلم الطومار الذي كنت قد قرأت عنه الكثير دون أن أعرفه، وقد وجدته في المكتبة ضمن مخطوط طوله نحو ٥٥ متراً وبعرض مترين، وهو نوع من أنواع خط الثلث يُكتب بشكل كبير على ورق كبير. وبالتالي فإن مثل هذه الزيارة والزيارات الأخرى التي قمت بها في جميع أنحاء العالم الإسلامي جعلتني وجعلت آخرين مثلي من أبناء جيلي يحتكون بتجارب الآخرين، وهذا الاحتكاك ولد لدينا أفكاراً كثيرة.

■ لماذا تصر دائماً على وصفك بالخطاط الكلاسيكي؟

عُرفت خطاطاً كلاسيكياً، رغم أنني خضت تجارب فنية كثيرة في المدارس التشكيلية الحديثة، إلا أنني مؤمن بأن جمالية الحرف تكمن في كتابته على ورقة بيضاء، لذلك أجنح للشكل المجرد لقوام الحرف، أما وجوده ضمن لوحة تشكيلية تعتمد على اللون كعامل مساعد في إظهار مفاتنه فلا يغريني كما أغرت بعض الفنانين الذين اعتمدوا اللوحات الحروفية.

■ كيف لم تغرك؟ وقدمت لوحات حروفية اعتبر النقاد استخدامك فيها للحرف فتحاً جديداً في منهجك وأسلوبك، ثم كيف ترى مسيرة هذا النوع من اللوحات؟

من المؤسف أن معظم الفنانين في هذه المدرسة من الفن كان اللون بالنسبة لهم عنصراً أساسياً وغاية في كثير من الأحيان، أما الحرف فلم يتم التركيز فيه على القيمة الجمالية التي يتمتع بها، وهذا أمر طبيعي لمن لم يدرس بشكل جيد قواعد هذا الحرف ومدارسه وأنماطه، لذلك غاب الإتقان والتفوق عن هذه اللوحات الحروفية لأن معظم من دخل ميدانها دخلها من باب التشكيل دون دراسة تشريحية وافية للحرف، لذلك لم يقدموا في لوحاتهم سوى نماذج لونية بشكل حرف عربي. وبالعودة إلى تجربتي، أقول بكل تواضع إنني حينما أنجزت لوحات حروفية كانت كل لوحة مختلفة عن الأخرى على صعيد اللون والتقنية، ورغم ذلك لم أجد نفسي في هذا المجال لأنني لا أجد نفسي بشكل حقيقي إلا من خلال الخط الذي أصنعه على الورق، لذا لم أجنح كثيراً إلى اللوحات الحروفية رغم أنها كانت بشهادة الجميع تجربة ناجحة.

■ أنت الخطاط السوري والعربي الوحيد الذي لديه لوحة في الفاتيكان وأخرى في متحف ساكو في اليابان، حدثنا عن هاتين اللوحتين؟

بالنسبة للوحة الأولى، أنجزتها لتقديمها هدية للبابا يوحنا بولس الثاني بعد زيارته التاريخية لدمشق ولقبر سيدنا يحيى (يوحنا المعمدان) في الجامع الأموي، وباعتبار أن اسم البابا يوحنا هو يحيى، كان أن انتقيت آية من القرآن الكريم «يا يحيى خذ الكتاب بقوة»، وقد كتبتها بحبر الورد الذي أصنعه خصيصاً لكتابة بعض اللوحات وبأسلوب جميل وبتكوين مختلف عن التكوينات المعروفة في خط الجليل الدمشقي، وقد تخللت الكلمات زخارف دمشقية كتبت بالذهب عيار (٢١)، وقد أعجب بهذه اللوحة أشد الإعجاب، وهي اليوم اللوحة العربية الوحيدة الموجودة في متحف الفاتيكان، وهي بقياس ٢٠٣٠ سم. أما اللوحة الثانية الموجودة في متحف ساكو في اليابان، فقد كتبتها بناءً على طلب شخصي من المفكر الياباني الكبير دايساكو إيكيدا، وهو من كبار الفنانين اليابانيين ورمز من رموز الفكر الفلسفي الياباني ومؤسس متحف ساكو الذي يعد أكبر متحف في اليابان، ومن خلال عمله ودراساته قرأ عني، ويبدو أنه أدرك أهمية ما أقوم به، فكلفني بإنجاز لوحة عربية متميزة للمتحف، علماً أنه هو الذي اختار العبارة التي كتبتها في اللوحة «إن مع العسر يسراً»، فقمت بتشكيل جديد لهذه الآية الكريمة مستخدماً فيها تشكيلات جديدة من خلال خط الثلث لم يسبق أن استخدمها فنانون آخرون كتبوا الآية ذاتها، وقد كتبتها بحبر الورد على ورق من لحاء الورد الدمشقي المصنع يدوياً بطريقة الأفراو (الورق المرخم يدوياً)، وهي ذات قياس كبير ٧٠×٥٠ سم.

■ كرائد من رواد الخط، كيف ترى واقعه فناً وحرفة؟

الخط فن وضعه جيد وفي تطور مستمر، وهو كحرفة في تراجع مستمر.

■ وما تفسيرك أن أكثر الفائزين في مسابقات الخط التي تقام من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي في منظمة أرسيكا هم من السوريين؟

الخطاط السوري هو نتاج بيئة خصبة قادرة على ولادة الجمال بشكل دائم، فهو ابن حضارة عريقة وتاريخ موغل في القدم، كانت ولا تزال ترفد مجتمعاتنا بالمبدعين والمتميزين في كل المجالات ومنها مجال الخط، لذلك كان من الطبيعي أنه ومنذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن، والسوريون يحصدون الجوائز الذهبية في مسابقة الخط العربي لأرسيكا، كما لابد من التنويه إلى خطاطي فلسطين الذين يشاركون ويحصدون الجوائز وقد عرفنا الفنانين الفلسطينيين من خلال مشاركاتهم، وتبين لنا أن الفنان الفلسطيني رغم معاناته تحمل لوحته قيماً جمالية متفردة.

لقاء الهدف

الروائي الفلسطيني علي الخليلي

نقل حكاية الأرض من جيلٍ إلى جيل

وفاء حميّد ـ صحفية فلسطينية ـ سورية

تحدّوا المستحيل ليكرّسوا هويتهم، وجعلوا من عذاب رحلة الشتات عنوان وجودهم وأصالة انتمائهم، كتبوا لفلسطين وكأنهم مازالوا على أرضها المقدسة، فقلوبهم بقيت معلقة هناك.. وهذا هو حال الكاتب والروائي علي الخليلي الذي بدأت رحلته الأدبية من قلب مخيمات الشتات، ويطلّ برواية جديدة مليئة بحكايات تنبض بواقع المخيم الفلسطيني، ويستعيد سيرة انتظار طويل، مازال يتشبث بأوتاد الأرض مهما تناءت المنافي... عن كل ذلك كان معه الحوار الآتي:

■ في روايتك «مرايا الشتات» أحسسنا شغفك بفلسطين، وكأنك فارقتها البارحة. من أين يستمد قلم الكاتب نبضه ليكتب عن وطنه؟

رغم أنني مولود في سوريا. فإن مريمية فلسطين تسري في عروقنا، مما يجعلنا ننطق باسم الأبوين وبأحرف اسمها في بدايات تعلّمنا الكلام. لا أقول كلاماً شاعريّاً لكنها الحقيقة.

كنا نرى ونعشق فلسطين مما كان يرويه أهلنا، فقد كانوا ينقشونها في قلبنا وعقلنا، ويعلموننا الأسماء لمدنها وقراها، مع وصف الأماكن وساكنيها من بشر وشجر وحجر. ربما لم نعش فيها، لكنها كانت تسكن فينا.

■ هل أنت راضٍ عما خطه قلمك، أم للقلم مواعيد أخرى على صفحاتك البيضاء؟

هذا موضوع نسبي.. أشعر بالرضى فأنشر ما كتبت، لكن يرافقني دائماً إحساس بأنني قادر على أن أكتب أفضل. أما إن كنتِ تقصدين الكم، فلا أخفي أنني غير راضٍ إطلاقاً، فقد انقطعت طويلاً عن الكتابة، وأشعر اليوم بحاجةٍ لتعويض ما فاتني.

■ عشت فترة قصيرة في مخيم اليرموك، ووصفت نفسك بأنك العاشق له ولأهله، والمتردد عليه دوماً منذ الطفولة. فماذا مثّلَ لك مخيم الشتات؟

كما هو معلوم للجميع، مخيم اليرموك هو عاصمة الشتات لأنه كان الوعاء الكبير الذي رفد الثورة الفلسطينية المعاصرة- خارج الوطن المحتل- بكل أسباب استمرارها من بشرها، وأفكارها، وشعلة نضالها. كنت حين أتواجد فيه ينتابني الشعور أنني قريب من فلسطين. ربما لهذه الأسباب طُعن جسد المخيم بسكين متوحش لم يبرأ جرحه حتى الآن، لكنني على ثقةٍ أن موعد البلسم قريب.

■ هل كان مخيم اليرموك ملهماً لانطلاقة مسيرتك الأدبية؟

بالمعنى المجازي نعم. ولكن علينا أن ننصف بقية المخيمات وأهل الشتات فيها. في كل المنافي حول فلسطين، كانت روح المخيمات واحدة حتى تشابهت.

■ لو عدت إلى مخيم الشتات مرة أخرى، فما هي رغبتك الأولى؟

أطمح أن يعود إلى المخيم دفء الحياة كما كان، وأن تنبض فيه الروح من جديد، وأن تعمل الكلمة على زرع الأمل بالعودة.

■ ما رؤيتك كأديب فلسطيني، يكتب لفلسطين قبل أن يكتب لنفسه؟

نقل حكاية الأرض من جيلٍ إلى جيل. فالحفاظُ على الذاكرة يُعد أولى السمات الواجبة لانتقالها عبرَ الأجيال. ولأنّ قضيتنا امتدّت طويلاً، فإنّ المهمة الأولى للرواية الفلسطينية هي الحفاظ على الذاكرة.

• علي محمد الخليلي

كاتب فلسطيني، يقيم في سوريا، ولد في حمص. وعاش فترة قصيرة في مخيم اليرموك، بدأ الكتابة في مطلع شبابه، كتب الشعر والقصة والمسرحية، لكنه لم يكن ينشر أيّاً من أعماله. فقط كان يوثقها على الورق الذي فقده في حصار بيروت 1982 التي غادرها بحراً ضمن الطاقم الطبي للقوات المتوجهة إلى اليمن بعد الحصار. عاد بعدها إلى سوريا، لينغمس في عمله، نشر بعض أعماله، ولديه أعمال قيد الكتابة والنشر. صدرت له مجموعة قصصية بعنوان (رسالة غامضة 2023) وروايتان، هما: (المغامرة العجيبة - رواية للفتيان 2025)، ورواية (مرايا الشتات 2026).

الرواية المصرية فى الوقت الراهن
هل هي ضحيّة تَخلّف النقد الأكاديمي؟

خالد إسماعيل - روائى مصرى

يعرف الروائيون أن قسم اللغة العربية فى آداب ـ جامعة القاهرة ـ كان قلعة التنوير، بفضل أستاذية طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وبنت الشاطىء وشكرى عيّاد، وغيرهم من الذين وضعوا أسس مدرسة نقدية وفكرية فى سنوات القرن العشرين، والمعروف أن هذه المدرسة، خرج منها جناح آخر، هو جناح الاهتمام بالثقافة الشعبية الوطنية المصرية، وهو جناح الدكتور عبد الحميد يونس، مؤسس ـ كرسى الأدب الشعبى ـ وتاريخ الرجل فى هذا الميدان معروف ومسجل، ولكن هذا القسم لم يبق على حاله، كان آخر رموزه المستنيرة المدافعة عن الحرية العلمية: دكتور سيد البحراوى، ودكتور نصر حامد أبوزيد ، وانطفأت شمعة قسم اللغة العربية الذى منحنا ـ سهير القلماوى ـ وهى نفسها كانت هدية عميد الأدب العربى للثقافة العربية، والمهم هنا هو الاقتراب من العلاقة بين النقد الأكاديمى والإبداع الروائى والسردى عموماً، فالقارىء العربى قرأ مقالات وبحوث دكتور سيد حامد النساج ودكتور شكرى عياد، ودكتور سيد البحراوى، ولكنه منذ تسعينيات القرن العشرين لم تخرج من هذ القسم دراسة تفيد المبدع المصرى، ولعل البعض يتساءل: لماذا نحاكم قسم اللغة العربية فى آداب القاهرة على إهماله النقدى ولا نحاكم أكاديميين آخرين فى أقسام أخرى فى كليات أخرى؟

وهذا السؤال مشروع ومهم ، والإجابة عليه تفرض علينا العودة إلى التاريخ ، لنقرأ قصة تأسيس الجامعة المصرية ، ودور النخبة المثقفة وأصحاب الثروات من ملاّك الأراضى فى بناء الجامعة على أرض مصرية ، رغم رفض الاحتلال البريطانى ورغم إصرار كرومر ـ المعتمد البريطانى ـ على إبقاء المصريين جهلةً، والقصة معروفة ومدوّنة فى كتب التاريخ ، والخلاصة هى أن النخبة الوطنية المثقفة والطبقة الغنية فى بدايات القرن العشرين أدركت أهمية الاستقلال المعرفى والاقتصادى والسياسى ، وعرفت ـ من تجارب شعوب أوربا ـ أن بداية الاستقلال تكون من الجامعة القادرة على تخريج العناصر البشرية المؤهلة للعمل السياسى والثقافى والإقتصادى ، فالجندى فى المعركة هو العنصر الأكثر أهمية ، ثم السلاح والخبرة العسكرية المتطورة ، وفى قصة دخول الفتيات المصريات مجال التعليم الجامعى ترجمة لصورة أخرى من صور المعركة بين الشعب المصرى والاحتلال ، فالطالبة ـ سهير القلماوى ـ لم تجد مكاناً فى كلية الطب ، لأنها كانت ترغب فى أن تكون طبيبة ، وكانت لوائح الكلية ترفض قبول الفتيات ، فلم تجد ـ سهير ـ غير كلية الآداب ، والتحقت بها ، وتفوقت وحصلت على الدكتوراة فى موضوع أدبى يتعلق بقصص وحكايات ـ الف ليلة وليلة ـ و ما قصدته هنا هو أن قسم اللغة العربية فى آداب القاهرة كان سباقاً فى السعى نحو النهضة والتقدم ، وكما كان القسم سبّاقاً فى الدراسات النقدية ،كان سباقاً فى دراسة تاريخ مصر، وانتشرت آثار هذا القسم فى عقول الأكاديميين الذين تخرجوا فيه ، وعملوا فى الكليات التى أنشئت فى الجامعات المصرية الأخرى.

ومنذ تسعينيات القرن العشرين جرت تحوّلات فى الساحة السياسية والثقافية ، جعلت الأكاديمى المتخصص فى النقد الأدبى يتحوّل إلى «صنايعى « يعمل باليومية فى جامعات لا تهتم بتطوير الوعى ، لأنها عبارة عن مشروعات استثمارية ، تمنح الوجاهة الاجتماعية ، ولا تمنح الوعى ، ومع تدفق الأموال القادمة من الجوائز التى ظهرت فى دول الخليج العربى ، تحوّل الأكاديميون إلى مشتاقين

ـ من الشوق ـ للحصول على أموال هذه الجوائز ، فكتبوا البحوث التى توافق هوى القائمين على هذه الجوائز، والمصيبة أنهم تحولوا ـ فى مستوى آخر ـ إلى عمال يعملون فى خدمة دور النشر الكبرى ، وهى دور تحمل روح الفكر الوهابى السلفى الرجعى ، وتروّج لألوان من الأدب السطحى التافه الخالى من القيم النبيلة ، الأدب الذى يرضى جماهير المسلسلات الهندية والتركية ، فجماهير المسلسلات التليفزيونية الهندية والتركية يريدون روايات فيها مادة مسلّية، تخرجهم من حالة الملل التى يعيشونها ، ولايريدون روايات نجيب محفوظ وعبدالحكيم قاسم وعبدالوهاب الأسوانى ويوسف إدريس ، وكل هؤلاء الذين كتبوا الأدب الرفيع ، وانخرط الأكاديميون الجدد فى هذه المحرقة ، فأصبح الأكاديمى ـ فى كلية دار العلوم وكلية الآداب واللغة العربية بالجامعة الأزهرية ـ يسعى فى بلاد الله باحثاً عن الرزق ، ولم يعد قائداً ثقافياً ، وهذا جعل الروائيين الشبان يفتقدون التوجيه ويفقدون القيمة ،ففى زمن مضى كان الدكتور عبدالقادر القط ـ الناقد المعروف ـ يتولى مسئولية مجلة إبداع الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب ويقوم بتوجيه الشعراء والساردين الشبان وينشر التجارب الصالحة للنمو والتطور، وكان شكرى عياد يكتب النقد على صفحات مجلة الهلال العريقة ، وكان الأدباء الشبان يقرأون ويتعلمون ، ولكن فى الوقت الراهن سقط النقد الأكاديمى من حسابات الروائيين الشبان ، لأن الجوائز التى تولى فيها الأكاديميون مسئولية التحكيم أسقطتهم ، وكشفت فقرهم الفكرى والإبداعى ، فالروايات التى فازت بالجوائز فى مصر والدول العربية ،كشفت ضحالة الوعى وفقر الذوق لدى الأكاديمى المصرى ، لأنه لا يقرأ ، ولا يقوم بالبحث وفق المناهج العلمية المتطورة ، بل إن علاقة الأكاديميين المتخصصين فى الأدب والنقد الأدبى بالبحث العلمى لم تتجاوز ما فهموه وعرفوه من المشرفين عليهم من أساتذة أثناء إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ، وهذا يذكّرنا بصورة تلميذ المدرسة الذى يفرح بنهاية اليوم الدراسى ويفرح بنهاية الفصل الدراسى ،فرحة من تحرر من القيود ، وهذا ما نجده فى نفوس الأكاديميين المصريين ، يتخلصون من الالتزام بقواعد ومناهج البحث العلمى عقب حصولهم على الدكتوراه ـ جواز المرور إلى الوظيفة فى الكلية وضمان الحصول على التقدير الإجتماعى ومفتاح الوصول إلى البنوك والخزائن الكريمة ـ

ولأن الرواية المصرية اعتمدت على الأكاديميين فى تحديد مسارها ، ثم فوجئت بضياع وهروب الأكاديميين المتخصصين فى النقد ، بل وجدت من أكاديميّى الجوائز تحريضاً على الانخراط فى طريق الرواية السطحية الاستهلاكية ، سقطت فى بئر التفاهة ، ونشأ فى ميدان الرواية المصرية صراع كبير، بين نقاد ومبدعين لا يحملون ـ درجة الدكتوراه ـ لكنهم يعرفون قيمة الأدب فى بناء الوجدان الإنسانى ، ونقاد يحملون درجات الدكتوراه ومضاعفاتها ، لكنهم تخلفوا عن الرّكب الإبداعى ، أو تحوّلوا إلى مروّجين لثقافة العولمة الأمريكية بقصد الحصول على فرص العمل فى الجامعات الأمريكية أو المراكز الثقافية الغربية التى تروج لأجندة العولمة الثقافية الأمريكية التى تقوم على معاداة الثقافة الوطنية ،و محاربة الإبداع المهموم بقضايا المجتمع ، مثل قضية الحرية وقضية التقدم وغيرها من القضايا التى خلقت القيمة العليا للرواية منذ ظهورها فى أوربا فى عصر الثورة الصناعية ، والخلاصة هى أن ما تشهده الرواية المصرية من تعثر وارتباك هو نتيجة لجرائم ارتكبها نقاد الأدب من حَمَلَة الدكتوراه ومضاعفاتها ، فهم تخلّفوا عن الرّكب الإبداعى ، وروّجوا لمفاهيم ـ نقدية ـ قديمة ومتخلفة ومضلّلة ، ولعل المثقفين المصريين يذكرون المعركة المشهورة التى جرت وقائعها بين دكتور عبدالعزيز حمودة ودكتور جابر عصفور منذ سنوات ـ وهما من أساتذة قسم اللغة العربية فى آداب القاهرة ـ وكان المفجر لهذه المعركة هو البحث عن الدور الضائع للناقد الأكاديمى المصرى ، فكتب الدكتورعبدالعزيز حمودة ضد المُعولَمين من النقاد ، وكشف الدورالتآمرى لهؤلاء الذين انخرطوا فى برنامج العولمة الثقافية الأمريكية ،متجاهلين الدور الوطنى والإنسانى الذى تفرضه عليهم انتماءاتهم المصرية والعربية والإسلامية والإنسانية ،ليكونوا نجوماً يقبضون بالدولار ويقضون السنوات فى أمريكا وأوربا ، وهو ما نسميه ـ التبعية الثقافية ـ وهى تبعية يقوم فيها الباحث أو الناقد الأكاديمى المنتمى للدول الفقيرة بدورالخادم الذليل التابع للسيد المتحكم فى المركز الغربى .

وفى النهاية أقول إن الدور الذى يقوم به المبدعون تجاه مبدعين آخرين ، وما يقوم به الصحافيون المتخصصون فى الشأن الثقافى ،استطاع تعويض النقص النقدى الناتج عن غياب النقاد الأكاديميين المصريين ، وإن هذا التخبّط الذى يعيشه المشهد الروائى المصرى سوف ينتهى عندما يؤمن المبدع الروائى أو القاص أنه ليس فى حاجة إلى «ختم « الناقد الدكتور، لأن السيد الدكتور لم يعد قادراً على تقديم الدرس أو الخبرة بعد أن فقد صلاحيته الأكاديمية وارتضى أن يكون مأجوراً لمن يدفع أكثر.

الأرض في الإبداع الفلسطيني

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي من فلسطين ـ سورية

كُتب الكثير من المؤلفات والكتب النقدية والدراسات الجامعية (ماجستير- دكتوراه) التي تناولت موضوع الأرض في الإبداع الفلسطيني، وتفرّعت في جزئياته المتشعبة التي تغطي كل أماكن وجود الفلسطيني في الـ 48 والقدس والضفة والقطاع والمنافي القريبة والبعيدة في الشتات في قارات العالم الخمس، وإذا كان لكل مكان سماته الخاصة المميزة التي تجعله متمايزاً عما يُنتج في المكان الآخر، فإن جميع الكتابات تشترك في القاسم المشترك الأعظم (الأرض/ فلسطين) التي قد تحضر بصورة رئيسة في النص أو تكون خلفية (بانورامية) للنص الشعري أو النثري.

وأنا لا أفهم كيف يكون الأدب فلسطينياً ولا تحضر به فلسطين، فالحديث عن الشاعر أو الناثر الفلسطيني يجب أن يقود بالضرورة إلى محاورة نصه ومدى قربه أو بعده من فلسطين حتى وإن تناول ذلك النص الأدبي قضايا ذاتية أو محلية خاصة تتعلق ببيئة الكاتب وهمومه وانشغالاته في المكان الذي يعيش فيه، حتى وإن أراد أن يكتب نصاً عالمياً عن الإنسان والحب والحياة فإن الأرض أو علاقته بفلسطين إن غابت، غابت خصوصية ما يكتب، ومن الصعب التفكير بالأديب الفلسطيني دون التفكير مباشرة بفلسطين والمأساة الرهيبة التي حلت بشعبها المظلوم؛ لأن الكاتب الفلسطيني يكرّس علاقة حميمية بينه وبين الأرض تتعدى حدود الملكية إلى نوع من الإيمان الصوفي، ولعل ما قاله درويش (أنا الأرض والأرض أنت) يُلخّص العلاقة الإيمانية بين الفلسطيني وأرضه، لتغدو علاقة حب أبدي (حلولي)، كما عبّر عن ذلك الاتحاد الإلهي (الحلاج) شاعر الصوفية الكبير: (أنا من أهوى ومن أهوى أنا)، والتي قاربها كثير من أدباء فلسطين بصور متعددة ابتداء من إبراهيم طوقان في (موطني):

موطني الجلالُ والجمال
السناءُ والبهاءُ في رباك
والحياةُ والنجاة
والهناءُ والرجاءُ في هواك
إلى أبو سلمى الذي أعلن:
يا فلسطين ولا أغلى ولا أحلى ولا أطهر
كلما حاربت من أجلك أحببتك أكثر
الأرض قبل يوم الأرض

كان الأدب الفلسطيني ابن بيئته وواقعه، منذ أن عرف الاحتلال البريطاني ومن بعده الاحتلال الإحلالي الصهيوني، وكانت الأرض حاضرة بقوة في الأدب الفلسطيني، لا بوصفها عنصراً جغرافياً فحسب، بل جوهراً للهوية ومصدراً للشرعية الوطنية؛ ففي أشعار إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود، تتجلى الأرض باعتبارها إرثاً حضارياً ومجالاً للمقاومة. ومع النكبة، أصبحت الأرض تمثل الفردوس المفقود، وتحولت إلى حنين متّقد، كما في روايات غسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا، وقصائد فدوى طوقان ومحمود درويش وسميح القاسم وسالم جبران وشكيب جهشان وحنا أبو حنا وراشد الحسين وأبو سلمى ويوسف الخطيب وحسن البحيري وهارون هاشم رشيد والقائمة تطول.

أدب يوم الأرض

تحوّل يوم الأرض 1976 من حدث سياسي إلى رمز للهوية والصمود، واستقرّ عميقاً في الضمير الجمعي، ووجد صداه واسعاً في الأدب الفلسطيني شعراً ونثراً؛ لأنّ يوم الأرض كان حدثاً سياسياً ولحظة فاصلة في تشكّل الوعي الأدبي الفلسطيني، وخليطاً بين الوجدان الفرديّ والتاريخ الجماعيّ، بين المقاومة والانتماء، ففرض على الأدب مهمة مزدوجة: تخليد الذكرى، وتحفيز الفعل المقاوم. ومنذ ذلك اليوم، أصبح للأرض صوتٌ في القصيدة، وصدى في الرواية وفي الفنون الأخرى كافة، بل أصبح الأدب أحد أهم الحقول التي زُرعت فيها الأرض من جديد؛ فكلّ قصيدة، وكلّ رواية، وكلّ قصة، كانت بمنزلة قطعة أرض يُستعاد بها الوطن. مما خلق نوعاً جديداً من الأدب يمكن الاصطلاح على تسميته بـ (أدب يوم الأرض)، وقد أصبح له

خصائصه وسماته التي تميّزه عن غيره مما سبقه من الكتابات الإبداعية.

الأرض في الشعر:

الشعر هو الجنس الأدبي الذي التقط بأسرع ما يمكن صدى يوم الأرض، ففي مساء الثلاثين من آذار، كُتبت القصائد، وأُلقيت في الميادين والمهرجانات، وبدأ الشعراء يخلّدون أسماء الشهداء، ويصوغون من دمائهم أغانيَ للكرام، وفي الاستجابة الأولى لذاك اليوم العظيم، كتب محمود درويش قصيدته (أنا الأرض)، وفيها أصبحت الأرض كائناً حيّاً، يشارك الإنسان الفلسطيني الألم والأمل: (وفي شهر آذار قالت لنا الأرضُ أسرارها...)

ربما لم يكتب درويش في قصائده التالية بعنوان مباشر عن يوم الأرض، لكنه كان من أوائل من التقطوا رمزية هذا الحدث وبنى عليه التالي من شعره، فكرّس علاقة حميمية مع الأرض، علاقة تعدّت مفهوم الملكية، حيث أصبحت كائناً هشّاً يجب حمايته.. (كأنّي أَخافُ على عِشْبةٍ مِن يديّ). واتخذت الأرض، في معظم نصوصه، صورة الأنثى، فهي الأم، والعشيقة، والمرأة التي يُقاتَل من أجلها: (على هذه الأرض... سيدةُ الأرض، أم البدايات... أم النهايات).

أما الشاعر سميح القاسم، ابن الجليل، فقد عايش يوم الأرض بكلّ تفاصيله، وكانت قصائده أكثر مباشرة واشتعالاً؛ فكتب واحدة من أجمل قصائده في حب الأرض: (يا أمنا أبشري واستبشري ... مازال يحرس عرضَك الأبناء...)، فتظهر الأرض مقاتلة، وأمّ شهيد، وفعل ثورة: (أنا الأرض... أنا من شراييني تنفجر الثورة... أنا من نزيفي ينبت الزعتر والبندقية..) فانتقلت الأرض لديه من كونها كائناً جغرافياً يُدافع عنه، إلى ذاتٍ فاعلة، تُقاوم، وتُفجّر الثورة، وهذا التحوّل الجذري في المعالجة الشعرية يُعدّ من أبرز نتائج يوم الأرض على النصّ الفلسطيني.

حين اندلعت أحداث يوم الأرض، كان الشاعر توفيق زيّاد رئيس بلدية الناصرة، فكتب أشهر قصائده التي تحوّلت إلى نشيد جماعي، وأصبحت مرادفاً ليوم الأرض، تعبّر عن التحدي والبقاء في وجه والاستيطان والإلغاء: (كأننا عشرون مستحيل... في اللد، والرملة، والجليل... هنا على صدوركم باقون كالجدار... وفي حلوقكم كقطعة الزجاج، كالصبار).

واختار الشاعر راشد الحسين الحديث عن يوم الأرض من زاوية السخرية من قوانين الاحتلال الصهيوني، فصوّر ذلك الوجع الفوّار الذي لا يعادله إلاّ الغدر المتواصل والمبرمج في إسناد أمر مصادرة الأرض إلى فعل القوانين المستلّة عند الطلب، وهذه المرة بأسلوب متطوّر يضفي على اختراع هذه القوانين الشرعية الشكلية المزيفة في كون السرقة قانوناً؛ يتجلى ذلك في قصيدته «الله لاجئ :»

الله أصـبـحَ غائباً يا سـيّدي ... صادِرْ إذَنْ حتى بساطَ المسجدِ

وَبِعِ الكنيسـةَ فهيَ من أملاكِهِ ... وَبِعِ المؤذّنَ في المزادِ الأسْودِ

وكتب معين بسيسو قصيدة يوم الأرض الملتهبة:

تفاجئني الأرضُ أنّ الشجر يخبّئ أسلحة..
والقمر يقوم بطبع المناشير
يا نجمةً في الجليل.. ويا تينةً في الخليل
تفاجئني الأرضُ.. أنّ أكفَّ الصبايا مرايا..
وكفَّ الشهيد بحجم السماء

في شعر فدوى طوقان، نقرأ الأرض بوصفها كائناً أنثوياً مجروحاً يُغتصَب ويقاوم، لكنه عصيّ على الانكسار بعد يوم الأرض، تكرّرت في قصائدها صور الأمهات المكلومات، الفلاحات المنتفضات، والقرى المحاصرة بالجرافات. وفي قصيدتها « تحية إلى يوم الأرض» يتحوّل الدم إلى قلم، والشهداء إلى خرائط، وكأن الشاعرة تقول إنّ الأرض لا تُرسَم بالحبر، بل بالدم: (على شرفات القرى المحروقة... وقفنا... ورفعنا بأيدينا دمَنا...

لنرسم خارطةَ الوطن...

الأرض في الرواية:

بدأت الرواية الفلسطينية بعد يوم الأرض تعيد قراءة العلاقة بين الفلسطيني وأرضه من زاوية الحاضر والمواجهة وليس من منظور الماضي فحسب، فعلى الرغم من أنّ الأديب غسان كنفاني استُشهد قبل يوم الأرض، إلا أنّ رواياته مهّدت لتشكّل هذا الوعي. ففي «عائد إلى حيفا»، لا تعود الأرض مجرد قرية، بل تتحول إلى سؤال الهوية والانتماء، خاصة في مشهد اللقاء بين الأب الفلسطيني وابنه الذي تربّى في كنف الاحتلال. ويتحوّل في هذه الصورة الرجوع إلى الأرض إلى سؤال فلسفي عن الهوية والانتماء، الأرض هنا ليست بيتاً مهجوراً، بل مكاناً تُقاس فيه الخسارات الكبرى: فقدان الابن، وفقدان الماضي.

هذا التمهيد الكنفاني، جعل الروائيين من بعده، أمثال رشاد أبو شاور ويحيى يخلف وسحر خليفة وإبراهيم نصر الله وغيرهم كثير يستخدمون حدث يوم الأرض كمفصل درامي في رواياتهم. ومع تصاعد الانتفاضات الفلسطينية، من الأولى (1987) إلى الثانية (2000)، ظهر جيل جديد من الأدباء الذين تناولوا يوم الأرض في ضوء تجاربهم اليومية في المخيمات والحصار والمنفى. ففي روايات الكاتبة سحر خليفة، نجد نساءً يحملن همّ الأرض والبيت والعائلة، ويقاومنَ الاحتلال والذكورية والمجتمع الذكوري في آن. أما في روايات إبراهيم نصر الله فإنه يستعرض التحولات في حياة الفلاح الفلسطيني قبل النكبة وبعدها، ويُبرز في رواية «زمن الخيول البيضاء» كيف أصبحت الأرض مع الزمن رمزاً للهوية الجمعية، على الرغم من أن الرواية لا تدور حول يوم الأرض تحديداً، إلا أنّ الروح التي سكنتها هي ذاتها: روح التمسك بالجذور، والمقاومة اليومية ضد الاقتلاع.

الأرض في الإبداع الفلسطيني المعاصر

تتخذ الأرض لدى جيل الكتّاب التالي أبعاداً جديدة، تتجاوز التقديس المطلق إلى مساءلة العلاقة، فلم تعد الأرض مرادفاً للحق، بل أصبحت سؤالاً عن الواقع: كيف يمكن الحفاظ على الأرض في ظلّ التفتت، والانقسام، والتطبيع؟ وفي كتابات مثل روايات باسم خندقجي، أو قصائد تميم البرغوثي وغيرهما، نجد لغة أكثر تجريبية، تضع الأرض في سياق يومي معاصر، فالأرض لم تعد «تراباً»، بل بطاقة هوية، وثيقة ملكية، ومشروعاً إنمائياً مهدّداً. أمّا في أعمال عارف الحسيني أو عدنية شبلي وغيرهما، فتأخذ الأرض طابعاً فلسفياً، حيث تُطرح أسئلة: لمن الأرض؟ ما معنى أن نمتلكها ونحن تحت الاحتلال؟

إنّ الأرض في الأدب الفلسطيني بعد يوم الأرض أصبحت رمزاً أكبر من الجغرافيا، ولعلّ هذا هو جوهر العلاقة بين الأرض والأدب الفلسطيني: ليست علاقة مكان بسكّان، بل أصبحت جذراً لا يموت لأنها الهوية والانتماء، وأرض الشهداء، وأرض الذاكرة، وأرض الحق الذي لا يسقط بالتقادم، ليعلن الفلسطيني من خلال هذا الإبداع عن وجوده وحقه وكينونته لتبقى الأرض، ويبقى للغريب أن يأخذ ما يشاء من حصته من دمنا وينصرف.

تتوخى الصدق في الكتابة وتدافع عن الإنسان:
كوليت خوري البرجوازية الجريئة

باسمة حامد- باحثة وكاتبة سورية

لم تكن الأديبة السورية الراحلة كوليت خوري مجرد كاتبة عادية بل علامة فارقة في المشهد الثقافي العربي، فقد تميزت ببراعتها في المزج بين الخاص والعام، وهي التي جعلت من قلمها سلاحاً يحارب تناقضات المجتمع ويتخطى قيوده ومعاييره المزدوجة بجرأة مدهشة!!

الإرث العائلي

لكوليت خوري بصمة خاصة في عالم الإبداع، إلّا أن هذه الخصوصية لا يمكن فهمها بمعزل عن محيطها الذي نشأت فيه، فحفيدة فارس الخوري الذي شغل منصب رئيس الوزراء في عهد الاستقلال نشأت في كنف أسرة عريقة تتعاطى مع الشأن العام، وتشجع على المعرفة والقراءة، وتتنفس الثقافة والسياسة والتاريخ، وحول تلك النشأة تقول الأديبة الراحلة الحائزة على جائزة القدس للعام 2009 في واحد من حواراتها: «نشأت في بيت عريق في السياسة مفعم بالأدب.. يؤمن بالحوار والمناقشة والحجّة والإقناع.. ويعتبر الصراخ ضعفاً وقلّة تهذيب».

الثقافة العالية

ومن هذه الخلفية انطلقت إلى عالم الكتابة في سن مبكرة مستقلة برأيها ومتسلحة بوعي سياسي قومي كبير وبفكر حرّ غير مؤدلج، إذ أن كتاباتها تهتم بقضايا الناس اليومية وتنشغل بالهم العام وتسعى نحو مجتمع أفضل، والكتابة بالنسبة لها -كما تقول- هي: «هذا الأنا الآخر... الأنا الحيّ الذي لا أستطيع الانفصال عنه .. هي صديقتي القويّة التي تؤنسني لحظات الوحدة، وتشدّ أزري فترات الشدّة، وتعمّر لي عالماً دافئًا أيّام الغربة.. الكتابة توأمتي النابضة... فإذا ما تخليت عنها يوماً... انتهيت!»

وما يلفت الانتباه في تجربتها الإبداعية أن نشأتها الأرستقراطية لم تمنعها من الاحتكاك المباشر بالمجتمع والخروج من قوقعة النخبة، فهي لم تكن من نوع الأدباء البرجوازيين الذي يخاطبون جمهورهم من برجهم العاجي، حيث أنها صقلت تجربتها بدراسة الحقوق والأدب الفرنسي وكذلك بالتدريس الأكاديمي في كلية الآداب بجامعة دمشق، ونجحت بالتعبير عن أفكارها بلغات ثلاث: العربية والفرنسية والإنكليزية متنقلة ببراعة بين الصحافة والأدب ومنفتحة على الثقافات العالمية، ومن أبرز محطاتها الصحفية مجلة (المضحك المبكي)، بالإضافة إلى الرواية والشعر والمسرح.

الوضوح والصدق

من الممكن القول أن كوليت خوري تنتمي إلى مدرسة السهل الممتنع في الكتابة، فلغتها الأدبية تتسم بالوضوح والبساطة والسلاسة والوجدانية الشديدة بالإضافة إلى جمال التعبير والغوص عميقاً في طرح التفاصيل وإثارة الأسئلة، ومن أولى رواياتها (أيام معه) نقرأ مثلاً: «أنا طبيعة بشرية تتأثر، وتغضب وتثور وتحقد ثم تفرغ عصارة حقدها في كلمات جارحة وترتاح من كابوس يرهق أعماقها»، ونقرأ أيضاً: «أتحمل سير الحياة بصورة طواعية دون رأي دون عمل، دون انفعال.. أصبحت أعيش على هامش الحياة».

ومن الملاحظ أن الأديبة الراحلة لم تحظَ بمواكبة نقدية لأعمالها، لكنها بالتأكيد حظيت بتكريم لافت من القارئ العربي على امتداد الساحة العربية حيث أن كتبها مقروءة وبشكل كبير وتُطبع بعدة طبعات، فأسلوبها الإبداعي في طرح المواضيع جعلها قريبة إلى المتلقي، ولذلك وصلت إلى شرائح مختلفة من الجمهور العربي خصوصاً الأجيال الجديدة التي تعرّفت إليها خلال مسيرتها المهنية وعملها لسنوات عديدة في التدريس الأكاديمي في جامعة دمشق.

ولعل أكثر ما ميّزها عن الكاتبات الأخريات - فضلاً عن التنوع الإبداعي- صراحتها وجرأتها في التعبير عن قناعاتها، ولذلك جاء أسلوبها في الكتابة مشاكساً وشفافاً.. صادقاً ومباشراً وصادماً أحياناً! وهو ما أثار الجدل حولها دائماً، فمثلاً في روايتها الشهيرة (ومرّ صيف) انتقدت الزيف الاجتماعي دون اكتراث فكتبت: «ما أقبح المجتمع الذي لا يحب الصراحة! المجتمع الذي يؤثر الدعارة في الخفاء على الابتسامة الطاهرة علناً!».

صوت النساء

عُرفت كوليت خوري بانحيازها للإنسان أولاً، غير أن النساء كُنَّ هاجسها الأهم، ولقد تمحورت كتاباتها عن المرأة فلامست قضاياها ودافعت عن حقها في الحب والاختيار والتعبير عن مشاعرها دون وصاية أو خوف أو خجل أو موارية، وغاصت عميقاً في عوالمها بتفاصيله النفسية وأوجاعه وأحلامه ورغباته المكبوتة متخطية قيود المجتمع العربي المحافظ ومعاييره المزدوجة بجرأة لافتة سبقت عصرها، فهي تعتبر ذاتها إنسانة قبل أن تكون أنثى كما ورد في روايتها الشهيرة (أيام معه): «أنا لست أنثى, أنا إنسانة صديقة تريد المشاركة, المشاركة في كل شيء, وإلّا فلا أريد شيئاً على الإطلاق!».

في هذا الإطار - وفي زمن كان فيه حديث المرأة عن مواضيع التحرر والاستقلالية والخيانة يُعتبر تجاوزاً للخطوط الحمراء- كتبت في روايتها الأولى: «إذا كان الشوق مرضاً فأنا في حالة خطرة، وإذا اعتبرناه عذاباً فأنا في أعماق جهنم، وأمّا إذا كان أملاً فقد عشتُ لهذا الأمل»!.

جرأة أثّرت في مسار الكتابة النسوية

لا شك أن جرأة كوليت خوري في كتاباتها أثّر في مسار الكتابة الإبداعية النسوية باعتبارها فتحت الباب على مصراعيه أمام الكاتبات الأخريات للتعبير عن أفكارهن بحرية أكبر.. فالكاتبة الراحلة كسرت أحد أكبر التابوهات الاجتماعية بحديثها العلني عن الحب والقوة ومواجهة التقاليد المجتمعية وتحمّل المسؤولية، الأمر الذي جعلها عرضة لهجوم نقدي واجتماعي شرس آنذاك، خصوصاً وأنها كانت قد استلهمت روايتها الأولى (أيام معه) الصادرة عام

1959 من حكاية حب حقيقية لم تُكلّل بالزواج جمعتها مع الشاعر الراحل نزار قباني، ومما جاء فيها: «يجب أن تعلمي أنك لن تجدي صديقا لك أحسن من نفسك، القوة الكامنة في أعماقك أوجديها، لا تنتظري أن يساعدك أحد في حل مشاكلك، لأن الناس عند الحاجة يتبخرون والأصدقاء يختفون، كل واحد منا أناني يركض وراء غاياته ولن يفيدك أحد .. السعادة والراحة في نفسك وعندما تتفقين ونفسك تصبحين قوية».

الرحلة باختصار..

رحلت كوليت خوري عن عالمنا في العاشر من شهر نيسان الماضي عن عمر ناهز 95 عاماً تاركة إرثاً إبداعياً مهماً تجاوز الثلاثين كتاباً تنوعت بين نصوص ذاتية وأخرى تنشغل بالهم العام منها: (أيام معه، رعشة، ليلة واحدة، أنا والمدى، دمشق بيتي الكبير، كيان، المرحلة المرة، دعوة إلى القنيطرة، الأيام المضيئة، أيام مع الأيام، ستلمس أصابعي الشمس، عبق المواعيد، الكلمة الأنثى، ذكريات المستقبل، في الزوايا حكايا، امرأة، أوراق فارس الخوري..)، ومن مؤلفاتها المهمة أيضاً كتاب (سنوات الحب والحرب) الذي ضم مجموعة من المقالات والقصص ما بين عام 1973 وعام 1979 وأرخت بين دفتيه لحرب تشرين التحريرية.

وبرحيلها فقدت الساحة الثقافية والإبداعية واحدة من أجرأ الأصوات النسائية العربية وأكثرها تميزاً باعتبارها حالة إبداعية وإنسانية متفردة.. لكن كتاباتها ستظل مادة خصبة وملهمة للباحثين والنقاد والمؤرخين والمهتمين في دراسة علاقة الأدب بالحياة.

براءة الأطفال تجابه جحافل الحرب

ديمة داوودي - كاتبة سورية

كل عام في الخامس من نيسان يتملكنا العجز أمام أحداق أطفال فلسطين في ذكرى اليوم المخصص لقضاياهم، إذ نجدهم أكثر من يدفع ضريبة الحرب ويجابه جحافلها بطفولة بريئة قفزت مباشرة نحو مراحل التمسك بحبال الشهادة والفداء، وسط حرمانهم من أبسط حقوقهم وتعايشهم مع لحظات الاستشهاد اليومي، لتكتظ أرواحهم في السماء مزاحمة كبار الشهداء..

تَيتِيم ووجع وقصف وحشي يتغذى على أرواح الأطفال، فيدفعون الثمن الأعلى متجاوزين القهر والقمع والتهجير وسط الوجع الذي سكن قلوبهم وجعل صغيرهم يفكر بوصية يكتبها حباً بأهله واستسلاماً لاستشهاد يحتضن روحه في أي لحظة، في قطاع غزة حيث تجاوز شهداؤها من الأطفال 21000 طفل وفقد85000 أحد أبويه، أو كليهما، ليعايش الأحياء منهم مشاريع شهادة منتظرة، تنتهكها الظروف الاجتماعية والحاجات التعليمية والنفسية وحتى التربوية، فيما يتمنون مستقبلاً يؤكد حقوقهم واقعياً لا ورقياً، بالرغم من أن الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات أقره منذ العام 1995 في المؤتمر الأول للطفل الفلسطيني إلا أن الواقع المعيش لم يتمكن من رفع المقصلة عن أعناق أطفالها ولم يتمكن من إيقاف إبادة الطفولة التي يتعمدها العدو إذ يدرك أن الأطفال الفلسطينيين هم جذوات مشتعلة لثورة لن تتوقف رغم الحزن الساكن بأرواحهم والذي دفع الطفلة رشا العرعير- لم تتجاوز الـ10 أعوام- لكتابة وصية تطلب من أهلها:

«ألا يبكوا عليها ويقوموا بتوزيع مقتنياتها على قريباتها والمحتاجين وكذلك مصروفها الشهري مؤكدة ألا يصرخوا على أخيها» لم تدرك روحها الغضة أنه استشهد معها ممسكاً بيدها نحو السماء!! ..

كذلك الطفلة هيا البالغة11 عاماً، كتبت وصية مازالت تعاود الظهور على صفحات ومنصات مواقع التواصل الاجتماعي، إذ بات متداولاً بكثرة عبر «الغروبات» العربية والأجنبية التي ترجمت نص الرسالة وتناقلته!!:

وصية مؤثرة لطفلة فلسطينية تعيش ويلات الحرب ويحيط الخراب والدمار بكل ما هو حولها تحرك مشاعر الكثير من «اليوتيوبر والبلوغر» والمؤثرين كتبت فيها بخط يدها البريئة: «مرحباً، أنا هيا وسأكتب وصيتي الآن نقودي 80 شيكلاً منها 45 شيكلاً لماما و5 لزينة و5 لهاشم و5 لتيتا و5 لخالتو هبة و5 لخالتو مريم و5 لخالو عبود و5 لخالتو سارة.

وتابعت: «ألعابي وجميع أغراضي لصديقاتي زينة وريما ومنة وأمل وملابسي لبنات عمي وإذا تبقى شيء تبرعوا بها للفقراء والمساكين بعد غسلها طبعاً وإكسسواراتي لبنات عمي وسارة وبنت خالتي هبة».

هي نصوص لا تخلو من البراءة، تخبرنا بكم المعاناة التي عاشتها طفلتان من أطفال غزة آثرتا التضحية ضمن سطورهما فنصا وصيتيهما يوحيان أنهما ستموتان أو تستشهدان بينما جميع أفراد عائلتيهما وأقاربهما على قيد الحياة وكلاهما تورثهم نقودها وممتلكاتها الغالية مع غياب واضح لنصيب الأب في وصية هيا الذي يبدو أن الطفلة آثرت فكرة الاستشهاد للحاق بوالدها وهذا ما جعلها تكتب وصيتها أمام ما تراه من حرب دائرة حولها يشنها الكيان المحتل!!

تلك اليد التي يفترض أنها تداعب خدود الورد وأكمامه تقطف التفاح وترقص تحت أشعة الشمس تداعب أصابعها قطرات الماء في جدول قريب تفكر كيف تلعب مع أصدقائها وكيف تساعد والدتها وإخوتها نسيت طفولتها! خرت طفولتها راكعة أمام قوة تلك الفتاة فتخطتها لتنضج قبل الأوان وبدل أن تذاكر دروسها وتكتب وظائفها قبل أن تخط اسمها على الرمل الفلسطيني قد كتبت وصيتها!!

كتبتها ليقرأها العالم وتنضم حروفها لقافلة التخاذل والتغاضي من إنسانية تآكلت أمام كم الويلات الهائلة، أمام أطفال غادرتهم طفولتهم، لفوا بأكفان بيضاء قبل الأوان بعمر أيام وساعات،

أطفال غادرتهم أمهاتهم وعائلاتهم تحاول أكفهم الصغيرة البحث عن بصيص أمل يحاولون مسك مشاعل الحرية ليضيئوا دروب الغد والانتصار لكنهم بجاهزية كاملة للالتحاق بذويهم وسط سبيل سماوي مفتوح لاستقبالهم مادامت البشرية جمعاء والمنظمات الدولية قد صمت آذانها، وعميت عيونها!

«سمك ميت يتنفس قشور الليمون» للروائي الراحل خالد خليفة
ملامح سياسية ونساء

بسام سفر - صحفي وكاتب من سورية

بعد وفاة الروائي والكاتب خالد خليفة في ايلول في عام 2023، صدرت روايته الأخيرة في أيلول في عام 2024، «سمك ميت يتنفس قشور الليمون « عن (نوفل دمغة الناشر هاشيت انطوان)، ويجعل العنوان إلى السمك في البحر السوري في المدن الساحلية، وأهم المدن الساحلية السورية هي مدينة اللاذقية التي تشكل فضاء الرواية، بينما كلمتي «سمك ميت «هم شخصيات فرقة المسوخ الغنائية المتواجدة في المدينة في ثمانينيات القرن الفائت، وكلمة «يتنفس»، أي يأخذ « شهيق، زفير،»من خلال قشور الليمون « عبر شخصية ماريانا التي في بينهما شجرة لليمون لكن الفرقة تمنت وعزفت أغنية ((لا تتركني وحيدة بين أشجار الليمون))

والروائي والكاتب والدرامي خالد خليفة كتب العديد من الروايات هي» الموت عمل شاق، مديح الكراهية، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، لم يصل عليهم أحد، دفاتر القرباط، حارس المذيعة، ونسر على الطاولة المجاورة))، وكتب العديد في الأعمال الدرامية منها «سيرة آل الجلالي، قوس قزح، حروف يكتبها المطر، أهل المدينة، الوردة الأخيرة، ظل امرأة، زمن الخوف، هدوء نسبي، المفتاح، والجزء الثاني في (العراب، نادي الشرق)».

شخصيات وملامح سياسية:

يتدخل الاسترجاع السردي بين الماضي والحاضر في كل فصل في فصول رواية «سمك ميت يتنفس قشور الليمون « من خلال شخصيات الرواية، يبدأ «سام» لينتقل إلى ماريانا، وبعدها موسى في الفصل الثالث، والرابع والأخير منال.

ينطلق سام من محل موسى للأحذية في شارع هنانو باللاذقية الذي تختار منه ميسون حذاء وعدها به موسى، ويسرد قصته أنس مأمون ومها العنبري طبيبة الأسنان، اللذان تزوجا وتظهر حياتهما عسل في عسل، لكن أنس بعد ستة أشهر يظهر قرب دكان والد سام مخموراً حيث تجتمع فرقة المسوخ ويخبرهم.

أن (مروة، حبيبته السابقة) لا تتركهما يمارسان الجنس، ومها حملت بعد سنة من زواجهما، بينما ازداد طيف مروة حضوراً حتى وصل إلى درجة هروب أنس الدائم من المنزل، ويتطلقا وتحتفظ مها بالطفل.

وينفتح سرد سام نحو علاقته بماريانا ومدينة اللاذقية التي هجرتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عبر زواجها بجورج في التاسع من أيار عام ١٩٩٠.

وينتقل للحديث عن لميس ابنة جيرانه التي كانت تدرس في جامعة تشرين في العام١٩٨٧, وعملت مخبرة، انخرطت وسط مجموعات طلابية معارضين يساريين، وخلال شهور قليلة أوقعت بمجموعة طلاب من سلمية كانوا ينتمون لحزب العمل الشيوعي، تقربت منهم، لبت دعوتهم للعيش في إحدى كوموناتهم المرتجلة، شاركتهم حياتهم ورحلاتهم.

كتبت تقارير يومية عن حياتهم وأفكارهم الهدامة، وسلمتهم باليد إلى موظف الشؤون الإدارية في المدينة الجامعية، المخبر الوسيط بينهما وبين الضابط المسؤول عنها.

تقيم لميس علاقة غير مكتملة مع منذر الحمصي عضو الحزب، وتعتقل المخابرات أكثر من أربعين شابا وشابة من كل أنحاء سوريا من بينهم «غسان حسون» ابن عمة سام فاطمة، بينما يهرب منذر عبر جاره الصياد الفلسطيني الذي أخفاه في حديقة منزله، و قادة في القارب إلى منزل بعيد عن المخيم، ذهب إلى دمشق وتخفى. ويفرج عن غسان بعد (١٥)عاماً من السجن.

ويذكر موسى ذلك في سرده عن تحولاته من محل الأحذية إلى الاهتمام بالموسيقا والفرقة نحو تحولاته السياسية، واللقاءات في مكتبة الشاعر منذر المصري «فكر وفن».

أما في الفصل التي تسرده منال يأخذ أفراد أسرته حيزاً كبيراً «الأب والأم» و» ريما ومنعم» الذي يتطوع في المخابرات، وتتحول شخصيته من إنسان بسيط عادي إلى شخصيته جلاد متوحش لا يشبع من الجلد والتعذيب والقتل حيث تمرس في التعذيب خارج أوقات التحقيق، ويستمتع بالتعذيب حتى يصبح مكون من مكونات شخصيته في أقبية الفرع الذي خدم به في دمشق قبل الانتقال إلى اللاذقية بعد أن تزوج أخت زميله غدير الذي يعمل معه في ذات الفرع.

ويدفع الروائي الراحل خليفة شخصيته منعم نحو الجنون والمرض بسبب الهوس والهلوسة والتضخيم الذي تعيش به الشخصية في حب القائد الدكتاتور الذي كان يحكم سوريا في عقد التسعينيات من القرن الفائت، هذه المغالات اجتاحت العديد من الشخصيات التي عملت بالأجهزة الأمنية ومع الأجهزة الأمنية، وصولاً إلى حالة فقدان الوعي تماماً، والتحول إلى شخصية مريضة خارج إطار المكان والزمان والوعي الإنساني والحياتي.

النساء في الرواية:

يمكن تقسيم حضور النساء في الرواية إلى جيلين السيدات الكبار في السن اللواتي شكلن ظاهرة خاصة بهن، وهن جيل الأمهات والجدات، وجيل نساء فرقة المسوخ وغيرهن.

يتكون جيل الجدات في الرواية، من مريم جدة ماريانا التي ربتها بعد وفاة زوجها جورجي الذي تزور قبره مع العمة جورجيت ووالد ماريانا، وكانتا منال ويارا تقضيان أوقات في بيت الجدة مع مارينا.

والجدة الثانية في الرواية هي جدة موسى ذات الشخصية القوية حيث أجبرت زوجها جد موسى على السفر للعشاء في فندق صغير بمدينة نائية، وهما عاشا زمن جميل، وهي غادرت البيت إلى كسب لان الزوج تخلى عن وعوده لها، بان يعيشا حكاية مختلفة عن الجميع. لكنها عادت إلى بيت العائلة بعد وفاة الجد.

ومن الأمهات اللواتي لعبنا أدواراً في الرواية السيدة (أمل، عمة سام) التي تحولت إلى سلطة حقيقية انتقلت لفيلا في منطقة يعفور، تبيع وتشتري كل شيء لصالح ابن أخيها اللواء مضر، كانت مفتاحاً آمناً مطيعاً، لا تطعن في الظهر، وتتحمل نزق ابن أخيها، وكل فترة حيث يمثلان دور المرأة التي تستغل نفوذ ابن أخيها دون علمه.

أما الخالة جورجيت (أم رورني) ساعدت في صعود فرقة المسوخ إلى منصة مسرح الكنيسة في أول أسبوع في نيسان من العام١٩٨٩، لأول مرة، وهي كانت تدلل سام كابنها روني، وتدلل الصبايا أقل من كلبها روكي الذي تتحدث عن سلالته ومزاياه كأحد أفراد العائلة، وتشتم الأديان والطوائف ببساطة وتكرهها، وتجاهر بأفكارها الملحدة.

والدكتورة شهناز الرشيدي صديقة جورجيت، وهن اللتان تعتبران تدمير الكورنيش الغربي وتوسيع المرفأ في اللاذقية تدمير للذكريات وانتقام مؤجل من عدو، وهي أم موسى تخرجت من الجامعة الأمريكية في بيروت في العام١٩٦١، وتخصصت في طب الأطفال في الجامعة ذاتها، تداوم في المشفى الوطني في اللاذقية، وعيادتها في ساحة الشيخ طاهر، وشهناز وجورجيت مخترعتا غرفة البصاق التي تتيح للنساء البصاق على كل ما هو غير راضيين عنه، هذه الغرفة عند انتشار أخبارها في المدينة استدعيتا إلى فرع الأمن بسبب غرفة البصاق والمظاهرة التي حاولتا الإعداد لها في دمشق.

ومن جيل الشابات ماريانا ابنة أخيها لجورجيت، وربتها جدتها وعمتها كابنة وحيدة لهما، كانت على علاقة مع سام، وتزوجت جورج وهاجرت معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أنجبت طفل وطفلة، حاولت عند عودتها إلى اللاذقية إعادة فرقه المسوخ إلى الحياة لكنها فشلت بسبب عدم رغبة روني، وموسى في إعادة وأحياء الفرقة، وبقيت تطمئن على يارا التي هاجرت إلى كندا وأصيبت بمرض عضال، ويارا درست الأدب الانكليزي، وأحبت روني.

ومنال كاتبة قصائد الفرقة أحبت وتزوجت من موسى الذي كان يذهب إليها في بيروت عندما غادرت مدينة اللاذقية وعملت في الترجمة من الإنكليزية، بعد تخرجها أدب انكليزي، في الرواية نجد (فراغ لقصيدة كان سيكتبها الروائي خليفة لشخصية منال)، لكنه رحل عن الحياة قبل كتابة القصيدة.

وكتبت منال قصائد عن الحب المعطوب والقلوب اليابسة والمدن المهزومة وأوراق الشجر الصفراء في الشوارع، وأنجبت منال ولداً، أطلقت عليه اسم ماري تيمنا ببوب مارلي. وفي بيت عائلة منال أختها ريما التي تعلمت الخياطة عند جارتهم الحلبية أم تحسين، تزوجت عدة مرات أولها في ٦ شباط من العام ١٩٨٣، من زوج حلبي وطلقها لاحقاً، بعدها عادت إلى اللاذقية وعاشت مع صديقاتها اللواتي كانا يحجزان طاولة في مقهى شارع الأمريكان الجديدة، كبنات العائلات الغنية، وتزوجت من أدهم الجبيلي العراقي وعاشت معه وتطلقت منه، وعادت إلى اللاذقية.

إن نساء رواية سمك ميت يتنفس قشور الليمون متنوعات جداً وذوات حضور استثنائي، فمن المخبرة في بداية الرواية إلى نمو شخصيتها لتصبح مذيعة في التلفزيون إلى الجدات اللواتي لم يكن حضورهن تزييني، وإنما أساسي وفاعل في سطور الرواية حيث لعبن دوراً في إعادة تركيب البناء الروائي وفق مواقفهن.

بينما السيدات في جيل الأمهات كن ذوات حضور نوعي وفاعل يعيد بناء خطوط روائية على أساس القناعة والحرية الفردية التي تمتعن بها، والمواجهة الجماعية. والخاصة الفردية في مدينة اللاذقية وفروعها وشخصياتها الأمنية.

أما جيل الشابات من النساء ذو الحضور الكبير والفاعل في سطور وصفحات الرواية لم يبدين اهتماماً سياسياً في الرواية كما جيل الأمهات، بل محاصراً بهمومه الذاتية الشخصية والأسرية، وحتى يارا التي هاجرت بقية مرضية في أوهام البلد.

أخيراً رواية سمك ميت يتنفس قشور الليمون للروائي الراحل خالد خليفة فضائها السوري الخاص في اللاذقية يعيد الاعتبار لأهم مدن الساحل السوري.

لقاء صريح مع صاحبة فيلم فلسطين 36

الكاتبة والمخرجة الفلسطينية آن ماري جاسر

عبد الرزاق دحنون ـ كاتب سوري

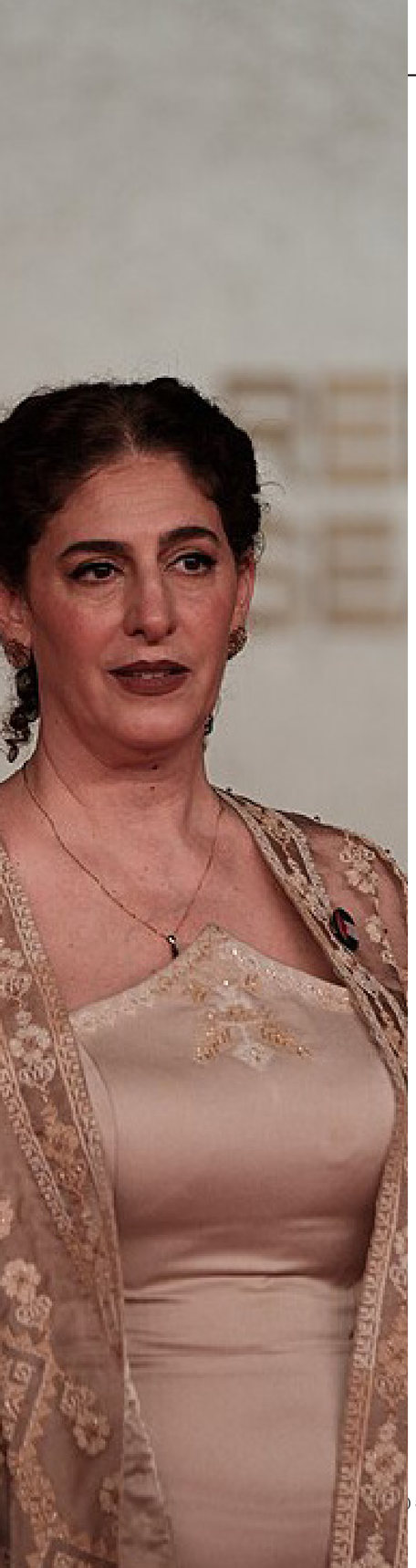

تُعدّ الكاتبة والمخرجة الفلسطينية آن ماري جاسر، المولودة في بيت لحم، من رواد جيل جديد من المخرجين الفلسطينيين الذين يحققون نجاحاتٍ باهرة بفضل أفلامهم المؤثرة. رُشِّح فيلمها « ملح هذا البحر» لجائزتين في مهرجان كان السينمائي، بينما فاز فيلمها الدرامي «عندما رأيتك» الذي شاركت فيه البطولة مع صالح بكري، بجائزة في مهرجان برلين السينمائي الدولي. والآن، يُعرض فيلمها الأخير « فلسطين 36 « الذي شارك في بطولته أيضاً صالح بكري، بالإضافة إلى الممثل الحائز على جائزة الأوسكار جيريمي آيرونز، في دور العرض الأمريكية.

كما يوحي عنوانه، يُجسّد فيلم «فلسطين 36» الذي اختارته فلسطين رسميًا لجائزة أفضل فيلم دولي في حفل توزيع جوائز الأوسكار، وفاز بجائزة أفضل فيلم في مهرجان طوكيو السينمائي الدولي فترةً محوريةً في نضال التحرير الفلسطيني المستمر. ووفقًا لكتاب رشيد خالدي « حرب المائة عام على فلسطين»، بحلول عام 1939، أرسل الجيش البريطاني «مئة ألف جندي إلى فلسطين، جندي واحد لكل أربعة رجال فلسطينيين بالغين. وقد استلزم الأمر كامل قوة الإمبراطورية البريطانية، التي لم يكن بالإمكان إطلاقها إلا بعد توفر المزيد من القوات عقب اتفاقية ميونيخ عام 1938 لإخماد الانتفاضة الفلسطينية».

في هذه المحادثة الصريحة، تُقدّم المخرجة آن ماري جاسر السياق التاريخي والإطار الذي تُجسّد من خلاله الانتفاضة الجماهيرية التي بدأت عندما كان ياسر عرفات ما يزال في السابعة من عمره فقط، وهي ثورة هزّت أركان أقوى جيش في أوروبا. وقد أجرى إد رامبل وهو مؤرخ وناقد سينمائي مقيم في لوس أنجلوس ومؤلف كتاب «هوليوود التقدمية: تاريخ سينمائي شعبي للولايات المتحدة» مقابلة مع آن ماري جاسر لصالح مجلة «جاكوبين» الأمريكية اليسارية. وهذه ترجمة عربية لهذا اللقاء الذي نُشر على موقع المجلة الإلكتروني:

■ **إد رامبل: أخبرينا عن خلفيتك الشخصية وكيف دخلتِ مجال صناعة الأفلام؟**

آن ماري جاسر: والداي فلسطينيان من بيت لحم. سيبلغ والدي التسعين من عمره، فقد وُلد عام ١٩٣٦، وهو العام الأول للثورة. أما والدتي فقد وُلدت في العام الأخير للثورة عام ١٩٣٩.

■ **إد رامبل: هل عائلتك مسيحية؟**

آن ماري جاسر: نعم. بعد احتلال فلسطين، واحتلال الضفة الغربية عام 1967، مكثوا هناك لبضع سنوات، ثم قرروا الرحيل بعد أن وجدوا عملاً في الخارج، ولم يرغبوا في تربية عائلة تحت الاحتلال. نشأتُ في السعودية، وعشتُ فيها السنوات الست عشرة الأولى من حياتي. ثم جئتُ إلى الولايات المتحدة، ودرستُ العلوم السياسية والأدب في كلية كليرمونت في كاليفورنيا، في جامعة بيتزر. تخرّجتُ من جامعة بيتزر بتخصص مزدوج، وكنتُ مهتمةً بالسينما في سنتي الأخيرة، وفكرتُ في تغيير تخصصي. فقال لي والدي: «لقد حصلتِ على تخصص مزدوج، اتركي الجامعة وأكملي دراستك». فانتقلتُ إلى لوس أنجلوس حيث عشتُ بضع سنوات أحاول تعلم صناعة الأفلام. كنتُ أتواصل مع الجميع بحثًا عن وظيفة، مساعدة إنتاج، أو أي شيء آخر. كانت تلك

سنوات صعبة للغاية، واكتشفتُ أن لوس أنجلوس لم تكن المدينة التي تناسبني. لم تكن لديّ العلاقات اللازمة، ولم أستطع دخول صناعة السينما، لذا كنتُ أعمل في وظائف متواضعة لم تُعلّمني شيئًا عن صناعة الأفلام. انتهى بي المطاف في وكالة أدبية تمثل كتّاب السيناريو، وبدأتُ بقراءة العديد من النصوص. مع ذلك، لم أشعر أن منظومة هوليوود بأكملها تُناسب نوع السينما التي أرغب في صناعتها. ثم التحقتُ بالدراسات العليا في جامعة كولومبيا بنيويورك، ودرستُ السينما. بعد ذلك، ذهبتُ إلى فلسطين، وأعيش فيها منذ ذلك الحين.

■ إد رامبل: يُجسّد فيلم «فلسطين 36» التاريخ ببراعة، لا سيما الأحداث التي قلّما سمع بها الغربيون. يميل الأمريكيون إلى الاعتقاد بأن بريطانيا كانت تعيش في سلام بين الحربين العالميتين، إلى أن دخلت الحرب مع النازيين عام 1939. لكن فيلمك يُظهر عكس ذلك. فماذا حدث في فلسطين عام 1936؟

آن ماري جاسر: في عام ١٩٣٦، كان البريطانيون قد تواجدوا في فلسطين لما يقارب العشرين عامًا. وكان هناك استياء عام من تصرفاتهم. في السنوات الأولى من السيطرة البريطانية - كحكم انتداب من عصبة الأمم- ربما كان هناك شعور بأن الأمور ستتحسن. لكنها لم تتحسن. لقد كان مشروعًا للسيطرة على الموارد والسكان. أيضًا، كان هناك، وأنا مندهش من قلة من يعرفون هذا، هجرة يهودية. لكنها كانت قبل المحرقة. نعم، لأنه كان هناك معاداة للسامية، ومذابح، وفاشية، وكان اليهود يفرون من أوروبا قبل المحرقة بفترة طويلة. يعتقد الجميع أنها حدثت لاحقًا، عندما غصّت فلسطين باللاجئين. كان اليهود يهاجرون. بالطبع، هناك جالية يهودية أصلية في فلسطين، لكنها كانت صغيرة جدًا. المجتمع الفلسطيني مختلط جدًا، يهودي ومسلم ومسيحي. إذا نظرنا إلى أعداد المهاجرين اليهود، نرى هذا التدفق الهائل. كانت هذه العوامل مجتمعة تخلق جواً متوتراً. كانت تلك بداية أول ثورة جماهيرية ضد الاستعمار البريطاني عام ١٩٣٦، والتي تضمنت إضراباً وطنياً كان الأطول في التاريخ آنذاك، إذ استمر ستة أشهر. كانت الثورة في الواقع على مرحلتين. بدأت عام 1936، حين بدأ البريطانيون يفقدون السيطرة، لأنها كانت ثورة يقودها الفلاحون. لم يتمكنوا من السيطرة عليها، فبدأوا يفقدون زمام الأمور. ثم جاءت لجنة بيل، التي حاولت إيجاد حل دبلوماسي، لكن اتضح أنه لن يكون هناك حل. ثم تأتي المرحلة الثانية من الثورة، والتي بدأت بعد لجنة بيل عام ١٩٣٧. حينها حشد البريطانيون آلافاً مؤلفة من الجنود والأسلحة والدبابات والطائرات، وقصفوا الريف. كان الهدف هو سحق الثورة بأسرع وقت ممكن. ويرى كثير من المؤرخين أن ذلك تم بأسرع ما يمكن لأن الحرب العالمية الثانية كانت على الأبواب، فكان لا بد من سحق هذه الثورة والانسحاب من هناك، باختصار.

■ إد رامبل: هذا هو السياق التاريخي للأحداث الواقعية التي تجسدها في فيلم «فلسطين 36» ، وذلك بالتركيز بشكل أساسي على عائلتين فلسطينيتين على الأقل. أمير وخلود مثقفان من سكان القدس، وهما من سكان قرية البسمة الريفية. تربط العائلتين صلة قرابة من خلال يوسف. حدّثينا عن هاتين الشخصيتين، وما مدى استنادهما إلى أحداث حقيقية؟

آن ماري جاسر: جوهر الفيلم هو سكان القرية الفلسطينية. يوسف وعائلته، ورباب «يافا بكري» وابنتها عفراء «وردى العلابوني، مع هيام عباس المولودة في الناصرة، والتي رُشحت لجائزة إيمي عن مسلسل Succession من إنتاج HBO ، حيث لعبت دور الجدة حنان»، والطفل الصغير كريم «ورد حلو» ووالده الكاهن «جلال الطويل» يلعب دور الأب بولس. هؤلاء هم سكان قريتنا. هناك خلود «ياسمين المصري، المولودة في لبنان» وأمير «ظافر العابدين، المولود في تونس المدينة» وهناك خالد «صالح بكري» وهو عامل في الميناء. تتشابك خيوط هذه الشخصيات جميعها. كان من المهم بالنسبة لي ألا يكون هناك بطلٌ واحدٌ يروي هذه القصة الكلاسيكية؛ حيث تتابع شخصًا ما من هنا وهناك، ثم تجد بطلاً واحدًا. لا وجود لبطل، إنهم مجرد أناس عاديين يعيشون لحظةً عصيبة، ويتخذون قرارًا. جميعهم يتخذون قرارًا، سواءً كان صغيرًا أم كبيرًا، صائبًا أم خاطئًا. يواجهون جميعًا التاريخ، فيفعلون شيئًا ما، ويتخذون قرارًا بشأن كيفية المضي قدمًا. جميع الشخصيات الفلسطينية خيالية، وكلها تنتمي إلى أماكن مختلفة. خلود، على سبيل المثال، الصحفية، هي مزيج من صحفية من الطبقة العليا وسيدة مجتمع كانت تعيش في القدس آنذاك، واشتهرت بحفلاتها مع البريطانيين. كانت النخبة الفلسطينية على صلة وثيقة بالبريطانيين. أما النساء الصحفيات في ذلك الوقت، واللواتي أسسن مطابع - ليس فقط في فلسطين، بل في لبنان ومصر أيضاً - فكنّ يكتبن بأسماء رجالية، لسببين: أولهما، ليؤخذن على محمل الجد في عالم ذكوري، وثانيهما، لأن هذه البلدان كانت خاضعة لأنظمة استعمارية، فالكتابة باسم مستعار عند توجيه النقد، في الواقع، كانت بمثابة حماية.

■ إد رامبل: وعندما نرى خلود لأول مرة، نجدها ترتدي ملابس الرجال. لماذا؟

آن ماري جاسر: نعم، بالضبط. لم لا؟

■ إد رامبل: إنه لأمر مثير للدهشة. تفسيري هو أنه بصفتها امرأة في مجتمع أبوي، كانت تضطلع بأدوار ذكورية كانت محظورة على النساء.

آن ماري جاسر: أجل. إنها تكتب باسم رجل. إنها تستمتع بذلك، وتلبس بدلة أمير. الشخصيات البريطانية الأربع في الفيلم مستوحاة من شخصيات تاريخية حقيقية. وينجيت «ضابط بريطاني وصهيوني مسيحي، يؤدي دوره روبرت أرامايو» كان شخصًا حقيقيًا، رجلًا عنيفًا ومختلًا عقليًا. نُشرت مؤخرًا بعض الوثائق التي تتضمن معلومات جديدة عنه؛ لقد كان أكثر جنونًا بكثير مما يظهره فيلمي. بالنسبة لي، كان شعره الطويل مجرد إضافة فنية، وليس وصفًا دقيقًا من الناحية التاريخية. كان دائمًا متسخًا، زيه العسكري متسخ دائمًا، ولم يكن يستحم أبدًا. كان معروفًا بذلك. لاحقًا، أطال شعره، بعد تسريحه من الجيش البريطاني، بل من فلسطين تحديدًا. أردتُ أن أشير إلى أنه كان خارج النظام، يعيش حياته كما يشاء في الريف. كان شعره غير المهندم وسيلةً للدلالة على ذلك - لكن لا يمكنك شمّ رائحته على الشاشة. شخصية توماس، سكرتير المفوض السامي، مستوحاة من شخصية حقيقية استقالت واعتنقت الفكر الماركسي. إنها قصة مذهلة. ذهب إلى هناك ظانًا أن النوايا حسنة، وأنهم يقدمون خدمة جليلة للسكان الأصليين، ثم أدرك تدريجيًا، من خلال مذكراته، أن المشروع فاشل وله أجندة خفية، وأنه لا يريد أن يكون جزءًا منه. في النهاية، استقال وأصبح ماركسيًا وناشطًا مناهضًا للاستعمار لبقية حياته. في فيلمي، يُدعى هوبكنز (يؤدي دوره بيلي هاول)، لكن اسمه الحقيقي هودجكين.

■ إد رامبل: يؤدي الممثل الحائز على جائزة الأوسكار، جيريمي آيرونز، دور السير آرثر غرينفيل واشوب، المفوض السامي البريطاني في الانتداب البريطاني على فلسطين. كيف تمكنتِ من اختيار نجم سينمائي لامع كهذا؟

آن ماري جاسر: لأنه متزوج من امرأة أيرلندية، وكنا عضوين في لجنة تحكيم مهرجان برلين السينمائي. كان آيرونز رئيسًا للجنة. لذا قضينا وقتًا طويلاً معًا وأصبحنا صديقين. كنت أكتب هذا المشروع في ذلك الوقت، وأخبرته عنه ذات يوم أثناء تناولنا الفطور، فقالت زوجته: «هذا رائع! جيريمي، يجب أن تشارك فيه!». سألني: «هل يوجد دور لي؟». فأجبته: « بالتأكيد، يوجد دور لك!». فقال: «دعني أقرأ السيناريو. وإذا كان مفيدًا، فأود المشاركة فيه». لقد كان دورًا رائعًا.

■ إد رامبل: يلعب ليام كانينغهام دور تشارلز تيغارت، خبير مكافحة التمرد الحقيقي الذي يشرح للمفوض السامي وغيره من المسؤولين البريطانيين في فيلمك ضرورة استخدام تكتيكات مكافحة الإرهاب الوحشية للغاية لقمع الثورة العربية. هل هذا المشهد إشارة مباشرة إلى مشاهد أخصائي التهدئة في فيلم جيلو بونتيكورفو عام 1966، معركة الجزائر؟

آن ماري جاسر: لقد تطرق الناس كثيراً إلى معركة الجزائر في سياق هذا الفيلم. لكنك أول من ربط الفيلم بتلك المعركة. نعم، أنت أول من أشار إلى ذلك تحديداً. هذا الفيلم شهادة حقيقية على الإبداع الفلسطيني، وعلى ما يستطيع الفلسطينيون فعله حتى في أسوأ الظروف. كدنا نموت أثناء تصويره، والآن نقدمه للعالم. كان تشارلز تيغارت أيرلنديًا. وقد ذُكرت أيرلندا في الحوار. لهذا السبب استمتع ليام كثيرًا بأداء ذلك المشهد. كان هذا الخبير في الهند، ثم جُلب إلى فلسطين. بنى مسيرته المهنية بالكامل على هذا الموضوع. كان هو أول من ابتكر فكرة الجدار، وليس الإسرائيليون، فقد فعلوا ذلك لاحقًا. كل ما فعله البريطانيون، نسخه الإسرائيليون ببساطة. وهناك حصون عسكرية في جميع أنحاء البلاد، من أجل إنشاء نظام السيطرة هذا، والذي يُسمى «حصون تيغارت». ولا تزال هذه الحصون قائمة حتى اليوم.

■ إد رامبل: هل هذا مشابه لبرنامج القرى الاستراتيجية في جنوب فيتنام؟

آن ماري جاسر: نعم. بالتأكيد.

■ إد رامبل: هل المقاطع التي تظهر في تلك الفترة هي لقطات أرشيفية حقيقية؟

آن ماري جاسر: أجل. في كل مرة ترى فيها نسبة العرض الأصلية للشاشة، فهذا يعني أنها لقطات أرشيفية حقيقية لم يتم التلاعب بها. لقد قمنا بترميمها وقمت بتلوينها؛ لم أكن أريدها بالأبيض والأسود.

■ إد رامبل: يبدو أن فيلمك يوحي بأن شعبين وقعا ضحيةً للهولوكوست. من الواضح أن الشعب اليهودي هو الضحية الأولى، ولكن الفلسطينيين تأثروا أيضاً بهجرة أعداد متزايدة من اليهود الفارين من النازية. وقدم الكثيرون إلى فلسطين، لا سيما مع لجوء دول أخرى حول العالم، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، إلى الهجرة إليها.

آن ماري جاسر: أغلقوا أبوابهم. بكل تأكيد.

■ إد رامبل: لكن بالطبع، لم يكن الفلسطينيون هم من ارتكبوا المحرقة.

آن ماري جاسر: فعلها الآريون الأوروبيون. ارتكبوا أبشع جريمة: المحرقة. ثم تنصلوا من مسؤوليتهم. وبدلًا من مواجهة عنصريتهم، ألقوا بها على الفلسطينيين، الذين لا تاريخ لهم في معاداة السامية. نحن ساميون أيضًا. كانت تلك طريقة الغربيين في التعامل مع الأمر: أن نتولى نحن الأمر. أغلقوا أبوابهم، وأغلقت الولايات المتحدة أبوابها. وهذا أمر سخيف. لم يقتصر المشروع الصهيوني على فلسطين فحسب، بل شمل العديد من المواقع الأخرى: الأرجنتين، وأوغندا، وفلسطين. وقُدّمت مقترحات كثيرة. أعتقد أن الأمر كان سيؤول إلى النتيجة نفسها في أوغندا، لو كان المشروع الصهيوني يهدف إلى تهجير السكان الأصليين. لكن في النهاية، وقع الاختيار على فلسطين. لم تكن فلسطين يومًا مغلقة أمام اليهود. لطالما توافد الحجاج اليهود إلى فلسطين، كما ذكرتُ سابقًا، هناك سكان أصليون. وهناك أيضًا يهود قدموا إلى فلسطين منذ مئات السنين، بالإضافة إلى المسلمين والمسيحيين. فرّ البوسنيون من الاضطهاد ولجأوا إلى فلسطين. فرّ الشركس من الاضطهاد ولجأوا إلى فلسطين -أتحدث هنا عن القرن التاسع عشر- فرّ الأرمن من الاضطهاد ولجأوا إلى فلسطين وعاشوا بين الفلسطينيين وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من نسيج المجتمع. ولو أن اليهود فعلوا ذلك -هربوا، ولم يكن لديهم مكان يذهبون إليه، واحتاجوا إلى الحماية، فجاؤوا كما فعلت العديد من المجتمعات- لكنا اليوم في وضع مختلف تمامًا. لم يكن المشروع الصهيوني يدور حول ذلك، بل كان يدور حول السيطرة والتجريد من الممتلكات.

■ إد رامبل: والتي سهّلها البريطانيون لمصالحهم الإمبراطورية الخاصة؟

آن ماري جاسر: بالطبع. لقد لعبوا على كلا الجانبين.

■ إد رامبل: ذكرتِ سابقاً لجنة بيل. أحد أكثر المشاهد الدرامية والمحورية في فيلمك بأكمله هو حفل عشاء تُعلن فيه نتائج لجنة بيل عبر الراديو في منزل المثقفين أمير وخلود في القدس. يُظهر فيلم «فلسطين 36» بوضوح أن البريطانيين، في ظل الانتداب البريطاني بصفتهم مستعمرين، منحوا الصهاينة معاملة تفضيلية لتحقيق مصالح لندن الاستعمارية. وبالنظر إلى الماضي، ومع الأخذ في الاعتبار المعاناة الهائلة التي تكبدها الفلسطينيون جراء أحداث الثلاثينيات التي صوّرها فيلمك، مرورًا بالنكبة، وصولًا إلى الإبادة الجماعية في غزة والاضطهاد المستمر في الضفة

الغربية، هل تعتقدين أنه على الرغم من سوء الصفقة، كان من الأفضل للفلسطينيين، في نهاية المطاف، لو قبلوا التقسيم المعروض؟ وكما يقول المذيع الإذاعي البريطاني عند بث نتائج لجنة بيل: «نصف رغيف خير من لا شيء».

آن ماري جاسر: أعتقد أن النتيجة كانت ستكون نفسها تمامًا. لا أفهم لماذا قد يوافق أي شخص على أن تقرر قوة استعمارية أو خارجية مصير العالم العربي وأفريقيا بأكملها. لم يكن لهم أي حق في ذلك. فلماذا يقبل أي شخص بهذا؟ هذا لن يحدث أبدًا. والآن، تسألون: هل كنا سنكون في وضع أفضل اليوم لو قبلوا بذلك؟ إن تقرير لجنة بيل والإعلان الذي يُبث على الراديو هو نصٌ حرفي لنتائجها، وليس من تأليفي. هذا الفيلم هو في الحقيقة شهادة على ماهية الإبداع الفلسطيني وما يمكن للفلسطينيين فعله، حتى في أسوأ الظروف. لم تكن لجنة بيل تمنح الفلسطينيين الاستقلال. لم يقتصر الأمر على التقسيم فحسب، بل شمل أيضاً عدم خضوع الفلسطينيين لحكم الفلسطينيين أنفسهم.

■ **إد رامبل: وسيتم إخراجهم بالقوة.**

آن ماري جاسر: نعم، لكنها ستخضع لحكم شرق الأردن. حتى لو تم فصل الجزء الفلسطيني، فلن يُدار من قبل الفلسطينيين، بل من قبل حكومة شرق الأردن، وهي حكومة موالية لبريطانيا. لم يكن استقلالاً بالمعنى الحقيقي. هذا أمر بالغ الأهمية. العرب ليسوا كتلة واحدة، ولا الدول الاثنتان والعشرون متشابهة. الأمر ليس متجانساً.

■ **إد رامبل: أين صورت فلسطين 36 ؟**

آن ماري جاسر: صوّرنا الفيلم في الأردن وفلسطين والضفة الغربية والقدس الشرقية ويافا وبيت لحم. لقد صُوّر هذا الفيلم في ظروف بالغة الصعوبة، واضطررنا للتوقف عن التصوير أربع مرات. كان الأمر مروعًا، لكننا واصلنا العمل. ما كان من المفترض أن يستغرق ثلاثة أشهر تحوّل إلى عامين تقريبًا من الكفاح لإنجاز هذا الفيلم، لأننا صوّرناه خلال فترة الإبادة الجماعية. يُعدّ هذا الفيلم شهادة حقيقية على الإبداع الفلسطيني وقدرات الفلسطينيين، حتى في أسوأ الظروف. كدنا نموت ونحن نصنعه. والآن نقدمه للعالم. نأمل أن يلتقوا بنا؛ فنحن نصنع الأفلام للتواصل. الأمر كله يتعلق بالتواصل. هذا التواصل لا يمكن قطعه. علينا أن نناضل من أجله.

■ **إد رامبل: يُعرض الآن المزيد من الأفلام في الغرب من إخراج مخرجين فلسطينيين وعرب، مثل فيلم «صوت هند رجب» . ما السبب برأيك وراء ذلك؟**

آن ماري جاسر: لا أعتقد أن هذا يحدث الآن. بل يحدث منذ زمن طويل. هناك موجة جديدة من المخرجين الفلسطينيين، وقد أُنتجت أفلام كثيرة على مر السنين. أعتقد أن عددها قد قلّ الآن. ومع ذلك، يعود السبب إلى شركة «واترميلون بيكتشرز» التي تتولى توزيع الأفلام. لطالما كانت هذه هي العقبة في أمريكا، ولطالما كان من الصعب على أفلامنا أن تُعرض في الولايات المتحدة. لقد تم استبعادنا من التوزيع في الولايات المتحدة. مُنعنا من الوصول إلى جمهورنا، ومُنعنا من عرض أفلامنا في دور السينما. هناك جهات تحكم في التوزيع، والآن، بفضل فيلم «واترميلون»، أصبح هناك توزيع لتلك الأفلام التي كان الآخرون يخشون الاقتراب منها. لقد حصلتُ على توزيع لأفلامي الأخرى، لكن عرضها في دور السينما معركة حقيقية. يجب أن يكون لديك موزع مستعد لخوض هذه المعركة. و»واترميلون» ملتزمة بذلك.

■ **إد رامبل: في حفل توزيع جوائز الأوسكار هذا العام، قال مقدم الحفل خافيير باردیم: «لا للحرب. حرية فلسطين!» ما رأيك في ذلك؟**

آن ماري جاسر: أعجبني ذلك كثيراً، وأعتقد أنه كان ضرورياً للغاية. كنت أتساءل لماذا كان حفل توزيع جوائز الأوسكار هادئاً بشكل عام، ولم يتحدث أحد. وليس الأمر مقتصراً على قضية فلسطين فحسب، فوضع العالم مزرٍ للغاية، إنها أحلك الأوقات في كل مكان. الحمد لله على خافيير، لأنه تكلم. وأتساءل لماذا لم يتكلم المزيد من الناس.

سؤال الحياة؛ والكتابة في رواية «جسر عبدون» لقاسم توفيق

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

في روايته؛ وفي صفحة العنوان (الغلاف)، كتب قاسم توفيق، وبخط كبير اسم روايته «جسر عبدون» وتحته بخط أصغر وبين علامتي تنصيص كتب «أكثر من رواية».

قاسم توفيق؛ هذا المصرفي المحنك استطاع أن يجذب القارئ من خلال عنوان كبير يحمل اسم حقيقي لجسر معلق في العاصمة الأردنية عمان؛ وهو جسر ما زال يثير كثيراً من الألغاز وكثيراً من الإشكالية الاجتماعية في الأردن؛ وبين المجتمع الأردني. واستطاع الكاتب أن يبحث في روايته عن قصة من خلال سؤال الحياة الفسيفسائية برؤية متشابكة تعكس حال التعقيد الذي تسرب إلى المشهد الذي نعيشه ونعانيه كل يوم. ربما كانت محاولة جادة للإحاطة بما يؤرقنا ويثقل كاهلنا في هذا الزمن المر وهذه الحياة المستعصية على الفهم والإدراك.

وقد جاءت الرواية في جزأين؛ وهي رواية طويلة نوعاً ما: الجزء الأول جاء بعنوان «أوطان صغيرة»، فيما الجزء الثاني جاء بعنوان «أوطان مهشمة»، ويأتي اختيار الكاتب هذه الصفة ليدلل على تشتت الشخصيات ومعاناتها وتفتت دواخلها. وجاء تحت كل جزء عناوين فرعية تعطي القارئ تلميحاً وأحيانًا تصريحًا بما يلي من سرد وأحداث. وكان السارد في جميع أجزاء الرواية مسيطرًا على العناوين الفرعية إذا جاز التعبير، بينما كان ضمير المتكلم من تولى عملية السرد في الرواية الداخلية وعلى لسان بطلها. وظلت شخصيات الرواية على مدار (352) صفحة تعاند أقدارها وتبحث عن طريق للخلاص ومخرج من المأزق الذي وجدت نفسها عالقة فيه. شخصيات متشظية تحاول لملمة أجزائها للوقوف في وجه مشاكل وإرهاصات الحياة. تمر بأزمات حادة تزلزل كيانها وتدفعها إلى تخوم بعيدة عن نقطة الاتزان النفسي والاجتماعي، تجذف ضد تيار ما لا يرحم، ولا ينظر في وجوه من يقعون فيه لأنهم مجرد أجسام تخضع لقوانين الفيزياء المجردة من المشاعر والأحاسيس.

وفي بدايات الرواية استطاع الكاتب أن يقدم شخصية نوح العكاوي ابن آدم العكاوي صاحب مطبعة العكاوي الذي ولد وعاش في عمان.

كما يقدم شخصية استثنائية تكشف عن الكثير من خلال رائف الساقي الشاب الذي اهتز من الداخل ولم يعد يحتمل الاكتئاب والسوداوية التي سيطرت على مشاعره والتي جسدها في كتابة روايته الوحيدة «الانحدار» التي ظن أنها ستعينه على تجاوز المرحلة، لكنه وقف على جسر عبدون في المشهد الختامي ونثر أوراقها فتطايرت في الهواء حتى حطت على الأرض وسط دهشة الجميع، وكأنه يلقي عبئًا ثقيلًا أتعبه لسنوات طويلة.

وجسر عبدون على أي حال هو معلم معماري بارز ينطوي على قدر من الجمال، ويشكل مدخلاً إلى حي عبدون الذي يعد من أفخم أحياء مدينة عمان للقادم من جهة الدوار الرابع، ومن هنا جاءت تسميته.

ولكن، ما الذي جعل الروائي قاسم توفيق يتخذ من هذا الجسر عنواناً لروايته؟ وما الأخبار والأفكار والمعاني التي أراد الكاتب توصيلها للقارئ عبر هذا الجسر؟!

ربما هناك لغز ما أو قصة داخلية عند الكاتب؛ تركها للقارئ إذا استطاع استنباطها من فحوى الرواية.

حفلت الرواية بالعديد من المشاهد المتداخلة، وإن كانت عمّان هي العامل المشترك بين هذه المشاهد فذلك لأنها شكلت نقطة البداية أو النهاية لكثير من الشخوص، سواء الذين غادروها وعادوا إليها، أو الذين راوحت حياتهم بين ظرف وآخر داخل هذه المدينة، إلا أن مشهدية الأحداث امتدت من «الدفة» (المدينة الخليجية المتخيلة) إلى الولايات المتحدة، مروراً بمصر ولبنان وإيطاليا، إضافة إلى عمان، وكانت عمان بسميائها وظروفها وأجوائها ومركباتها هي ما ترك معظم الأثر في نفسيات الناس وضمائرهم ومصائرهم.

رائف كاتب مغمور يدفع صاحب دار نشر مرموقة إلى قراءة مخطط الرواية التي كتبها، ويتجاوز بروتوكولات العمل في هذه الدار، وقد ترك صاحب الدار «نوح» هذه المهمة لمديرتها، إلا أنه يفاجأ بمضمون الرواية المقدمة ويعقد مقارنة بين بطل الرواية التي بين يديه ومشاهد من سيرته الذاتية تطوف بمخيلته وقد أنهى قراءة هذا العمل، فكان أن فاز الكاتب المغمور بلقب «صعلوك»، وعاد يحاول فك عزلة فرضها على نفسه لإنجاز هذا العمل، دون أن يحصل القارئ على أسباب تفسر هذه العزلة، فإلى أي شيء قادته محاولاته؟ يتناقض موقف الدار من هذا «الصعلوك»، وفي تفاصيل هذا التناقض يمر كاتب «جسر عبدون» بتفاصيل علاقات الكُتّاب بدور النشر وآمالهم وآلامهم، وما بين الجانب الثقافي والجانب التجاري لدور النشر تتحدد مصائر كثيرين من الطامحين لرؤية أسمائهم مطبوعة على كتاب على رف مكتبة أو حتى على واجهة كشك كتب على رصيف إحدى الطرق.

كما ضجت الرواية في كثير من المتناقضات والمصادفات والتساؤلات في محاكمة لسياق الأحداث، ليس بالضرورة للخروج بإدانة لشخص أو لجهة بعينها، بل هي ببساطة محاولة لفهم ما يجري من أحداث على امتداد جغرافيا العالم وإرهاصاته.

وفي إحدى صور الرواية يسرد قاسم توفيق على لسان صاحب دار النشر «نوح» المشاعر التي تدفقت عليه مع بدايات تشكل صحوته تجاه جماليات الحديقة في بيته: «يوشك أن يسقط على الأرض من دفق الأحاسيس التي تنهمر، أحلام حلوة وذكريات قديمة، طفولة ومراجيح وبيوت جيران، وبنات

يتباهين ببروز صدورهن، وفلك التي خانته بموتها المفاجئ».

وتطرق الكاتب على نحو محدود إلى بعض سلوكيات سارة وصديقتها «أودري» أردنية الأصل أمريكية المولد، وبطريقة أقرب إلى العفوية، كأنه أراد التنبيه إلى المخاطر المحتملة لنشوء هذه الأنماط من السلوك في المجتمع بتأثير العولمة.

كما استطاع الكاتب ومن خلال الولوج في فصول الرواية؛ والأقل حدة نصل إلى أزمة سلافة (مديرة دار النشر)، المرأة المتواضعة الجمال وعقدة الأب الذي هجر العائلة وتزوج من أخرى؛ وترك ابنته في أول شبابها أن تشق حياتها بنفسها دون أن يقف إلى جانبها. سلاسل تثقل كاهل الشخصيات وتضيق عليها ولا تمنحها فرصة للعيش والانطلاق في الحياة كما هي في الحياة الشائعة عند بنات جيلها، خاصة عندما ترى الاختلال في كل شيء حولها.

نوح أصبح يدير مطبعة أبيه التي تحولت بعد حين إلى دار نشر محترمة. وسلافة- مديرة دار النشر التي يمتلكها نوح العكاوي- صارعت الظروف الصعبة التي حاصرتها من كل اتجاه، قاومت ووقفت على قدميها لتعلن انتصارها المدوي على الحياة بالجد والاجتهاد والصبر وقوة التحمل، بينما كانت شخصية أبيها سلبية ومنهزمة.

نستطيع أن نقول، إن الرواية رغم كل هذا التناقض وذلك الاضطراب؛ ظلت تحافظ على قدر كبير من الجمالية والأسلوبية واللغوية والفكرية والفلسفية التي شكلت صور عدة من حكايات الناس خلف طقوس عمّان المدينة. مما يضعك أمام تساؤل كبير للفيلسوف الإيطالي أمبرتو إيكو: «كيف يستطيع نص ما أن يضع أمام أعيننا شيئا نصبح قادرين على رؤيته؟» فمثلاً في هذه الرواية تكتشف المدن وتطلع على أسرارها من خلال شخوصها، الذين يحمل كل واحد منهم حكايته الخاصة. كما أنك تستطيع الإلمام بملامح المدينة وحضورها من خلال النص؛ إذ تصطدم أثناء الاندماج في القراءة بمدينة «الدفة» المتخيلة، التي تعتقد لوهلة أنها موجودة فعلاً. فمثلما للواقع مدنه وتفاصيل حياتها، للروايات أيضاً مدنها، التي لا تقل أهمية من حيث حضورها الأدبي عن تلك التي نعرف، إذ تقول الرواية إن: «الدفّة المكتظّة بالأسواق التجاريَّة والبنوك والمطاعم ومحلات الملابس العالميَّة ومكاتب الطيران قطعة من الأرض لا تغيب عنها الشمس، فهي مُضاءة ومكتظّة بالبشر والحركة أربعاً وعشرين ساعة في اليوم».

ومن خلال هذه الفقرة يمكن أن نستشف أيضاً أن استحضار «الدفة» المدينة المتخيلة روائياً ليس فقط للحديث عنها كمدينة تعيش أعلى درجات التطور، بل إن فكرته تتجاوز ذلك، ليقول إن مجدها بُني بسواعد من يسكن أحياءها العشوائية، إذ لا يمكن الإيمان المطلق بفكرة الوطن الذي يتساوى فيه الجميع، بل إن الجزم بذلك ضرب من الجنون. وهذا ما يوضحه في هذه الفقرة التي يقول فيها إن «الضاحية التي تحتاج إلى الكثير من الخدم لتحافظ على جمالها وألقها، لا بدّ لها من وجود مُستوعَب يحتويهم، ومكان قريب يستريحون فيه، ويلتقطون أنفاسهم كي يظلوا قادرين على الخدمة من غير الطبيعي أن يُلقَى بهم في بركسات متنقلة في الصحراء».

يدرك الكاتب تماماً لماذا أراد الخوض في هذه المعادلة التي تبدو للبعض غريبة بعض الشيء، فهو لم يتناول فكرة المدينة من وجهة نظر عامة أي واحدة متطورة والأخرى فقيرة، بل نظر إلى الفرد القابع فيها، ذلك الفرد الذي يصارع آناء الليل وأطراف النهار من أجل تحصيل أبسط حاجياته اليومية، لكنه في المقابل ساهم في جعلها مدناً مشتهاة، فالفكرة التي تخطر على بالنا من أول وهلة حيالها أنها توفر كل وسائل الرفاهية، ولا أحد فيها يعاني، لكن في حقيقة الأمر أن الجهد الكبير الذي يصنع بهاءها وراءه عمال يأخذون مبالغ زهيدة لا توفر لبعضهم حياة كريمة. ولربما اختلق هذه المدينة ولم يأت على ذكر اسم مدينة حقيقية، كي لا ينصبَّ اهتمام القارئ المحمل بأفكار مسبقة على مدينة بعينها، بل أراد لفكرته أن تكون أكثر اتساعاً، ففي كل مكان هناك أشخاص هامشيون يحركون الأشياء بصمت، ويرحلون بالصمت ذاته.

وهنا؛ يحاول الكاتب أن يوُجد الأدب الذي يتجاوز الحكايات العادية ليطرح التساؤلات، لكن في المقابل حين أتى الكاتب على ذكر المدن الموجودة خارج الأدب، كان وفياً لما يمكن أن تخفيه تلك المدن، إذ يتحدث في الرواية عن عمّان العاصمة الأردنية؛ ومشاكل الفرد الأردني التي يشترك فيها مع الكثير بقوله: «كلّ ما في الأمر أنّ الجلسات التي كانت تجمعهم ليست عبثاً ولا ترفاً، وإن كانت طقوسها تحكي أنها كذلك، فقد كانت في حقيقتها مساحة الحرية الضيقة التي يترقبّونها كلّ أسبوع للراحة والتنفيس عن قهرهم من فوضى العيش الذي صار علامة بارزة في عمّان، المدينة التي لم تعد تبيت ليلة دون أن تحمل في داخلها أخبارًا وأحداثًا مؤلمة».

وكتأويل لرمزية العنوان التي تذهب إلى «جسر عبدون»، والذي يشهد كثير من حالات الانتحار، هو تعامل الإنسان مع ما يزعجه وكيفية تخلصه من كدر الحياة المزعجة، فالرواية تناولت شخصية رائف الذي تخلص من أوراق الرواية من أعلى الجسر، في حين اعتقد كل من رآه أنه يحاول الانتحار، هنا فكرة الجسر كوسيلة للخلاص.

لقاسم توفيق تصوره الخاص عن العزلة، فهو يرى أن «كلّ من اختاروا العزلة لم يكونوا وحيدين بل كانوا متّحدين مع النجوم والكواكب والحيوانات والطيور والحشرات والنباتات، حتى إنّ اعتزال الفلاسفة والمفكرين ليس حقيقة، فلا بدّ أنهم كانوا مع عشرات بل مئات الكتب.»

وهنا؛ أجاد الكاتب توصيف الواقع الذي لا يلحظه أغلبنا. وهذا ما نلمسه في الرواية التي يدعو فيها الكاتب إلى التحلي بالوعي الإنساني الذي يجعلنا نلمس الأعذار لغيرنا.

وفي سؤال الحياة في رواية «جسر عبدون»، تحاول أن تحتفي بكل ما في الحياة من جماليات وانتصارات ومتع وأفكار نبيلة، دون إغفال ما يسود الحياة من فساد وخيبات وانكسارات، وهي سردية بانورامية ممتعة، تحضر فيها سير شخصيات تخوض مغامراتها على مسرح واسع للأحداث بين مكانين «الدفة»، «عمان». وهي فعلاً أكثر من رواية في رواية واحدة. وهي رواية شاسعة تطرح أسئلة كثيرة وقضايا ملحّة تجبر القارئ على الالتفات لتأمّل ما يحدث، وربما يعيد القراءة في بعض المواضع، وربما يقفز عن اللغة في مواضع أخرى ليصل إلى الحدث، مبيناً أن المؤلف في هذه الرواية كان يبحث عن فسيفسائية برؤية متشابكة تعكس حال التّعقيد الذي تسرّب إلى المشهد الذي نعيشه ونعاينه ونعانيه؛ وهي رواية تكشف انعكاسات الآليات الاجتماعية الناجمة عن تطور العصر.

جدير بالذكر أن قاسم توفيق ولد عام 1954، وحصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من الجامعة الأردنية عام 1978، وقد حصل على جائزة كتارا للرواية العربية (2018) عن روايته «نزف الطائر الصغير»، وأصدر مجموعة كبيرة من الروايات والمجموعات القصصية خلال الفترة الممتدة بين العامين 1987 و2021، كان آخرها حانة فوق التراب (2015)، و»ميرا» (2018)، و»نشيد الرجل الطيب.»

المؤلف والملحن والموزع الموسيقي

حسين نازك

حارس الذاكرة والتراث الموسيقي الفلسطيني

موسى مراغة ـ كاتب سياسي فلسطيني - سورية

حسين نازك الذي سجل اسمه في صفحات المؤلفين الموسيقيين الخالدين عبر رحلة امتدت لأكثر من 55 عاماً أثرى فيها الذاكرة الفلسطينية من أغان وألحان وأناشيد وطنية وقومية يذكر منها:

يا شعبي يا عود الند – يا أغلى من روحي عندي

والله لازرعك بالدار يا عود اللوز الأخضر

هذا هو العرس الذي لا ينتهي – هذا هو العرس الفلسطيني

من سجن عكا وطلعت جنازة محمد جمجوم وفؤاد حجازي

أشهد يا عالم علينا وع بيروت، أشهد للحرب الثورية

ومئات أخرى من أغان وأناشيد لا يتسع المجال لذكرها هنا. عندما نذكرها يتبادر إلى الذهن مباشرة صاحبها الذي أبدعها وصاغ ألحانها العذبة والمؤثرة. إنه الملحن والمؤلف الموسيقي المقدسي حسين نازك والذي تمر ذكرى رحيله الثالثة في الخامس والعشرين من أيار.

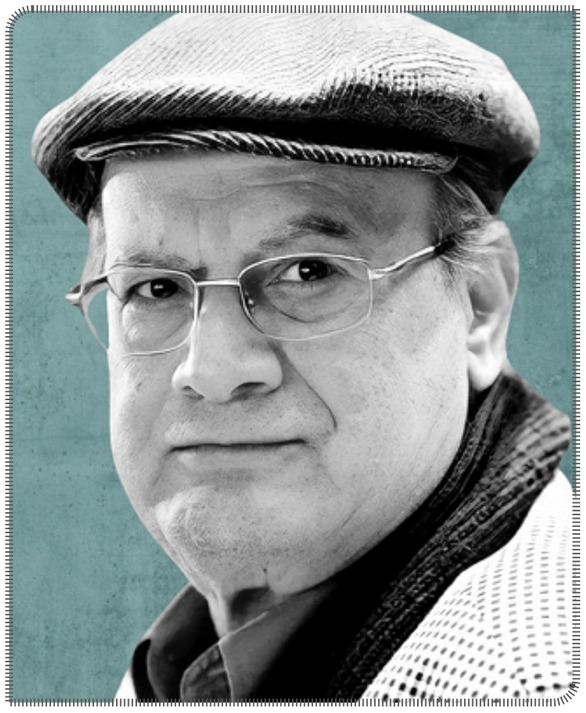

و جسدت الكثير من اللوحات الفولكلورية تاريخ وعراقة وهوية الشعب العربي الفلسطيني. وأصبح اسم حسين نازك على كل شفة ولسان كصانع موسيقى وألحان عبرت عن نضال شعبنا الفلسطيني وأرّخت لكفاحه المستمر لأكثر من مئة عام. وله يعود الفضل الكبير في حفظ وإعادة نشر التراث الغنائي الفلسطيني وهو الذي ألف ولحن ووزع مئات الأغاني وألف الموسيقا للسينما والدراما والمسرح وبرامج الأطفال.

ولد الموسيقار الفنان حسين نازك في إحدى حواري مدينة القدس (باب حطة) في العام 1942، وفيها تلقى علومه الموسيقية الأولى على يد استاذه الملحن يوسف خاشو، وبعد انتقال حسين نازك بعد العام 1967 إلى الأردن تتلمذ وأخذ أصول الموسيقا الشرقية من أستاذه الموسيقي الشهير يحيى السعودي.

وحل الموسيقي الشاب حسين نازك في العام 1969 في دمشق، وفيها كانت انطلاقته الفنية حيث عمل بداية كعازف في العديد من الفرق الشرقية والغربية، ورغم انشغالاته تلك لم تكن هذه الموسيقى لتروي ظمأ الموسيقي الفلسطيني ولا لتحقق ما كان يصبو إليه. وكان دائب البحث عن عمل وأسلوب فني موسيقي يعبر عن شخصيته الفلسطينية ويحقق أحلامه في العمل في مجال التلحين من أجل فلسطين. وكانت البداية حين ألف الموسيقى والأغاني لمسرحية حملت عنوان (المؤسسة الوطنية للجنون) من تأليف الشاعر سميح القاسم وإخراج فواز الساجر لصالح دائرة الثقافة والاعلام في منظمة التحرير الفلسطينية. واشتهرت أغاني تلك المسرحية ولعل أبرزها: والله لازرعك بالدار يا عود اللوز الأخضر.

ولعل العام 1979 شكل نقلة نوعية في أعمال الفنان الشاب

المنطلق بقوة في عالم التلحين والأغنية الفلسطينية، وذلك عندما أسندت إليه مهمة تلحين أغاني مسلسل (بأم عيني) والمأخوذ عن كتاب المحامية فاليسيا لانغر الذي صور لحياة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الصهيونية. وكانت أغاني المسلسل من نظم الشعراء محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، أحمد دحبور، وأبو الصادق.

ومن أشهر تلك الأغاني: العرس الفلسطيني – يا دامي العينين والكفين.

وعلى أثر نجاح تلك الأغاني برزت فكرة تأليف فرقة غنائية فلسطينية ولتقع المهمة على حسين نازك الذي أسس فرقة أغاني العاشقين والتي شكلت علامة بارزة في مسيرة الغناء الوطني والشعبي الفلسطيني.

وفي العام 1981 يتصدى حسين نازك لتلحين أغاني مسلسل (عز الدين القسام) وفيه قدم نازك عدداً كبيراً من الأغاني والأهازيج الشعبية الفلسطينية ذات النمط الشعبي من أشهرها: هدى البلبل ع الرمان، وجفرا.. أبو إبراهيم ودع عز الدين. ولعل أشهر ما قدم المسلسل الأغنية الذائعة الصيت (من سجن عكا) والتي صورت إعدام الأبطال الثلاثة عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي.

وقدم حسين نازك ومن خلال فرقة أغاني العاشقين عملاً آخر اسمه (ظريف الطول) صور فيه فنياً وموسيقياً العمليات الفدائية وانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة. من أشهر أغاني ذلك العمل: دوس ما أنت دايس ع الزناد – قيدي يا نار الثورة.

وفي العام 1982 قدم الملحن والمؤلف الموسيقي حسين نازك عملاً جديداً أطلق عليه (الكلام المباح) وفيه وثق عبر الأغاني والألحان الاجتياح الصهيوني للبنان وصمود المقاومة الفلسطينية ومعارك بيروت والجنوب، وتعد أغنية (أشهد يا عالم علينا وع بيروت) من أشهر تلك الأغاني، بالإضافة إلى أغان مثل سجن أنصار، شوارع المخيم، وردة لجريح الثورة وغيرها...

ويواصل المؤلف والملحن الموسيقي حسين نازك إبحاره في عالم اللحن والموسيقا عندما أوكلت إليه وزارة الثقافة في سورية مهمة تشكيل (فرقة زنوبيا القومية الحديثة) وظل يديرها ويضع برامجها ويؤلف موسيقاها إلى العام 2002.

لم يتوقف نشاط حسين نازك عند تأسيس الفرق الفنية والموسيقية وتلحين الأغاني والأناشيد، بل عمل أيضاً في وضع وتأليف الموسيقى التصويرية للعديد من الأفلام السينمائية الروائية والوثائقية ومن الأفلام السينمائية التي وضع لها الموسيقى الأرجوحة اخراج هيثم حقي – الاتجاه المعاكس اخراج مروان حداد – بقايا صور للمخرج نبيل المالح – الرأس من اخراج فيصل الياسري.

وفي مجال الأفلام الوثائقية وضع نازك موسيقى فيلمي (اليوم الطويل) و (مذكرات وطن) من اخراج امين البني – الحرب الخامسة ويوم الأرض من اخراج غالب شعث.

أما في الدراما التلفزيونية فقد ألف ووزع حسين نازك موسيقا حوالي 32 مسلسلاً سورياً وأردنياً وفلسطينياً من أهمها: انتقام الزباء، طبول الحرية، هارون الرشيد، وحرب السنوات الأربع – المغنون. كما وضع الموسيقى التصويرية ولحن الأغاني في الكثير من المسلسلات والبرامج الخاصة بالأطفال، وفي مقدمتها برنامجي (افتح يا سمسم) و (المناهل). وفيلم عروس البحيرة.

لم يكن المسرح غائباً عن اهتمامات حسين نازك، إذ ألف ووزع موسيقى 26 مسرحية أشهرها: أوديب ملكا، الغرباء، الملك هو الملك، ليلة مقتل جيفارا، والكرسي.

واهتم نازك خلال مسيرته الفنية بالأناشيد الوطنية والقومية، فقد أعاد توزيع أشهر تلك الأناشيد ومنها: بلاد العرب أوطاني، موطني، في سبيل المجد، نحن الشباب. كما أعاد توزيع النشيد الوطني الفلسطيني فدائي.

وفي فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولى قدم حسين نازك مجموعة أغاني المدن الفلسطينية وعددها 32 أغنية صاغها شعراً ناهض منير الريس. ومنها أغاني مدن: القدس، غزة، الخليل، يافا، بيسان، صفد، وغيرها.

وعام 2009 قدم حسين نازك عملين موسيقيين الأول (شموع مقدسية) وهو بانوراما لأشهر الأغاني الفلسطينية، والعمل الثاني فهو مسرحية موسيقية مغناة (واسطة العقد) بمناسبة دمشق عاصمة الثقافة العربية.

والجدير بالذكر أن نازك كان قد قدم عملاً غنائياً موسيقياً لفرقة فلسطينية في الشتات حملت اسم (ربيع العاشقين) وعملاً آخر لفرقة (الزبادنة) في الأرض المحتلة.

وفي العام 2015 كلف حسين نازك من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمهمة إحياء وجمع التراث الفلسطيني الغنائي والفلكلوري المكتوب والمسموع والمرئي والأرشيف الوطني.

وفي 2023/5/25، في العاصمة السورية دمشق، تفيض روح حسين نازك إلى بارئها، ويرحل نازك جسداً، ولكن أعماله وآثاره باقية في القلب والروح والذاكرة، تحفظها وتتناقلها الأجيال، لتبقى مؤرخة لنضال وكفاح الشعب الفلسطيني من خلال اللحن والأغنية والنشيد ولتبقى فلسطين حاضرة في الذاكرة والوجدان على مر العصور.

مجازر مُخيّم جباليا.. قصص وثائقية

غرز الدين جازي – ناقد أدبي- سوريا

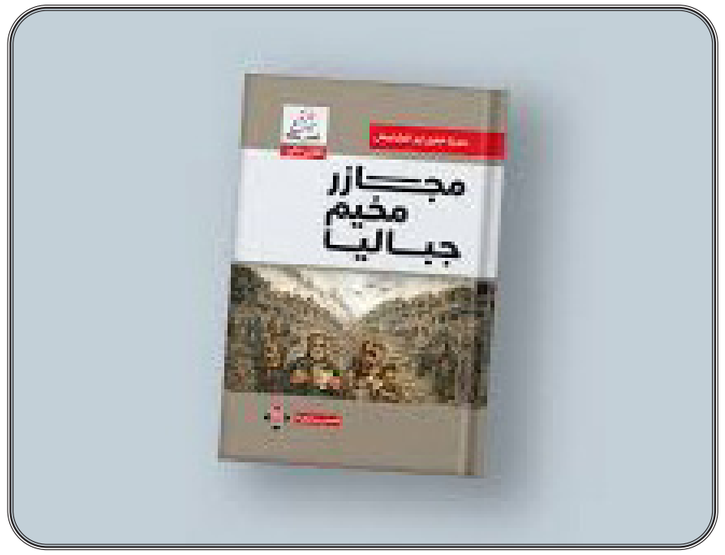

يُسطّر الصحفي الفلسطيني حمزة خليل أبو الطرابيش وثائق مجازر الاحتلال الإسرائيلي في الكتاب الأول في سلسلة مبادرة «غزّة تبدع»، هذه المبادرة الثقافية المستقلة التي انطلقت لنشر «12» عملاً إبداعياً لكتّاب وكاتبات من غزّة.

حمزة خليل أبو الطرابيش، كاتب وصحفي فلسطيني، يعيش الداخل بكلّ ألمه ولحظات الموت الماطرة من أسلحة العنصرية الإسرائيلية التي لا تُميّز بين البشر والحجر.

رسمَ الشهداء بدم قلمه.. دوّنَ سجلّ تاريخ لم ولن يُمحى من ذاكرتنا..

ألمُ الجوع والحصار، ألمُ الموت، ألمُ فقدان العوائل والأُسَر، ألمُ التدمير والعراء الفاضح..

عزاؤنا: الشهادة لمن غادر، الرسوخ والنضال لمن بقي منا..

وأكثر من ذلك: فلسطين الولاّدة لم تفتر لحظة عن إنجاب حلم العودة.

يقول أحمد الشيخ في التصدير لهذه المجموعة القصصية: «ليتني ما كُتبت لي الحياة لأقرأ ما كتبه حمزة خليل أبو الطرابيش».. جميلة هذه النفحة الوجدانية الإنسانية التي تحمل بعداً واسعاً لإبادة تعرّضت لها غزّة في مقتلة تفوق التصوّر الإنساني..

أقابلها بلوعة وتصميم: «ليتني كُتبت لي حيوات تتسع لسرد مقتلة وإبادة تعرّضت لها غزّة وكلّ فلسطين، لعلّ ضمير العالم يصحو إن اعاد قراءة التاريخ بعيداً عن الانضواء تحت الخذلان».

يستشهد الكاتب بمقولة الشاعر أحمد بخيت وآية شعره المُقدّسة:

«ولدماء طفل في شوارع غزّة،
أَقِم الصلاة..
فكلّ طفل بغزة: قِبْلَة..»

يؤكد الكاتب والصحفي حمزة خليل أبو الطرابيش، أن «هذه النصوص عبارة عن قصص صحافية إنسانية، جرى توثيقها أثناء الإبادة على قطاع غزّة.. توثّق المجازر التي وقعت في اليوم التالي من «مذبحة السنايدة»، وتحديداً في الحيّ الملاصق لها، والذي يُعرف بـ «بلوك 7» الذي أُبيد عن بكرة أبيه على دفعتين»

تُرى هل بقي في المُقلة دمع يكفي لرثاء غزة؟

حمزة، لم تخذل دم الشهداء، ولم تتراخَ.. كان وقتاً لاستعادة أنفاس حياتك التي نَجت.. أعدت ترتيبها.. ولهول الفاجعة لم تخرج الكلمات من فوهة بركان غضب ذاتك المناضلة.. بشاعة المجازر، والإبادة.. لانعدام كل ما هو إنساني لدى المحتل الإسرائيلي، ذابت الكلمات تحت هذا الوقع، استعداداً للولادة.

يكفيك حمزة، شرف الكتابة أن تكون شاهداً وابن شهيد.

حيّ «السنايدة» أكبر مجزرة:

حيّ «السنايدة» الذي تقارب مساحته ملعب كرة قدم، يرتقي فيه أكثر من /600/ شهيد في لحظة لم تتعدّ الدقيقة.. طائرات الإسرائيليين الحربية حصدت أرواحهم بسلسلة أحزمة نارية.

حيّ «السنايدة»، مجتمع متكامل، فيه الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، مختلف المهن والوظائف، راحوا ضحية إبادة همجية، أقاربهم ينتظرون زوال رائحة الجثث لينتشلوها من تحت الأنقاض.

يُوثّق حمزة أبو الطرابيش مجازر العدو الإسرائيلي البشعة التي يندى لها جبين العالم أجمع في ظلّ تخاذله وصمته، أو الشجب والاستنكار على استحياء.. يوثّق مجازر الإبادة الجماعية لتبقى شاهداً على همجية وجرائم العدو، ولتبقى ندبة في صميم ضمير العالم رغم الاحتجاجات والمظاهرات التي عمّت شوارعهم ممن قادهم ضميرهم للتعبير عن تضامنهم مع فلسطين وما عاناه شعبها.

نجت عائلته بأعجوبة، نصف الحيّ شهداء، والنصف الآخر قضت عليه إسرائيل، واستشهد من تبقى على قيد الحياة، ارتقوا ولم يبقَ منهم سوى الذكرى، وغصّة الألم، وتراكم الغضب.

حيّ «السنايدة» لا يختلف عن كافة أحياء غزّة..

بلوك /7/ على الضفة الثانية من شارع «الهوجا»، يقطنه خليط من الأسر من مناطق مختلفة من فلسطين، ارتكبت إسرائيل مجزرة فيه راح ضحيتها عوائل بأكملها ومُسحت من السجل المدني.. خمس وستون شهيداً في منزل واحد مكوّن من عدة طوابق.. نصف الحيّ شهداء، والنصف الآخر إما مصاب أو مصدوم بعد خروجهم أحياء من بين الأنقاض.

ولم تتوانَ إسرائيل عن تكرار مجازرها برعونة الإجرام، فقضت على الجزء الثاني من الحيّ، واستشهد من تبقى على قيد الحياة في المجزرة الأولى، مسحَ الجيش الإسرائيلي الحيّ على دفعتين.. عزاؤنا معك حمزة، صرخة الشهداء تصمّ آذان العالم، تقرع أذهانهم:

«ظلوا اكتبوا عنّا، ما تنسونا، إحنا مش أرقام، إحنا عشّاق حياة».

لا حاجة للتعريف بأبيك يا حمزة، نعم، هو الشهيد بضحكته، إصراره على البقاء في مخيّم «جباليا» وصية تتسلل لكل وجدان من لامس هول «المقتلة»:

«حاول أن تتقي الله يا حمزة وين ما تكون، وحافظ على أمّك، وعلى أخوتك».

هو أول شهيد لعائلة حمزة التي ارتقى منها خمس وعشرون شهيداً لحملة إبادة استمرت أكثر من خمسمئة يوم على مخيّم «جباليا».. خليل أبو الطرابيش، مربي أجيال، مفكّر، أمضى عمره بين الكتب، يمتلك حس التحليل السياسي رغم أنه لم يُكمل المرحلة الابتدائية، ويُؤمن حتمياً بزوال إسرائيل.

مقولته «لا وقت للوقت» التصقت به، فهو الخطيب، والمفوّه، والمتحدث اللبق، يوصل المعلومة بكلمتين مختصرتين، يرى الاستعمار الصهيوني استعماراً فكرياً يتطلب وعياً وقيماً أخلاقية تتصدى له وتواجهه، هكذا تناول حمزة خليل أبو الطرابيش سيرة والده، الشخصية الفلسطينية بكل زخمها وتجذرها في الأرض في تنشئة عائلته.

ابنه حمزة، كان مشروعه الفلسطيني الخاص، ليشمل المشروع الفلسطيني العام بكل وجوده ورسوخه وتغلغله في تراب الوطن..

اهتم به في كل مراحله العمرية، ولكل مرحلة برنامجها الخاص وفقاً لخبرته ومفهومه..

اهتم به في الجوانب الثلاثة التي رسمها في مخيلته: «الجسد، النفس، الروح»..

علّمه أن يقرأ قصص الأنبياء بوصيته عميقة الرؤية في القراءة والاستنباط:

«يا حمزة، لا تتعامل مع قصص الأنبياء على أنها قصص تعامل على أن كل الأنبياء هم أنتَ، ويجب أن تتقمص شخصية كل نبي حتى تتعلم منه».

علّمه ممارسة الرياضة بكل صنوفها..

خصص له وقتاً لتحسين خطّه بالكتابة..

كان فلسطينياً متجذّراً في هويته وترابه، يحاول إيصال روحه الفلسطينية بكل أبعادها الفكرية والثقافية، والأهم بناء الجيل الفلسطيني الحق:

«لكي تنال فلسطين التحرير، يجب على كل فرد فيها أن يقدّم ما عنده، ويجتهد في مجاله، ويرفع من مستوى وعيه على كافة الأصعدة».

تدرّج في تربية ابنه حمزة منذ طفولته:

«الوعي، ثم تقويم الجسد والعلم، ثم مرحلة ضبط النفس، والتحكم بالمشاعر، وتعزيز الأخلاق، وصيته: انزع ذرّة الكِبْر وكن رحيماً مع من حولك».

نمت العلاقة بينهما، وامتدت وشائجها لتصل إلى لغة النظرات دون التفوّه بالكلمات:

«نجلس مع بعضنا ساعات متواصلة دون أن يتكلّم أحد فينا، كانت النظرة كافية لفهم مقصد والدي».

رحل الأب، رحل المعلّم الفلسطيني، بين دموع حمزة وألمه، وعينه التي تلتقط صور الإبادة الإجرامية، كان الفلسطيني خليل أبو الطرابيش يقرع ذهن ابنه حمزة في المنام:

«هناك ألف مقاتل في مخيم جباليا، وكاتب واحد».

استيقظ حمزة أبو الطرابيش، التقط الإشارة، ووُلد الكاتب، كانت فلسطين الولاّدة تبث وثائقها مخاضاً في أدبيات حمزة وقصصه الصحافية.

هذه ركيزة الصحفي حمزة أبو الطرابيش في مجموعته القصصية، ينطلق منها عبر المجازر والجرائم اللاإنسانية التي نفّذتها إسرائيل بحق شعبنا روحاً وجسداً وحجراً ومؤسسات، لم يسلم من تدميرها المشافي ولا المدارس.

يُسطّر حمزة أبو الطرابيش حقبة فلسطينية تكراراً لكل ما سبقها من حقب فاض فيها الدم الفلسطيني أنهاراً سيغسل أرواح الشهداء، ويسم عورة ضمائر ماتت ولم تحرّك ساكناً.

الإصرار على البقاء، الإمعان في التجذّر والنمو، الطلقة والكلمة، لا بديل، فالجميع قد رحل أو أوشك على الرحيل، وحده الرحم الفلسطيني ينجب وطناً لا مساومة عليه، ولا فيه، ولا عنه.

الأدب الفلسطيني توثيقاً هو حاجتنا لحفظ الهوية الفلسطينية- ذلك لكونه يتعامل مع الحقائق والأدلة والشهادات، ويكشف المعلومات ووجهات النظر، وهو في ذلك يتفاوت بين المراقبة دون تدخل، أو المقابلات للمقارنة مع الملاحظات، وفي ذلك لامس الكاتب حمزة أبو الطرابيش في مجموعته القصصية الموضوعية في معالجة قضية وطنه الفلسطيني بكل أبعادها الإنسانية والوجودية بطرق التوثيق المعهودة من تسجيل وكشف وحفظ وإقناع، وترويج وتحليل وتعبير، مستخدماً السرد الحكائي البسيط المُعبّر عن ألم الروح والجسد بما يتناسب مع هول المجازر والإبادات التي ترقى إلى جرائم إنسانية تُصرّ دولة الاحتلال على ارتكابها بحق شعبنا وسط الصمت المطبق من العالم.

هكذا تتوالى قصص حمزة أبو الطرابيش في وثائقيات فلسطينية وجدانية تزخر بروح الأدب وسلاسة المفردة، ومداعبة حبكتها وجدان القارئ الذي يعجّ بمختلف صنوف الألم والقهر دونما تخاذل ولا انكسار، بل إصرار على استعادة حقنا المغتصب مهما طال الزمن.

تمتد لغة الكاتب لتطال جذور العوائل الفلسطينية منذ الأجداد في إشارة واضحة للحق الفلسطيني في أرضه وترابه.

تتعدد المجازر، وتتواصل المقتلة خارج حدود الإنسانية، حقد دفين يحاول طمس الهوية والوجود الفلسطيني.. مجزرة عائلة الترمس، مجزرة عائلة الصيداوي، عبيد، حجازي، أبو الذيب، حميد، الصليبي.. تتوالى مجازر العوائل، ويتوالى الرحم الفلسطيني ينجب أجيالاً لا تعرف الرضوخ ولا الاستسلام، ولا يحيد عن درب نضاله، والأمل قادم، قادم لا مناص.

من تجليات طوفان الأقصى في المسرح السوري

جوان جان ـ كاتب ومسرحي سوري

ألقت ملحمةُ السابع من تشرين الأول 2023 بظلالها على الحياةِ الثقافية والفنية السورية عموماً، والمسرحية منها على وجه الخصوص، وقد تجلى ذلك من خلال مجموعةٍ من العروضِ المسرحية التي شهدتْها المسارح السورية والتي تطرق فيها المسرحيون السوريون لملحمة طوفان الأقصى بكثير من الإدراك والوعي لأهمية هذا الزلزالِ الوطني والقومي الذي ما زلنا نعيش تفاصيله حتى يومنا هذا.

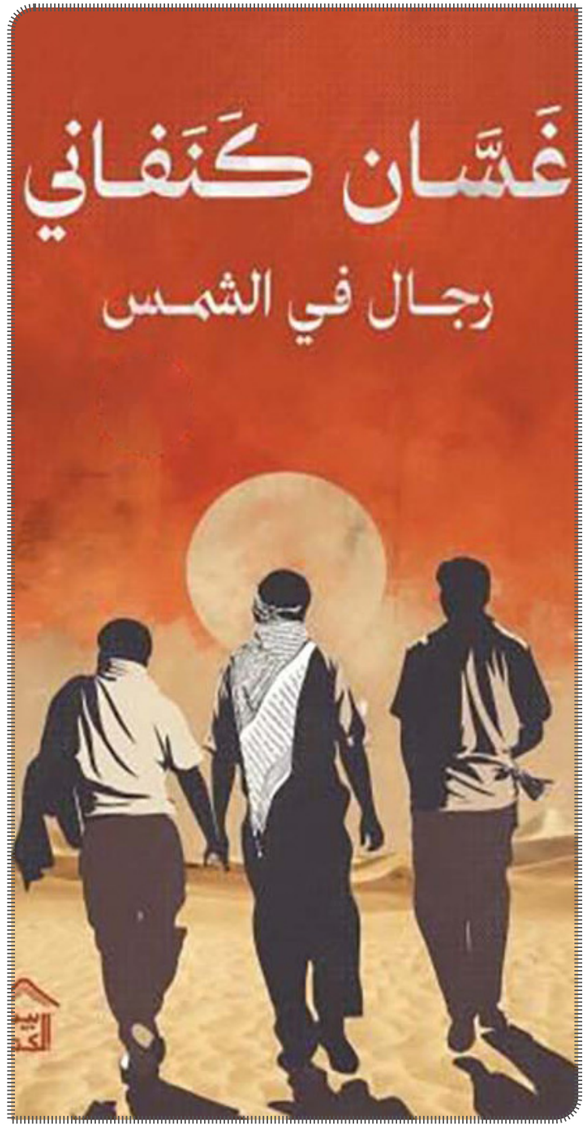

قراءة لمونولوجات غزة

في مدينة طرطوس تنادتْ مجموعةٌ من الفنانين المسرحيين لتقديم قراءات مسرحية بعنوان «قراءة لمونولوجات غزة» كانت عبارة عن تداعيات وشهادات إنسانية واقعية لأطفال عاشوا زمن الحرب وذاقوا ويلاتها ولمسوا لمس اليد كيف تخلى الجميع عنهم وتركوهم تحت وطأة الاحتلال وإجرامه، وقد أتت هذه القراءات كجزء من مشروع دوليّ بدعوة من مسرح عشتار الفلسطيني وشمل عدداً من الدول العربية والأجنبية يتم تحديثه والإضافة عليه باستمرار.

شارك في القراءات المؤدون: إناس حسينة، براءة حسينة، رحاب عيسى، إيفان نابلسي، عماد محمد، أنور محمد، رهام أحمد.

وفي دمشق تكررت التجربة برعاية من دار أطلس للنشر ومشروع مراية المسرحي عبر مجموعة من المؤدين بلغت تسعة عشر مؤدياً ومؤدية من مختلف الأعمار، ورصدت القراءات الأهوال التي واجهها سكان غزة نتيجة العدوان الهمجي الدائم عليهم من قبل قوات الاحتلال الصهيوني، وجسّدت قصص التحدي في مواجهةِ القصف والتشريد والحصار، وركّزت على مشاعر الألم والخوف والأمل لتكون بمثابة سجلّ حيّ للحظاتٍ من الشجاعة والحب والفرح رغم فقدان الأحباب، ودعت القراءات إلى تحرك دوليّ عاجل لوقف الانتهاكات والإبادة الجماعية لأبناء الشعبِ الفلسطيني.

وعن أهميةِ هذه القراءات أوضحت أ. سمر حداد مديرة دار أطلس راعية المشروع في تصريحات إعلامية أن الهدف من القراءات هو التأكيد على أن غزة ستبقى حاضرة في الوجدان وتسليط الضوء على المآسي التي يعيشها سكان غزة، وأن ضحايا العدوان الهمجي ليسوا مجرد أرقام، وقصصهم ستبقى حاضرة في الأذهان.

وأرسلت أ. رولا سليمان مديرة غاليري زوايا التي استضافت القراءات رسالة من سوريا إلى غزة جاء فيها: «سنقول لمن قاتل: نزداد بك شرفاً، وسأقول لمن استشهد: أنتم أحياء في عقولنا وضمائرنا، وسأقول لمن بقي حياً: تستحقون الحياة يا أبناء الحياة».

أنا ليلى أهدي سلامي

وبعيداً عن مشروع قراءات غزة قدم المخرج المسرحي سامر ابراهيم أبو ليلى في مدينة حمص عرضاً مسرحياً بعنوان «أنا ليلى أهدي سلامي» اعتماداً على أربع قصص للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني هي: «الرجل الذي لم يمت، منتصف أيار، شيء لا يذهب، قصة العروس» وأشار الإعلامي محمد خير الكيلاني إلى أن الأزياء الفلسطينية المتقنة واللهجة الفلسطينية (لهجة منطقة الجليل) التي قدمها الممثلون بسلاسة وإتقان كانت من العوامل التي ساهمت في نجاح العمل، كذلك الأمر بالنسبة للموسيقا والأغاني بصوت الفنانة سناء موسى وقد لعبت الموسيقا والأغاني دوراً في صياغة اللوحة الدراميةِ للعرض.

يشير مخرج العرض إلى أن العمل استغرق من التحضير ثلاثة أشهر، وقد اعتمد فيه على الإيماءات الحركية والبصرية أكثر من الحوار بما يناسب طبيعة العرض الذي يحكي عن شخصية الخال حمدان المواطن الفلسطيني الذي يبحث عن عروسه، ويقصد بها البندقية ومعه برتقال يافا تأكيداً على الانتماء للقضية الفلسطينية، كما يحكي العمل عن فدائية تُسجَن دون أن تغادر يافا وتموت فيها في إشارة إلى المناضلين وإصرارهم على الاستمرار في نضالهم.

استعرض العمل تاريخَ القضية الفلسطينية منذ العام 1948 وصولاً إلى طوفان الأقصى وما حدث في قطاع غزة من مجازر، واختار المخرج عنوان المسرحية من عبارة كانت عنواناً لبرنامج إذاعي هي «صوت فلسطين من دمشق» وأشار بعض من حضروا العرض إلى أنه صرخة في وجه العدوان وقد حمل رسالة إلى العالم تذكّره بالقضيةِ الفلسطينية، مشيرين إلى أن العمل سلط الضوء على صمودِ أهلنا في الأرض المحتلة وعن تضحياتهم التي قدموها في سبيل أن تبقى الأرض.

يقول مخرجُ المسرحية سامر ابراهيم أبو ليلى معلّقاً على مسرحيته: «حاولتُ ربطَ قصص المسرحية من خلال شخصياتها وجعلتُ من أبطال القصص عائلة واحدة: السيدة مريم وخالها حمدان وأولادها ليلى وغسان، وجعلتُ الأحداث تجري وسط هذه العائلة باستخدام تقنية الخطف خلفاً عن طريق ذكر الحدث ثم تجسيده بالاعتماد على الحالة الطقسية والرمزية والتعبيرية عبر إيصال الفكرة دون الاعتماد على الواقعية الصريحة، وحاولتُ إيجاد حالةٍ من التعاطف مع القضية الفلسطينية بواسطة المحافظة على مقولات القصص: الأمل ليس كاذباً، وهذا الشيء موجود في فلسطين، وقد تجدد مع طوفان الأقصى، وحاولنا في هذه المسرحية التذكير بحقّ العودة والأمل والتفاؤل لدى الشعب الفلسطيني.. والمسرحية برمّتها تحية لفلسطين».

جسَّدت الشخصيات نخبةٌ من ممثلي المسرح العمالي في حمص هم: غانية الأبرش، أنس المؤذن، عمر المصري، سامر ابراهيم أبو ليلى، لجين شقوف، غسان جعفر المحمد، عبد الله العبد الله.

رجال في الشمس

وفي درعا قدم المخرج فراس المقبل مسرحية بعنوان «رجال في الشمس» عن رواية بنفس العنوان للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني.

تتحدث المسرحية عن ثلاثة رجال عانوا من الظلم والاضطهاد بعد احتلال الصهاينةِ لأرضهم وتهجيرهم منها، فيقررون الهجرة للتخلص من الظلمِ والموت، فيباشرون رحلة شرعية إنسانياً لكنها ليست كذلك قانونياً بهدف الوصولِ إلى بر الأمان، متطلعين إلى حياة جديدة هانئة، وتشير الناقدة مها داود إلى أن الكاتب كنفاني استقى أحداثَ روايته من معاناة الشعب الفلسطيني والأحلام التي تراود الفلسطينيين في النجاة والخلاص، وتضيف داود: «المشهد العامّ للمسرحية عبارة عن فضاء فارغ يتوسطه حاجز قماشيّ أبيض تظهر من خلفه خيالاتٌ لثلاثة رجال يتجهزون للسفر، وأمام هذا الحاجز ثلاث نساء، كلّ واحدة منهنّ مقابلة للرجال الثلاثة وهم على التوالي: الأم مقابل ابنها، والزوجة مقابل زوجها، والفتاة مقابل حبيبها، وتقوم كلّ منهنّ بتجهيز حاجيات من تقابله بحسرة وحزن، وقد ترافق ذلك مع الأغنية التي يقول مطلعها: «لوَّع الجمال قلبي» للشاعر محمود درويش والتي أخذت الجمهور إلى الغرق في حالة من الشجن وفيض في المشاعر».

اعتمد المخرج فراس المقبل في هذا العمل على المونولوجات والتجسيد الإيمائي لإيصال مقولة العمل بضرورة الاستمرار والتشبث بالوطن، كما اعتمد على تقنيات الإضاءة والظلال للإيحاء بحالات التوتر وفقدان الأمل.

جسّدت شخصيات العرض مجموعة من فناني المسرح الجامعي في مدينة درعا.

فعاليات أكاديمية دار الثقافة

بيروت

بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني، نظّمت أكاديمية دار الثقافة، جلسة حوارية ثقافية عبر منصة "غوغل ميت" بالتعاون والتنسيق مع مجموعة (تدريس فلسطين، الممارسة التربوية وشمولية العدالة*) وتشرف عليه الأكاديمية الدكتورة رباب عبد الهادي وهي مديرة البرنامج الأكاديمي لدراسات الجاليات العربية والمسلمة في المهجر في جامعة سان فرانسيسكو، ،و خُصّصت الجلسة لمناقشة مفهومي "المقاومة الثقافية" و"ثقافة المقاومة"، بوصفهما جزءاً من معركة التحرر الوطني وتأكيداً على مركزية نضال الأسرى في سبيل الحرية وانتزاع حقوقهم، ودور المقاومة في دعم صمودهم.

وشارك في الجلسة عدد من الباحثين والأكاديميين والنشطاء، حيث استضافت الدكتورة رباب عبد الهادي، إلى جانب الأستاذ أنيس محسن، سكرتير تحرير مجلة الدراسات الفلسطينية وباحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية، وغازي عبد العال، سكرتير منظمة الشبيبة الفلسطينية. وأدارت الحوار منسقة أكاديمية دار الثقافة تغريد عبد العال.

دمشق

استعاد الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين بالتعاون مع أكاديمية دار الثقافة مؤخراً ذكرى يوم الأرض الخمسين بدلالاته التاريخية ومعناه الوطني من خلال ندوة شارك فيها الباحث معتصم حمادة، والروائي د. حسن حميد، والفنان التشكيلي محمد الركوعي، والشاعر أحمد خليل، وكانت بإدارة الناقد أحمد هلال.

وقد أجمع المشاركون في هذه المناسبة أنهم في هذا اليوم لا يستعيدون ذكراه فقط، بل يستعيدون ذاكرة ذلك اليوم الطويل الذي لم يكن كبقية الأيام، حيث الأرض ليست مجرد جغرافيا، بل هي حق وهوية وذاكرة، وأن نضال الشعب الفلسطيني مستمر حتى ينتصر صاحب الحق ويعود أصحاب الأرض إلى أراضيهم. مؤكدًا معتصم حمادة في مشاركته أنه لا وطنية فلسطينية بمعزل عن الأرض، وكل حديث لا يقوم على مبدأ التمسك بالأرض والقتال من أجلها تصبح القضية الفلسطينية مجرد شعارات وتهويمات، وأن الحديث عن العودة دون الحديث عن الأرض التي هُجِّر منها الفلسطينيون هي عودة ناقصة لا تلبي حقوق الشعب الفلسطيني، مشيرًا إلى أن يوم الأرض عام 1976 لم يقم كنبتة برية، بل اندرج في إطار نهوض الوطن الفلسطيني والتعبير عنه بالتصدي لمشروع القضاء على الشخصية الفلسطينية وهوية الأرض الفلسطينية.

بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني وتحت عنوان أسرانا في القلب منا، نظمت أكاديمية دار الثقافة ندوة تفاعلية وثقافية وبحضور نخبة من الأسرى المناضلين، وحشد من الكتاب والمثقفين والمهتمين، والفعاليات الشعبية وذلك في مقرها بمخيم اليرموك، بتاريخ ٢٠٢٦/٤/١٨، وقد أدار الندوة الدكتور الناقد الزميل ثائر عودة، حيث استهلت الندوة برسالة عبر الفيديو من الأسير والمناضل المحرر كميل أبو حنيش، عرض فيها لتاريخ الحركة الأسيرة وشهدائها وحرصها على بناء مجتمع يحافظ على الهوية، مؤكدا في السياق على ضرورة الحفاظ على إرث الحركة الوطنية الأسيرة كما ضرورة توثيق تجاربها بكل الوسائل المتاحة.

محاضرات ومعرض فني وفيلم قصير في ذكرى يوم الأرض الخالد في الأكاديمية في دمشق:

نظمت أكاديمية دار الثقافة بدمشق ندوة فكرية وأدبية احتفاء بالذكرى الخمسين ليوم الأرض الخالد، وذلك في مقرها مخيم اليرموك بتاريخ 4-4-2026 بحضور نخبة من المثقفين والأدباء والكتاب وممثلي فعاليات ثقافية واجتماعية عديدة. وأدار الفعالية الزميل أحمد علي هلال الذي أشار إلى أن الهدف من هذه الفعالية هو التأكيد على أن الأرض لنا وليس ذلك مجازاً أو استعارة عابرة، إنها جدارة المستحيل لتكتمل سرديتها في الأزمنة القادمة.

ثم قدّم المناضل والباحث أبو علي حسن ورقة بحثية أكّد فيها على دلالات الذكرى الخالدة ومعانيها. وعلى أن يوم الأرض أصبح جزءاً من السردية الفلسطينية، وإن هذا اليوم يكتسب أهميته ورمزيته من انتفاضة شعبنا في الـ48، وأن انتفاضة يوم الثلاثين من آذار/مارس كانت بسبب الأرض ومحورها الأرض وشعارها (الأرض لنا). وأشار الرفيق أبو علي في سياق كلمته إلى أن يوم الأرض هو رسالة واضحة للكيان بأن الشعب الفلسطيني هو صاحب الأرض وأن الصراع يدور على الأرض، ولفت إلى المعنى السياسي والوطني والكفاحي الذي يتجاوز الحدث بوصفه عملية كفاحية في معركة الوعي وصراع السرديات على الأرض. فإحياء يوم الأرض يأتي كمهماز لمواصلة النضال والكفاح وتأكيد العلاقة العضوية والجدلية بين الفلسطيني وأرضه وليس لسرد الحدث التاريخي على أهميته. في التأسيس لمعنى الأرض.

حلب

أحيت أكاديمية دار الثقافة الذكرى الخمسين ليوم الأرض، عبر فعالية لفرقة الأرض التي يشرف عليها الفنان الموسيقي موفق الحاج، وذلك في مخيم النيرب، حيث ألقيت فقرات من عروض فرقة الأرض تخللها إلقاء شعر للشاعرة الشابة تسنيم كامل، حيث أكدت الفرقة في الأغاني التي قدمتها في فعاليتها الواسعة على التمسك بالحقوق ونقل الذاكرة للأجيال، وبحضور ومشاركة شخصيات وفعاليات وطنية واجتماعية وثقافية، وحشد لجماهير شعبنا الفلسطيني في مخيم النيرب في مدينة حلب. و بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني تم عرض الفيلم الوثائقي عن الشهيد الأسير نادر العفوري.

تنعي جماهيرُ شعبنا الفلسطيني
وفصائلُ المقاومـة الفلسطينية

بكل فخرٍ وطني واعتزازٍ ثوري الشّهيد المقاتل البطل

أيمن عاطف دخلول

(أبو حذيفة)

مواليد مخيم برج الشمالي عام 1996 وابن قرية الناعمة المهجرة قضاء مدينة صفد المحتلة، والذي ارتقى شهيدًا على طريق فلسطين، جرّاء العدوان الصهيوني على لبنان، مقدِّمًا دماءه الطاهرة صفحةً متجددةً في سجل الصمود الأسطوري، ومؤكدا أن التضحية هي الجسر الحتمي نحو الحرية والتحرير

في الهدف

مها خليل.. ولا تنتهي الحكايات

أحمد علي هلال- ناقد أدبي فلسطيني - سورية

كيف تشي المآثر ببلاغتها، هي سردية مُقاومة جسورة سيكون الاسم أولاً وآخراً الدكتورة مها خليل، بسيرورة تاريخها الكفاحي ووعيها المؤسَسَ منذ انتماءها للمقاومة وبعلامة فارقة «عملية العال، في مطار أثينا عام 1969»، وتعرضها للاعتقال جراء ذلك الخطف، وثمة من العلامات الفارقة الكثير في تلك المسيرة المديدة نضالياً وأكاديمياً، وكيف التحم وعيها في ظلال القائدين الكبيرين الراحلين جورج حبش ووديع حداد، تلك مدرستها الأولى في التجذر والهوية والعطاء، ومن قبل ومن بعد الوعي الذي كان ميزان العلاقة ما بين البندقية والقلم، والانفتاح على فضاءات الثقافة والإعلام والعمل الاجتماعي، وهنا تتسع الدلالة لمعنى إضافي في الثقافة المشتبكة، تلك التي تقرن القول بالفعل، وترتقي بالأهداف والرؤى لتكون الممارسة شكلاً ناجزاً من أشكال استعادة الوطن.

مها خليل بلاغة المأثرة في زمن آخر مختلف، حينما يتوج باستشهادها، لتلتحق برفاقها المؤسسين والمقاومين، صاعدة كما نشيد البلاد وهي المسكونة بها منذ طلقة الميلاد إلى رعشة الموت، لكنه لم يكن موتاً عادياً، هي الاستثناء إذن وفي فلكها عبرت أسماء كثيرة كما تعبر الطيور عائدة إلى موطنها... وهي المثقفة المشتبكة ليس بترف الثقافة، بل بوظيفتها وعضويتها وجسارتها في امتحان المصير والوجود، وفي اتساق المعنى في استشهادها معنى أن يكون لنا شيء في هذا العالم، نقول: هي من قامت فقاومت، لكأنها وطن بأكمله يقاوم.

الكاوبوي الأنيق

مروان عبد العال

في النسخة الدبلوماسية من أفلام الكاوبوي، لم يعد الرجل الذي يشهر المسدس يقف في منتصف شارع مغبرّ، بقبعة عريضة ويد على الزناد. صار يرتدي بدلة أممية، يتحدث بلغة "الاستقرار"، ويحمل ملفًا أزرق بدل المسدس. لا يصرخ: "ألق سلاحك"، بل يبتسم بلياقة موظف دولي ويقول: "فلنبدأ بخطوات بناء الثقة وخفض التصعيد". المعنى نفسه، فقط بتهذيب أكثر ووقاحة مصقولة.

لكن الكاوبوي ليس شخصًا، ليس راعي بقر وحسب، بل أخلاق كاملة ونظام عمل، قد يكون راعي البيت الأبيض نفسه: دونالد ترامب، أو وزير دفاعه، أو وزير خارجيته، أو صهره كوشنير وهو يروّج "السلام" كصفقة عقارية، أو موظفه في سمسرة الخراب ويتكوف، وتوم براك رفيق ليالي جزيرة ابستين، أو مبعوثًا أمميًا ببدلة أنيقة مثل ميلادينوف.

الوجوه تتبدّل، لكن الأخلاق واحدة: من يملك القوة يملك الحق، ومن يملك السلاح يكتب القانون، ومن يربح الحرب يتكرّم بتوزيع الحياة على الخاسرين بالتقسيط. هؤلاء ليسوا أشخاصًا متفرقين، بل وكلاء مدرسة واحدة: مدرسة الكاوبوي حين يتعلم ارتداء ربطة عنق، ويستبدل المسدس بملف، والتهديد بعبارة "خفض التصعيد"، والركوع بمصطلح "بناء الثقة".

هنا يدخل نيكولاي ميلادينوف، لا بوصفه وسيطًا، بل وكيل الكاوبوي الرسمي في الشرق الأوسط: رجل المهمات الناعمة، سمسار التهدئة، ومندوب الإخضاع ولكنه الأنيق، لا يحمل سلاحًا، بل قاموسًا كاملًا لتجميل الشروط. يوزّع النصائح كما توزّع الأوامر، يلمّع الإملاءات، ويقدّم نزع السلاح كأنه وصفة تعافٍ وطني لا عملية تجريد سياسي. في حضرته، لا يعود السلاح مسألة صراع مع احتلال، بل "عقبة أمام الاستقرار". ولا يعود اختلال ميزان القوة جريمة سياسية، بل مجرد "تفصيل يمكن معالجته بالحوار"؛ أي بالحوار الذي يبدأ بأن تتخلى أنت عن كل ما يجعلك طرفًا فيه.

ميلادينوف لا يفاوض، بل يتلو على المتحلقة بيان الشروط والأحكام الصهيونية للسلام! يتحدث باسم "المجتمع الدولي"، ذلك الكائن الأسطوري الذي لا يظهر إلا حين يُطلب من الضحية أن تكون أكثر تهذيبًا في تلقّي الضرب. يشرح لك، بربطة عنق أنيقة ونبرة خبير، أن إعادة الإعمار مشروطة، وأن المساعدات ليست حقًا بل مكافأة حسن سلوك، وأن الدولة لا تُبنى ما لم تُنزع منها أولًا كل قدرة على الاعتراض. دولة ممتازة فعلًا: سيادة تحت الوصاية، وحدود تحت المراقبة، وسلاح وحيد شرعي هو ذاك المصوّب إلى صدر الداخل.

أما "مجلس السلام"، هذا الاسم الذي يبدو كجمعية شركاء ترامب أو نادٍ لأصدقاء البيت الأبيض، فليس سوى الصالون الرسمي لتشريع موازين القوة. مجلس لا يصنع سلامًا، بل ينظّم جولات الحرب، ويمنحها محضرًا رسميًا وختمًا دوليًا. هناك، تُناقش حياة الشعوب كما تُناقش بنود التأمين: كم تبقى لها من حق في التنفس؟ كم يلزمها من خضوع لتستحق الكهرباء؟ وكم درجة من الطاعة تؤهلها للحصول على رزمة إعمار غير قابلة للصرف السياسي؟

في هذا المجلس، السلام ليس نقيض الحرب، بل إدارتها بوسائل أكثر أناقة. والسلاح ليس المشكلة، بل احتكاره. من يحمله في يد الهيمنة يُسمّى ضمانة أمن، ومن يحمله دفاعًا عن أرضه يُسمّى تهديدًا للاستقرار. هذه هي العدالة الدولية في أبهى صورها: مسدس الكاوبوي ضمانة نظام، وبندقية الضحية خلل في السلوك السياسي.

منطق السلاح هنا لا يُلغى، بل يُعاد ترتيبه. لا أحد يريد نزع السلاح من المشهد، فقط نقله إلى اليد "الصحيحة": اليد التي تقصف بلا مساءلة، وتحاصر باسم القانون، وتمنح الحياة بالتقسيط السياسي. المطلوب ليس إنهاء العنف، بل تنظيم حق استخدامه. ليس نزع أدوات القتل، بل حصرها في يد من يملك حق تعريف الضحية، وحق تحديد متى يجوز لها أن تتألم، ومتى يُسمح لها أن تصمت.

وهكذا يصبح ميلادينوف مجرد موظف أنيق في مكتب الكاوبوي الكبير: لا يضغط الزناد، فقط يشرح لك، بأدب دبلوماسي، لماذا ينبغي أن تشكر من يصوّب المسدس إلى رأسك... لأنه، بكل إنسانية، لم يطلق النار بعد.